هذا كتاب ألف با

للإمام الكامل والعالم الفاضل فريد الدهر
ووحيد العصر أبي الحجاج يوسف بن
محمد البلوي تغمده الله بالرحم
والغفران وأنزل عليه
شآبيب العفو
والإحسان
آمين

وجد على ظهر نسخة معزيا للأديب الشيخ عبد الله الادكاوي هذا النظم

هذا كتاب ألف با * به أهبت قلبي * كم همت فيما حواه * وغل مني لبا
وطالما كان دهرا * بأي علي وقدبا * والآن من فضل ربي * في ساحتي قد ألبا
لكنني لست ممن * يعد بين الالبا * الباع مني قصير * ان رمت نظما تأبى
أو رمت نثرا بديعا * غدا على الطبع صعبا * لكنني باقتناتي * لذا الكتاب ألف با
أفيد طبعي منه * والروح أكلا وشربا * حتى يصير ذكائي * لداء فكري طبا
ويغتدي طب طبعي * لمن له قد أحبا * وأنثر الدر بهرا * على أكف الاحبا
من في ان شئت نظما * يسير شرقا وغربا * وان أشاء فنثرا * يزيل ان قيل كربا
والحمد لله حمدا * يفوق في العد تربا * ثم الصلاة على من * دنا من الله قربا
والآل والصحب طرا * ومن لهم قد أحبا * ما أنشأ الله سحبا * وأنبت الله حبا
آمين آمين ربي * اني رضيتك ربا

بسم الله الرحمن الرحيم

(قال) الشيخ الفقيه المحدث الزاهد الحاج ابو الحجاج يوسف بن محمد البلوي عرف بابن الشيخ رضي الله عنه

ان أفصح كلام سمع وأعجز * وأوضح نظام جمع وأوجز * حمد الله تعالى نفسه قبل ان يخلق جنه وانسه * وأغنى عن لفظ التحميد * ما افتتح به كتابه الحكيم الحميد * الذي يجمع الى الحمد الثناء والتمجيد * اذ يقول المولى الجليل الكبير * اذا قاله العبد الذليل الحقير * حمدني عبدي * أثنى علي عبدي مجدني عبدي * فأبدأ به ألتمس خيره * ولا أبغي به بدلا غيره * (فأقول) الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * بهذه الكلمات كما تقدم افتتح الله كتابه * وبها أيضا افتتح رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء خطابه * فجاءه من الغيث ببركة هذا المقول * ما سالت منه في الحين السيول * وهذا الخبر سقته هنا مجملا * وستراه بحول الله ونعمته داخل الكتاب مفصلا مكملا * (فالحمد لله) الجليل مولانا * على جزيل ما أولانا * من نعم جلت فكثرت أن تعد * وجلت فكبرت أن تحد * وعظمت أن يحصرها

انسان * أو يذكرها لسان * (والصلاة) على سيد العرب والعجم * المنتخب من جميع الامم * المبعوث بجوامع الكلم * وبدائع الحكم * محمد الرحيم بأمته الرؤف * المتحنن عليهم العطوف * ذي الخلق العظيم * والشرف الصميم والحسب الصريح * والنسب الصحيح * عفا عمن هفا * وحلم عمن جفا وصفح ونصح * وشفق ورفق * وعلم فعلم * صلى الله عليه وعلى آله وسلم * صلاة لا يعتريها فصم ولا قطع * ما طلع نجم ونجم طلع * ورضي الله عن أصحابه أجمعين والحق بهم التابعين * وعم جميع المسلمين * برحمة شاملة * ونعمة كاملة انه شكور كريم * غفور رحيم (أما بعد) دام لنا ولكم السعد * فاني عزمت بعد استخارة ذي الطول * ومن بيده القوة والحول * ورغبتي اليه في السداد في العمل والقول * على ان أجمع في هذه الاوراق * كل معنى رق أو راق * مما هو عندي مستحسن لا مستخشن * ومستملح لا مستقبح * وأثبت فيه من الفوائد * ما يزري بالفرائد * ومن بدائع العلوم والفهوم * ما يرتقي به من التخوم الى النجوم * وجعلت ما أؤلف فيه وأبني * لعبد الرحيم ابني * ليقرأه بعده وقتي وينظر الى ما منه بعد فوقي * اذ لم يلحق بعد لصغره درجة النبلاء * ولم يبلغ مرتبة العقلاء * وأرجو أن يجعله الله منهم * ولا يقطع به عنهم * فيكون ان شاء الله تعالى بقراءة هذا الكتاب في الزيادة * الى ان يلحق بالسادة

ان الهلال اذا رأيت نموه * أيقنت أن سيصير بدرا كاملا

وسميت ما جمعت لهذا الطفل المربا * (كتاب ألف با) * وقلت فيه

هذا كتاب ألف با * صنعته يا ألبا * من أجل نجلي المرجي * اذا شدا أن يلبا أدعو لعلم ومن حق * من دعا أن يلبا * وأنت عبد الرحيم الطفل الصغير المربا اذا عقلت فقل قد * رضيت بالله ربا * ودين الاسلام دينا * وبالنبي المنبا محمد فضل رسولا * وقل نبيا محببا * ثم استقم واتبعه * تزدد من الله قربا وذا الكتاب اتخذه * لداء جهلك طبا * فانه صنع مرء * طب لمن حب طبا هذي وصاة أب لم * يزل لشخصك صبا * ولو يطيق عليك الخيرات أجمع صبا هذا كان السبب في هذا المجموع وليس بحمد الله عن أحد بممنوع بل هو مباح لمن طلبه من الطلبة * ومتاح لمن أراده من الراده (فأقول) مستعينا بالله ومتوكلا عليه * متبريا من الحول والقوة الا اليه

مبحث أما بعد

(أوّل) ما أبدؤكم به من العلم وأفيدكم به يا أحبائي ذوي الفهم أني قلت (أما بعد) وهذه اللفظة من فصيح الكلام * وأوّل من قالها داود عليه السلام وكذا قال أهل التفسير في قوله تعالى وفصل الخطاب انها أما بعد وانه أوّل من قالها ويقال ان أوّل من كتبها من العرب قس بن ساعدة الايادي (وقلت) دام لنا ولكم السعد * بدأت بنفسي * وثنيت بأهل ودّي وأنسي * وتلك السنة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أحدا من الانبياء عليهم السلام بدأ بنفسه فقال رحمة الله علينا وعلى أخي كذا هذا نص مسلم بن الحجاج رحمه الله ذكره ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام (وفيه) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى لولا انه عجل لرأى العجب * حدّثني بالكتاب أجمع بمالقة حرسها الله تعالى الفقيه المحدّث أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن خلف الانصاري عرف بابن الفخار رحمه الله قراءة مني عليه عن ابن العربي عن الطبري عن عبد الغافر عن الجلودي عن ابن سفيان عن مسلم رحمهم الله أجمعين * وهذه أيضا فائدة في السند * أيها الولد * وكذا أصنع ان شاء الله بكل شيخ لقيته أذكر سنده وبلده (وفائدة أخرى) في لفظة سعد * بعد قولي أما بعد * سقتها على وزنها * مع الفضل المستودع في ضمنها * رأيت لبعض الادباء من النحاة رحمنا الله واياه * ما كتبته هنا بنصه * وجئت به من فصه * وذلك انه قال ان الله تعالى أودع هذا اللسان العربي أسرارا جليلة * وحكما شريفة * علمها من علمها * وجهلها كثير * (وذلك) انه فضل بعض الكلام على بعض في أصل الوضع * كما فضل بعض المتكلمين على بعض فالمطبوع في علم اللسان يجد للفظة سعد في نفسه معنى هو أوقع في القلب وأشرح من لفظة يمن ومن لفظة اقبال وكل بمعنى واحد * وكذلك قولك الانصاف أمكن من العدل * والمدح أفخم وأكرم من لفظة الثناء * وذكر في هذا المعنى فصلا جزلا اختصرته * (فائدة) زائدة (سعادة) هي مصدر سعد بفتح السين واسم الفاعل منه سعيد * كما تقول سلم فهو سليم * ومسعود اسم مفعول من سعد بضم السين مثل حمد فهو محمود وتقول أسعده الله فهو مسعود ولا تقول مسعد وكان القياس ولكن استغنوا عنه بمسعود * وقراءة الكسائي وأما الذين سعدوا فتوجيه على ماروى عن العرب سعده الله بمعنى أسعده فيكون مثل حزنه الله

واحزنه

وأحزنه وأنت أيها الطالب المدرك حصل هذه الفوائد في صدرك * ثم اطلب غيرها أعطانا الله خيرها وكفانا ضيرها (رجع الكلام) بإعلام سبب تسميتي هذا الكتاب بهذه التسمية * ووجهي لهذه الابنية * أني دعيت يوما من الأيام * لمشهد جماعة من الاعلام * وقيل لي قد اجتمعوا لكتب الحديث * فعجل اليهم بالسير الحثيث * واحمل معك جميع الاداه * من اللوح والقلم والدواه * وكنت قمت من المنام * نخفت الملام * فخرجت أستعجل استعجالا * واقتضبت في الطريق هذين البيتين ارتجالا * وقلت لأنشدنهما اليوم * ولأطرفن بهما القوم * ولاصرفن عني اللوم * في ابطائي لاجل النوم * وهما

يا أيها السادة الالبا * دعوتمو يوسفا فلبا
وجاءكم في يديه لوح * كأنه الطفل في ألف با

وكنت في الطريق أجمجع * ونفسي أشجع * شعر

وظننت القوى يبقى على ما * كان من قبل أن يلاقي الرجالا
فاذا القلب في الحقيقة قلب * حار عما عهدت منه وحالا
الذي قال قبل اني واني * من صفات الشجاع كان محالا
فتذكرت قولة المتنبي * حين قلبي عن البسالة زالا
واذا ما خلا الجبان بارض * طلب الطعن وحده والنزالا

فما هو الا أن وصلت الى المجلس فما كدت بحرف أنبس الا أني قعدت وسكنت وما أدري أسلمت أم سكت فلما انفض ذلك الجمع * وثاب الي البصر والسمع رجعت الى نفسي أخاطبها * وبما قالته أطالبها * وقلت لها أراك احتقرت هذين الحرفين أعني الالف والباء المؤتلفين أرأيت ان سألك عنهما سائل ما أنت له قائل * قلت مجيبا عنها اقول فيهما مبلغ علمي * ومنتهى فهمي قالت فالف واجمع * وقل حتى أسمع * فقلت أفعل ان شاء الله وبه أستعين وهو المعين وأزيدك على مطلوبك وأفيدك فوق مرغوبك * اني أكرر الالف مع الباء وما شاكلها مراراتي * ثم أشفعها بالوزن حتى تكون بيتا بعد ان أضم اليها كلمتين متشاكلتين باسم القافيه * دامت لنا ولكم العافيه ويكون الشكل في الكل واحدا والمعنى على خلاف فافهم ثم أفعل ذلك

بالالف مع سائر حروف المعجم ليكبر الكتاب ويكثر الكلام وتعظم الفائدة وتعم المنفعه الا أنه لم يصح لى ذلك الا بضم الاشكال المؤتلفة فى حروف المعجم على تأليف بلادنا بعضها الى بعض مثل الباء والتاء والثاء فى بيت والجيم والحاء والخاء فى آخر والدال والذال وغير ذلك وبالحرى باجتماعها فيكمل منها كلها بيت وبيت وربما يضيق بعض الابيات عن جملتها فأذكرها خارجا عن البيت وربما لم يكمل الا بمعكوس اللفظة فأكمله بها ثم أفسر اللفظة بما أدريه وما وجدته فى كتب اللغة وما ذكره العلماء وأستشهد على ذلك بما أحفظه من الشعر وبما قالته العرب وربما ذكرت ما قاله غيرهم من المولدين المشهورين وربما ذكرت شعر من لقيته من أشياخى وان لم يكن فى ذلك حجة ففيه أنس مع الثقة بمعرفتهم وفضل التقدم علينا فى كل أمرهم مع انى رأيت الفقيه القاضى أبا الفضل عياض بن موسى رحمه الله قد ساق فى أحد تآليفه شعرا للوزير أبى عبد الله محمد بن شرف رحمه الله وكان متأخرا قرأت عليه فى أحد تآليفه جزءا أرخه بثمان عشرة وأربعمائة فاستشهد أبو الفضل بذلك الشعر فى ضرب من البلاغة ذكره وسيأتى ذلك الشعر فى هذا الكتاب ان شاء الله لانه أعجبنى فحفظته وبعد حفظه فيه أثبته ولى أيضا فى مثل ذلك الانشاد على غرضى استشهاد وبينى وبين أبى الفضل هذا فى الاسناد شيخى الأجل الرفيع العماد أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الحميرى عرف بابن قرقول رحمه الله لقيته وسمعت عليه وأجازنى بجميع ما لديه (رجع الكلام) بعد فائدة على ما تقدم زائده وربما ذكرت من شعرى ما يليق بالباب وان لم يعد فى اللباب لكن للمرء بشعره شغف وان لم يكن ذا شرف كما يعجب بابنه وهو الجون ومن غير اللون ألم تسمع قول بعضهم والمرء يعجب بابنه وبشعره نعم ويطيب له عناؤه وان طال فيه عناؤه وبولع بتصنيفه ويأبى من تعنيفه ايالك أعنى يا مؤلف الكتاب تاب الله على جميعنا أحسن متاب ولى فى هذا المعنى مما كتبت به الى الفقيه الخطيب أبى محمد عبد الوهاب بن على رضى الله عنه أعرض عليه شعرا قلته بعد كلام ولا غرو كل امرئ مادح لهره ومعجب بشعره وأنا الذى أقول

كل امرئ يعجبه شعره * حتى يراه ناقد غيره

فى أبيات ذكرتها بكمالها فى كتاب سميته تكميل الابيات وتتميم الحكايات مما اختصر للالبا * فى كتاب أدب يا وقد ذكرت سببه فى أوّله فانظره هنالك ان أردته وبالله التوفيق وما أحسن ما به اعتذر صاحب كتاب الزهر حيث قال

ويسىء بالاحسان ظنا لا كمن * هو بابنه وبشعره مفتون

لكن يا بنى ان العاقل * رحل عن هذه المعاقل * ونزل بها الجاهل فعادت كالمجاهل (قلت)

أحسن الله لى عزائى بنفسى * ان يكن يحسن العزاء لمذنب

تدرى من العاقل فى هذا المعنى ابن المقفع * الذى ارتدى بعقله وتلفع ومع هذا فعن الشعر ترفع وكان من البلاغة فى قلمه ولسانه حيث لا يبلغه أحد من أهل زمانه قيل له مالك لا تقول الشعر قال الذى أرضاه لا يجىء والذى يجىء لا أرضاه وقيل للفضل لم لا تقول الشعر وأنت أعلم الناس به قال علمى به يمنعنى من قوله وأنشد

أبى الشعر الا أن يفىء رديه * علىّ ويأبى منه ما كان محكما
فياليتنى اذ لم أجد حوك وشيه * ولم أك من فرسانه كنت مفحما

وقال غيره

يموت ردىء الشعر من قبل ربه * وجيده يبقى وان مات قائله

وقبله

نعونى ولما ينعنى غير شامت * وغير عدوّ قد أصيبت مقاتله
يقولون ان ذاق الردى مات شعره * وهيهات عمر الشعر طالت طوائله
سأقضى ببيت يحمد الناس أمره * ويكثر من أهل الرواية حامله

يموت ردىء الشعر البيت وقال الأشجعى

وانما الشعر لب المرء يعرضه * على المجالس ان كيسا وان حمقا
وان أفضل بيت أنت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا

وقال ابراهيم بن المهدى

أحسن من تسعين بيتا سدى * جمعك معناهنّ فى بيت

وقالوا رب متكلم فيما لا يعنى * قال له الكلام دعنى وقال الشاعر

وان كلام المرء فى غير كنهه * لكالنبل تهوى ليس فيها نصالها

والكلام في هذا المعنى طويل * لكن حسبنا الله ونعم الوكيل * اللهم الا أن يكون كما قال الشاعر اللبيب

كأن كلام الناس جمع عنده * فأطلق في احسانهم يتخير

أو يكون حكيم القول * كما قال عليه الصلاة والسلام ان من الشعر لحكما ويروى لحكمة * فهذا الذي يسير العنق * طويل العنق * رجع القول الى صفة الابيات * التي ذكرها بعد لم يات مثال ما ذكرته لك (أب) في بابه (وأخ) و (اد) وكذلك فكذلك الى آخر حروف المعجم فلما لم يتزن لي ذلك احتلت عليه وتركت هذا المعنى وقلت أب الذي هو المرعى وآخ وأد وجئت بواو العطف في اللفظة حتى تدخل في الوزن ويصح دخولها في العروض التي بنيت عليها وهي المتقارب الذي يجتمع من فعولن ثمانيا * وسقت مع أب وأت وأث مما يكون على وزن فعل أو فعل أو فعل أو فاع * فان هذا كله في الوزن مع فعولن سواء وكذلك أفعل في سائر الحروف * وأذكر مخارج البيت ما هو على هذا الشكل مما لم يتزن أو ما يتزن واستغنى عنه البيت على ما تراه ان شاء الله تعالى بعد هذا فاذا فرغت من البيت سقت معكوسه مثل وباء وتاء وثاء * ثم أفسره كذلك ثم أقول مقلوبه ألف بين حرفين مثل وباب وتاب وثاب * ثم أفسر كل لفظة منها ثم أقول مقلوبه أيضا حرف بين ألفين مثل وأباوأتاوأثا ثم أرجع الى القافية فأفعل فيها مثل ذلك وربما كانت الواو من نفس الكلمة اذا لم أجد غيرها فأسوقها وأنبه عليها مثل وكل الذي هو الرجل الضعيف العاجز سقته مع وكل اللفظة التي هي ضد بعض وكذلك وشل الماء الجاري من الجبل مع وشل بعض أنامله وغير ذلك مما أقيم به شكل البيت ووزنه * وربما جلبت فائدة ثانية وعكسا آخر يفيد علما زائدا ثم أذكر مخارج الحروف وعملها ان كانت عاملة مع ما تشترك في قافية واحدة ليقرب المخرج وما يجعل عوض صاحبه في النطق ثم أذكر آخر البيت فصلا من الكلام المطول يكون عليه المعول * وسيأتي تفسير هذا الفصل ان شاء الله تعالى فيما يستقبل فاقبل وقد اجتمع لي من ذلك تسعة وعشرون بيتا عدد حروف المعجم لكن منها ما ذكر معكوسا ومقلوبا * ومنها ما لم يكمل البيت الا بمعكوسه لقلة دوره في الكلام * وزدت في أول الشعر ثمانية أبيات * وفي آخره أربعة من الكلمات المزدوجات * المتشابهات الحروف * المتماثلات

الصنوف مثل الذى صنع ابن شرف فى قوله غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك فاخش فاحش فعلك فعلك تهدى بهذا وله أيضا مثل هذا وهو نعمه نعمه نعمه نعمه نعمه نعمه نعمه اسم رجل ويعمه يتحير من قوله تعالى فى طغيانهم يعمهون وباقى الكلمات مفهوم الى غير ذلك مما يشكل حتى ينقط ويشكل ومثل هذا ما للحريرى فى مقاماته

زينت زينب بقد يقد * وتلاه ويلاه نهد يهد

فى أبيات له وهذه الابيات المذكورة قبل الشعر وبعده أخذتها من شعر لى مطول من هذا النوع عدده ثمانية وعشرون بيتا جمعته فى جزء مع ما لابن شرف فى ذلك من منثور مع أبيات لى أخر عددها أحد وأربعون بيتا قصدت بها أنواعا من المعمى واللغز منها أبيات ثمانية لا تقرأ البتة الا أن تشكل وتفسر مثل

نصيح تصيح بصيح نضيح * بصيح تصيح بضيح نضيح

وسأفسر لك هذا البيت مع الابيات الاثنى عشر قبل الشعر وبعده فى آخر الكتاب ان شاء الله تعالى وقد أوردت الكراسة المذكورة فى كتاب التكميل المذكور

(فصل) وهذا الكلام الذى سقته منثورا وفى صفة الابيات مذكورا قد نظمته فى أرجوزة لزوميه ذات قافية لاميه واعتنيت به هذا الاعتناء على ما فيه من العناء لانه الاصل فى الباب وعليه مدار الكتاب منه نبعت عيونه وتفرعت فنونه وها هى ذه فعه حلبتها فئه تزيد على المائه

قال ابن شيخ يملى * على الذى يستملى * هذا الكتاب أصلى * أعددته لاصلى به عظيم الجهل * حتى يرى يا أهلى * بالقرب لا بالمهل * يذوب ذوب المهل صنعته من أجل * عبد الرحيم نجلى * وذا كمو لعلى * أسقيه من ذا العل اذ قد روى من نهل * فهو أعز الاهل * باسم الحكيم العدل * سبحانه من عدل ما ان له من عدل * رب بعلم عدلى * قربه لا تعدلى * أملأ منه عدلى أفرغه فأملى * منه على المستملى * فصلا وأى فصل * فى وصف شعر الاصل فهو قصيد يسلى * قارئه فى رسل * بدر در الرسل * ليس بقول فسل ولا حرام بسل * بل من بلى نسلى * لكل هم مسلى * ضمن وزن فعل أو فعل أو فعل * واحتيل فى المعتل * منه وفى المختل * حتى اذا ما حلى

وزن فعول خلى * وبعد هذا الفعل * زوّجته كالنعل * لاختها فى الشكل
لكنه بالشكل * يدرى سم من فعل * ونعل من بعل * وفعل من فعلى
وجعل من جعل * وحمل من حملى * وجمل من جمل * وحبل من حبل
وخبل من خبل * ورمل من رمل * وذا كثير المثل * يعجز عنه مثلى
فمثل هذى السبل * تخفى على ذى النبل * الا بضبط الرجل * بالقيد أو بالجل
فارضع لبان النعل * واعلم بأن فعلى * لم أره بأشبلى * لاحد من قبلى
جئت به فى حفل * مسببا للنفل * فانهد به للختل * ولا تخف من قتل
فهو كمثل النصل * أبرزته للفصل * والفصل ضدّ الوصل * تعلو به وتعلى
لانه مستعلى * مستغلق لجعل * عليه أى قفل * فصار شبه القفل
واللغز حين يغلى * قلوبنا بالشغل * حتى اذا ما جلى * عنه بكشف الجل
صقل أى صقل * وخف بعد الثقل * واعلم أباذا العقل * ان ليس ذا من نقلى
للغربل للكهل * من لم يكن ذا جهل * جمعته فى مهل * من جبل وسهل
فاختلطت بالهزل * ألفاظه والجزل * وهاكها خلى * كعسل أو خل
نحمده أو نخل * فرغت من سجلى * نفسى دعا الاجل * نصوتى المهل
ودمعى المنهل * يارب ألف شملى * يارب خفف حملى * واغفر لعبد قل
بالذنب مستقل * ياسيدى وقل لى * رضيت بالاقل * منك فسر فى حل
لأشرف المحل * جنة عدل نزلى * لاتخشين عذلى * مؤملا وصلى
مؤمنا من فصلى * لك مناح فضلى * لك مباح بذلى * وبعد ذا أصلى
على الكريم الاصل * أحمد خير الرسل * وآله والنسل * والحمد وهو الكلى
* لله مولى الكل *

(فائدة فى القوافى * دامت لنا ولكم العوافى) ذكر ابن جنى رحمه الله فى عيوب الشعر الايطاء وهو أن يجمع فى شعر واحد بين كلمتين بلفظ واحد ومثل منه أمثلة * ثم قال فان اختلف المعنيان لم يكن ايطاء * وكذلك ان كانت احدى الكلمتين معرفة والاخرى نكرة لم يكن ايطاء * وهذا الرجز الذى تقدم على طوله وصعوبته * لما فيه من اللزوم ومؤنته * قد سلم من الايطاء بحمد الله وحسن معونته * وأما قولى فضلى وبذلى فقد تجمع الذال والضاد فى شعر واحد وستراه فى آخر الكتاب ان شاء الله تعالى * وخذ هذه الفائدة * على ما تقدم زائدة * فى معنى اللغز

هو

هو من قولهم ألغز اليربوع في جحره يمنة ويسرة وهو حفر يحفره عن يمين وشمال فيستخفي فيه يقال له اللغز واللغز وجمعه ألغاز واللغيزى بتشديد الغين مثل اللغز وليست الياء هنا للتصغير لان ياء التصغير لا تكون رابعة وسيأتي ذكر الشكل والشكل ان شاء الله تعالى وهذه أعزك الله الابيات المذكوره بين يديك مسطوره

أخي أجيء بقيل ثقيل * مهيب مهيب بطل بطل
كلام كلام وباء وثاء * بحدر بحذر مدل مذل
بنبي بنبي بأني باني * خلال جلال تحل بحل
بقيد بقند بعود يعود * بعيد بعيد المحل المحل
بحد بجد يقد بقد * بوشي بوشي تكسل تكسل
أخال اخال بقول تقول * يعيب بعيب بخل بخل
تريد يزيد كلامي كلامي * ووعر وعز فقل فقل
كثير كبير معين معين * لغات لعات كفل كفل
وآب وآب واب واب * وات وأث وبل وبل
وباء وباء وباء * وتاء وثاء وبل وبل
وباب وثاب وناب وتاب * وثاب وبات ويل ويل
واج واح وأخ وأخ * واخ واح وجل وجل
وجاء وحاء وخاء وحا * وجاء وجاء وحل وجل
وأحا وأحا وأخا وأحا * وواخا اخاء وجل وحل
وجاح وحاح وحاح وحاخ * وحاح وحاح وحل وحل
وأد وأد وأذ واد * وأد وأذ وذل وذل
وأدا وادا وآ دا وآذا * وادى واذى ودل ودل
وار وار وار وار * واز واز وزل وزل
وراء وراء وراء ورا * وراء وزاى وزل وزل
وزار وزار ورار ورار * وزار ورار وزل وزل
واط واط وطا * وطاء وظاء وطل وظل
والك والك والك * وكل وكل وكل وكل
وال وال وال وال * وال وال وال وال .

والاوالا والا والا * والا والا وال وال
وام وام وام وام * وام‌وام ومـل‌ومـل
وأن وان وان وان * وآن‌وآن‌ونـل‌وثـل
و انا وانا وانا وانا * واناواناوثـل ونـل
واص‌واص‌واص‌واص * واض‌واض‌وصل‌وضل
وأع‌أع‌وأغ أغ‌وواع‌وعا * وعاءوعل‌وغل‌وغـل
واف واف واف وفا * وفاءوقاء وفـل‌وقـل
واس واس‌واس‌واس * واش‌واش‌وسل‌وسل
وسـاء‌وشاء‌وساءوسا * وشاءوشاء‌وشل‌وشل
واه واه واه وهـا * وهاء وهاءوهل‌وهل
وأو وأو وآو وأو * ووأواء وأواوول‌وول
ولاء ولاء ولاء ولا * ولاو لأو لآل لأل
وآى‌وأى واى واى * وآء وآء وأيل أيـل
فرغنافرغبا‌ترب‌برب * عنّ بمنّ بحـل بخـل
خليل‌جليل‌حسيب‌حسبت * انى آتى مصـل مضـل
كسبر كسبر بطن بطين * وحاف‌وجاف يعل يعل
أبيت‌أتيت‌أمام‌امام * وورائى وراثى المدل المذل

بنى تركت لك هـذه الابيات ذوات الاشكال ذات اشكال لكونها برية من الضبط عرية عن النقط وفعلت ذلك لتفتح لها ذهنـك كما فتحت جفنـك وتشحذ قريحتـك فتريح ذبيحتـك وتنظر ما أنتجت معرفتـك وأخرجت مغـرفتـك فان كسوت الابيـات جلبابها ومنحت أسـبابها وفتحت أبوابها فاشكلها ببيانـك قبل بنانـك وبفصاحتـك قبـل راحتـك وأنت حينئـذ الولد وزين البلـد ولمثلك يقـال أجـدت طلبت فوجـدت بارك الله فيـك وفيما تخرجه من فيـك وان كانت الاخرى ولم تقو عليها البتـة وعجزت عنها قريحتـك الميتـة فانظرها فى آخر الكتاب مخطوطـه مشكولة منقوطـه مفسرة ميسرة مكسوة معطره وكف عن لومى وأمسـك

وبؤ بالعجز على نفسك وسل مرشدا وقل منشدا شعر

رحم الله الحريري لوكا * ن رأى قائل هذا سره
ودرى أن قد أتى بعده من * غاص فى البحر فوافى دره

وبعد فهي كما تراها نوع من المعمى والاسم الذى لا يسمى وضرب من اللغز وجنس من الرمز اذ يشكل حتى يشكل واذا شكل وقرئ لم يفهم اذ هو مبهم حتى يفتح مقفله ويشرح مغفله فاذا فسر يسر واذا شرح فتح فتلج ان شاء الله الباب ويرفع لك الحجاب فتدخل المجالس والقباب فتعتنق الكواعب الاتراب وتعتبق الالوة والكباب وتغتبق اللذيذ من الشراب بالكؤس والاكواب وتسمع تلك النغمات من القانيات وتلحظ ذلك النبات والزهر الذى هو أشتات وتنظر الثمر الذى فى الغراسات النابتات فى أشجار الجنات النابتات على الانهار الجاريات الى غير ذلك من الانواع المستحسنات والملاذ الطيبات لعلك تقول هذا الذى ذكرته من المعانى الفاخرة هى صفة جنات الآخرة فأقول ان فى الدنيا ما هو أشهى وأحلى مما ذكرت وأغلى هو العلم الذى لا شئ أنفع ولا أرفع منه ولا لاحد غنى عنه ومن طعم حلاوته وتنعم بآياته وسحب ضافى أثوابه وشرب صافى أكوابه لم يشتغل بسواه ولم يعدل عن صواه ورآه أنفع شئ ناله فى اكتسابه وأرفع ثوب اكتسى به ألم تسمع ما قاله الشاعر المصيب الذى نال من العلم أوفر نصيب

لئن رفع الغنى لواء مال * لأنت لواء علمك قد رفعتا
وان جلس الغنى على الحشايا * لأنت على الكواكب قد جلستا
ومهما افتض ابكار الغوانى * فكم بكر من الحكم افتضضتا

ثم قال يجهل من فضل المال على العلم

جعلت المال فوق العلم جهلا * لعمرك فى القضية ما عدلتا
وبينهما بنص الوحى بون * ستعلمه اذا طه قرأتا

يريد قوله تعالى وقل رب زدنى علما * وهذا الشاعر هو أبو اسحاق ابراهيم بن مسعود الالبيرى رحمه الله والقصيد حسن طويل كان الاستاذ الفقيه أبو عبد الله ابن سورة شيخى رحمه الله يحمل طلبته على حفظه لجودته ولو اكتفى أحد بما عنده من العلم لاكتفى موسى عليه السلام ولكنه طلب الزيادة فقال للخضر عليه السلام

فضيلة العلم

هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا * فلولا أن العلم أفضل الموجودات ما أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يستزيد منه * يروى انه لما كلمه الله تكليما ودرس التوراة حدثته نفسه ان الله تعالى لم يخلق خلقا أعلم منه فهون الله اليه نفسه بالخضر عليه السلام * خرج البخاري عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم أن موسى قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل أي الناس أعلم قال أنا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فقال له بل عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك الحديث دله فيه على الخضر عليهما السلام * قلت ومن يحيط بالعلم الا الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم فاذا ظن انه قد علم فقد جهل يروى أن مقاتل بن سليمان قال يوما وقد دخلته أبهة العلم سلوني عما تحت العرش الى أسفل الثرى فقام اليه رجل فقال له ما نسألك عما تحت العرش ولا أسفل الثرى ولا نسألك الا عما كان في الارض وذكره الله في كتابه * أخبرنا عن كلب أصحاب الكهف ما كان لونه فأفحمه * وقال عالم آخر كذلك سلوني من العرش الى الفرش أخبركم به فقال له رجل من عرض الدنيا أسألك عن معاء النملة أفي نصفها الاعلى هو أو في نصفها الاسفل فقال لا أدري فأفحمه * وقال أحد الحكماء لست أطلب العلم طمعا في غايته * والوقوف على نهايته ولكن التماس ما لا يسع جهله * وقال مالك بن دينار رضي الله عنه من طلب العلم لنفسه فالقليل منه يكفيه * ومن طلبه للناس فحوائج الناس كثيرة * وقال ابن قتيبة من أراد أن يكون عالما فليطلب فنا واحدا من العلم * ومن أراد أن يكون أديبا فليتفنن في العلوم * وقال ابن سيرين العلم أكثر من أن يحاط به فخذ من كل شيء أحسنه * وقال الشاعر

يلومونني ان رحت للعلم طالبا * أجمع من عند الرواة فنونه
وأكتب ابكار العلوم وعونها * وأحفظ مما أستفيد عيونه

(فصل) ومما كتبته في كتاب لبعض الاصحاب اعلم أيها المتعلم أن العلم انما هو بالتعلم * مع توفيق العلام * ذي الجلال والاكرام * الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم * والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون * فمن شكر الله زاده * وجعل التقوى زاده * ومن اتقاه علمه * وأراده وفهمه * واتقوا الله ويعلمكم الله

وقال

وقال بعض الشعراء وكان قد رجع فى حفظه الى وراء

شكوت الى وكيع سوء حفظى * فأومأ الى ترك المعاصى
وقال بأن هـذا العلم نور * ونور الله لا يؤتاه عاصى

ولكل شئ سبب * وسبب العلم التعلم * وهو لا ينال بالتراخى * ولا يدرك بالهوينا * بل بالجد والعزم * والقوة والحزم * كما قال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة وقال الشاعر

أعكف على الكتب وادرس * تؤتى فخار النبوة
فالله قال ليحيـــى * خذ الكتاب بقوة

وفى كتاب مسلم بن الحجاج رحمه الله * لا ينال العلم * براحة الجسم * وقديما مازال أهل العلم والادب * ينسلون اليه من كل حدب * يجتنون أزهاره ويقطفون ثماره * يستكثرون منه بحفظه * ويؤثرون ولو لفظه * يدأبون فى جمعه وضمه * وينصبون فى حفظه وفهمه * حتى ان أحدهم اذا كانت له به صبابه * ونال منه أدنى صبابه * جعله أكبر همه * وفداه بابيه وأمه ولم ينكب عن أمه بل واصل فيه ليله بنهاره حتى وصل الى أنهاره وأذاب مهجته حتى اقتحم لجته فاستطاب فيه العذاب لما ورد مياهه العذاب واستسهل ماناله فيه من العنا حين أوقفه على المنى فقال

فهـذا الصنف فى الدنيا قليل * لعمرك بل أقل من القليل
بحقك هل رأيت لذا شبيها * بعصرك ذا أبن لى يا خليلى

من يضاهى هذا أو يجاريه وقد علا القمر فى مجاريه فان أضاف الى العلم العمل فقد نال الامل ورحل الى زحل وسما الى السما ولحق بالملأ الاعلى وكان حبيب الله تعالى * وقد قيل من عمل بما يعلم ورثه الله علم مالم يعلم وقالت الحكماء قال العلم التمسنى فان لم تجدنى فاعمل باحسن ماتعلم فاذا فعلت فأنا معك وما أمدح هذا البيت

حاز الشريفين من علم ومن عمل * وقلما يتأتى العلم والعمل

وأقول

تريد تدرك هـذا * وأنت فى اللهو تدرج
هيهات رمت محالا * ماذا بعشك فاخرج

ولقد أبلغ الذى قال

دنوت للمجد والساعون قد بلغوا * جهد النفوس وألقوا دونه الازرا
وكابدوا المجد حتى مل أكثرهم * وعانق المجد من أوفى ومن صبرا
لا تحسب المجد تمرا أنت آكله * لن تدرك المجد حتى تلعق الصبرا

بعيد أن يناله * أهل اللهو والبطاله * ما يناله الا الحازمون أولوا العقول

ولله در الذى يقول

شروط العلم أربعة * فأولها التفرغ له
ودرس ثم فهم ثم حمل كه عن الحمله
شروط من تكن فيه * والا لم ينل أمله

فالعلم اذا أعطيته كلك أعطاك بعضه وقلت فى هذا المعنى

اعلم بأن العلم ذوهمة * وهو عزيز النفس ذوغيره
ينيلك البعض من انواره * ان لم تكن مصطحبا غيره
وان تكن مشتغلا مقبلا * على سواه لم تنل خيره
فاطرح الاشغال واعكف على * تحصيل ما يعطى وسر سيره
واحفظه واذكره ولا تنسه * واعمل به تنج من الحيره

واذا كان العلم بهذه الصفه * التى وصفه بها أهل المعرفه * فكيف ينقاد لاهل الرقاد * وهل قط وصل * الذى كسل * أيستوى من درس وتعب مع من لها ولعب * هيهات هيهات هذا ضرسه * وذاك طرسه * كذلك بينهما ما بين التبر والترب * والسمك والسماك فى القيمة والقرب * وبجماع الامر وملاكه * وفيه يتبين حياة المرء وهلاكه * من كان همه بطنه وفرجه فلا ترجه * لذلك قلت

اذا أعطيت بطنك ما اشتهاه * وفرجك سؤله أنت البهيمه
وأخشى أن يقال غدا لك اذهب * فمالك عندنا والله قيمه
أتطمع أن تنال نعيم الاخرى * وقد آثرت دنياك الذميمه
محال نيل هذا بعد هذا * أيحضر عاجز قسم الغنيمه
اذا لا فضل للطاوى حشاه * على من بطنه أبدا وليمه
فدع عنك الأمانى فهى زور * فليتك لو نجوت مع الهزيمه

ومع

ومع هذا فلا معطى ولا مانع * ولا ضار ولا نافع * الا الله سبحانه وتعالى * فمن أعطاه الله وصل * ومن حرمه انفصل * كم رأينا من أتعب نفسه فى الطلب وأنفذ عمره فى جمع الكتب * والحرمان يبعده * والبله يقعده * لكن اذا كان قصده وجه الله تعالى * فانه لا يضيع بكرم المولى * فانه يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب علما فأدركه كتب له كفلان من الاجر وهذه فائدة الطلب لله تعالى * ان وفق أيضا لهذه الطريقه * نسأل الله تعالى التوفيق * وهداية الطريق * لكنه يقال * من أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له * ومن أكثر من شئ عرف به * وفى مصاحبة العلماء وحضور مجالسهم خير كثير * وفضل كبير * يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كونوا علماء صالحين فان لم تكونوا علماء فجالسوا العلماء واسمعوا علما يدلكم على الهدى * ويردكم عن الردى * وكان يقال علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم فانك اذا فعلت ذلك علمت ماجهلت وحفظت ماعلمت * وقال أبو الدرداء رضى الله عنه لأن أتعلم مسألة أحب الىّ من قيام ليلة * ويروى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنه * وطلبه عباده * ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد * وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة * وبذله لاهله قربه * لانه معالم الحلال والحرام * ومنار سبل أهل الجنة * والانيس فى الوحشه * والصاحب فى الغربه * والمحدّث فى الخلوة * والدليل على السراء والضراء * والسلاح على الاعداء * والزين على الاخلاء * يرفع الله به أقواما ويجعلهم فى الخير قادة وأئمة تقتفى آثارهم * ويقتدى بأفعالهم وينتهى الى آدابهم * ترغب الملائكة فى خلتهم * وبأجنحتها تمسحهم * يستغفر لهم كل رطب ويابس حتى الحيتان فى البحر وهوامه * وسباع الطير وأنعامه * لانّ العلم حياة القلوب من الجهل ومصباح الابصار من الظلم ويبلغ بالعلم منازل الاخيار * والدرجة العليا فى الدنيا والآخرة * والتفكر فيه يعدل بالصيام * ودراسته بالقيام به توصل الارحام * ويعرف الحلال من الحرام * العلم امام والعمل تابعه * يلهمه الله السعداء ويحرمه الاشقياء * وفى بعض الاخبار ان أهل الجنة يحتاجون الى العلماء كما يحتاجون اليهم فى الدنيا * وذلك أنهم يرون ربهم فى كل جمعة فيقول تمنوا علىّ ماشئتم فيلتفتون الى العلماء فيقولون ماذا نتمنى على ربنا فيقولون تمنوا

النظر الى وجه الله تعالى * وقال الحسن بن على رضى الله عنهما من أكثر من مجالسة العلماء أطلق عقال لسانه * وفتق مارتق من ذهنه * وسره ماوجد من الزيادة فى نفسه * وكانت له ولاية لما لا يعلم * وافادة لما تعلم وبعد هذا فعليك بالجد * ان ساعدك الجد * فبعد جهدك لاتلام * ياغلام *

(فصل) وفضل العلم كبير * والكلام فيه كثير * وحسبك أن ابن عبد البر ألف فيه وحده سفرا كبيرا * فماذا عسى أن أقول فيه لكن لا أخليك من بعض ذلك * ومن أمدح ماقيل فى العالم

أخو العلم حى خالد بعد موته * وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهوماش على الثرى * يعد من الاحياء وهو عديم

هذان البيتان لابن السيد رحمه الله * ويروى أن سفيان الثورى رحمه الله لما قدم عسقلان مكث ثلاثا لا يسأله انسان عن شئ فقال اكتروالى أخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم * وقال فتح الموصلى أليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا نعم قال فكذلك القلب اذا منع الحكمة ثلاثة أيام يموت * وقال أبو الدرداء رضى الله عنه لأن أتعلم مسألة من العلم أحب الى من قيام ليلة * وجاء فى الحديث طلب العلم فريضة على كل مسلم وقد حدثنى شيخى الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم السلفى الاصفهانى رحمه الله بمدينة الاسكندرية حماها الله سنة اثنتين وستين وخمسمائة * قال سمعت القاسم بن الفضل الثقفى رئيس أصفهان يقول سمعت أبا عمرو محمد بن بالوية النيسابورى بها يقول سمعت محمد بن يعقوب الاصم الاموى يقول سمعت الربيع ابن سليمان يقول سمعت الشافعى يقول طلب العلم أفضل من صلاة النافلة وهذا كما تراه * وفصل الخطاب * ماقاله ابن شهاب * وقد سئل رحمه الله أيما أفضل العلم أو العمل فقال العلم لمن جهل والعمل لمن علم * وفى الشهاب مااسترذل الله عبدا الا حظر عنه العلم والادب * وقال على ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك * وقال عليه الصلاة والسلام ما نحل والد ولدا أفضل من أدب حسن * وقيل من أدب ولده * أرغم حسده ومن لم يجلس فى الصغر حيث يكره لم يجلس فى الكبر حيث يحب * وسيأتيك قول ابن عباس رضى الله عنهما ذللت طالبا فعززت مطلوبا وانظر قوله رضى الله

عنه

عنه ذلت لطالب اهل تذلل الا للمعلم * وكذلك ينبغي للطالب والالم يحصل له شئ * ألم تسمع قول الشاعر

ان المعلم والطبيب كلاهما * لا ينصحان اذا هما لم يكرما
فاصبر لدائك ان جفوت طبيبه * واصبر لجهلك ان جفوت معلما

هذا زيد بن ثابت رضي الله عنه ركب فأخذ عبد الله بن عباس بركابه فقال لا تفعل يا ابن عم رسول الله * قال هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا قال له زيد أرني يدك فأخرج اليه يده فأخذها وقبلها * وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا وسأل رجل بعض العلماء فقال أيحسن بي أن أتعلم وأنا كبير فقال ان كان يحسن بك أن تعيش فانه يحسن بك أن تتعلم * وقال آخر ان كانت الجهالة تقبح بك فان التعلم يحسن بك * ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال له رجل أريد ان أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال كفى بتركك العلم اضاعة * وكان عطاء يقول وددت اني أحسن العربية وهو يومئذ ابن تسعين سنة * ويروى عن علي رضي الله عنه انه قال كل يوم لا أزداد فيه علما فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم * وخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا ان الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه أو عالم أو متعلم * وقال سفيان بن عيينة أحوج الناس الى العلم العلماء لان الجهل بهم أقبح وهم أعلام ومنارات يهتدى بهم وقال بعض الحكماء العالم يعرف نقص الجاهل لانه كان جاهلا والجاهل لا يعرف فضل العالم لانه لم يكن عالما * ومن أمثالهم من جهل شيئا عاداه * وفي ذلك يقول ابن دريد

جهلت فعاديت العلوم وأهلها * كذاك يعادي العلم من هو جاهله
ومن كان يهوى أن يرى متصدرا * ويكره لا أدري اصيبت مقاتله

وكما قيل

ما الفضل الا لاهل العلم انهم * على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه * والجاهلون لاهل العلم أعداء

وقبل هذا

الناس من جهة التمثيل اكفاء * أبوهم آدم والام حواء
نفس كنفس وأرواح مشاكلة * وأعظم خلقت فيهم وأعضاء

فان يكن لهم من أصلهم حسب * يفاخرون به فالطين والماء

يروى أن قائل هذه الابيات علي بن أبي طالب رضي الله عنه وصدق فانه ليس على العالم شئ أصعب ولا أتعب من جاهل يغالطه بالجهل اذا لم يكن عنده عالم يفقه كلامه وكان مالك رحمه الله كثيرا ما يتمثل بقول القائل

وان عناء أن تفهم جاهلا * فيحسب جهلا أنه منك أفهم

متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

ويروى عن النسابة البكرى أن للعلم آفة وهجنة ونكدا فآفته نسيانه ونكده الكذب فيه وهجنته نشره عند غير أهله وقال أبو حامد ليس الظلم في كف العلم عن أهله بأقل منه في بثه لغير أهله

فمن منع الجهال علما أضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم

يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال واضع العلم في غير أهله كمقلد الخنازير اللؤلؤ والجوهر والذهب * وعن عيسى عليه السلام لا تطرحوا الدر بين أرجل الخنازير يعني العلم عند الجهال وقال أيضا عليه الصلاة والسلام لا تنطقوا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم وهذا الخبر هو في روايتي بسند عال وهو حديث حسن يشتمل على آداب ومواعظ أردت ان أثبته لك هنا بسندي ياولدي حدثني الحافظ السلفي بقراءتي عليه قال حدثني الرئيس أبو عبد الله القاسم بن الفضل الثقفي رئيس أصبهان بها قال حدثني أبو بكر بن الحارث أخبرنا عبد الله محمد بن جعفر حدثنا القاسم بن عبد العزيز البغوي حدثنا عبيد الله بن محمد العبسي حدثنا أبو المقدام هشام بن زياد حدثنا محمد بن كعب القرظي قال عهدت عمر بن عبد العزيز وهو أمير علينا بالمدينة للوليد بن عبد الملك وهو شاب غليظ ممتلئ الجسم فلما استخلف أتيته بخناصرة فدخلت عليه وقد قاسى ما قاسى فاذا هو قد تغيرت حالته عما كان فجعلت أنظر اليه نظرا لا أكاد أصرف بصري عنه فقال انك لتنظر الي نظرا ما كنت تنظره الي ياابن كعب فقلت نعم تعجبني فقال وما يعجبك قلت ما حال من لونك وشعث من شعرك ونحل من جسمك فقال كيف لو رأيتني ياابن كعب في قبري بعد ثالثة حين تقع حدقتاي على وجهي ويسيل منخراي وفي صديدا ودودا كنت لي أشد نكرة ثم قال أعد علي حديثا حدثتنيه عن ابن عباس فقلت حدثنا ابن عباس رضي الله عنهما

ان

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لكل شئ شرفا وان أشرف المجالس ما استقبل به القبلة وانما تجالسون بالامانة ولا تصلوا خلف النائم ولا المحدث واقتلوا الحية والعقرب وان كنتم فى صلاتكم ولا تستروا الجدر بالثياب ومن نظر فى كتاب أخيه بغير اذنه فكأنما ينظر فى النار ومن أحب ان يكون أقوى الناس فليتق الله ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى أيدى الناس ألا أنبئكم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال من نزل وحده ومنع رفده وجلد عبده أفأنبئكم بشر من هذا قالوا بلى يا رسول الله قال من يبغض الناس ويبغضونه أفأنبئكم بشر من هذا قالوا نعم يا رسول الله قال من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنبا وأنبئكم بشر من هذا قالوا نعم يا رسول الله قال من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره * روى أن عيسى بن مريم قام فى بنى اسرائيل فقال يا بنى اسرائيل لا تتكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تضعوها عند غير أهلها فتظلموها وقال مرة فتظلموهم ولا تظلموا ولا تكافؤا ظالما فيطل فضلكم عند ربكم يا بنى اسرائيل الامر ثلاث أمر تبين رشده فاتبعوه وأمر تبين غيه فاجتنبوه وأمر اختلف فيه فردوه الى الله عز وجل ويروى عن الشافعى رضى الله عنه

أأنثر دراً بين سارحة النعم * وأنظم منثوراً لراعية الغنم

وقال أبو العباس الناشى

واذا بليت بجاهل متحامل * حسب المحال من الامور صوابا
أوليته منى السكوت وربما * كان السكوت عن القبيح جوابا

وقيل لبعضهم مالكم لا تعاتبون الجهال ليعلموا فقال انا لا نكلف العمى بأن يبصروا ولا الصم بأن يسمعوا ومن أحسن ماقيل فى الجهل قول صالح ابن عبد القدوس

لا تبلغ الاعداء من جاهل * ما يبلغ الجاهل من نفسه
والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يوارى فى ثرى رمسه
اذا ارعوى عاد الى غيه * كذى الضنى عاد الى نكسه

وجاء فى الخبر أن الله تعالى لا يعذر على الجهل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله ولا يحل للعالم أن يسكت على علمه * ويروى معنى هذا عن على بن

أبي طالب رضي الله عنه لا خير في الصمت عن العلم كما لا خير في الكلام عن الجهل وكان سهل رحمه الله يقول ما عصي الله بمعصية أعظم من الجهل * قيل يا أبا محمد فهل تعرف شيئا أشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل * وفي مثل هذا أنشدوا

ومن أعجب الاشياء أنك لا تدري * وأنك لا تدري بأنك لا تدري
فان كنت لا تدري ولم تك بالذي * يسائل من يدري فكيف اذا تدري
تمام العمى طول السكوت وانما * شفاء العمى يوما سؤالك من يدري

ويروى عن علي رضي الله عنه أنه قال لا يستحي جاهل أن يسأل عما لا يعلم ولا يستحي عالم اذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم * قلت وليس عارا على من ليس يعلم علما أن يقول اذا ما سئل لا أدري فذلك أحسن من أن يفتي الناس بالجهل الذي أولى بنفسه أن يزري * قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا أخطأ العالم لا أدري أصيبت مقاتله * ويروى عن مالك رضي الله عنه انه كان يكتب اليه بالمسائل فيجيب في الاقل منها ويكتب على الاكثر لا أدري والشئ يعرف بضده * فكذلك أيضا ما أطيع الله تعالى بمثل العلوم * ومن العلم العلم بالعلم أي شئ هو * وقد ذكر أبو طالب في القوت ان الناس ألفوا كتبا كثيرة وسموا ما فيها علما وليس كذلك * هذا معنى كلامه رحمه الله وان لم يكن لفظه كذلك ورأيت لأبي الوليد الوقشي

برّح بي أن علوم الورى * علمان ما ان فيهما من مزيد
حقيقة يعجز تحصيلها * وباطل تحصيله لا يفيد

قلت ولست ترى صاحب علم أي علم كان الا وهو يرى أن لا فوق ما يعلم ان كان صاحب علم حديث يرى فضله على ما سواه * وصاحب علم القرآن يرى نفسه فوقه بدرجات * وصاحب علم التفسير يرى غيره بعين التحقير * وصاحب الفقه يقول لا شئ فوقه * وصاحب الادب واللغة يقول هذا الذي به أخبرت هو الطريق الذي يفهم به كل ما ذكرت * وصاحب الطب يقول حفظ الصحة هو الاصل الذي تقوى به على العبادة حتى صاحب النجوم والحساب * يقول لا بد من معرفة هذا بلا ارتياب وصاحب الاصول يزيد على هذه الفصول ويقول يكفي أن اسمه أصل ولا يثبت الفرع بغير أصل وأما صاحب الكلام فعلى رسول الله السلام * وكل يرى أن مذهبه ورقه مذهبه * ثم يرجع كل على مخالفه في الطريقه * فلا يبلعه ريقه * حدثني الحافظ أبو الطاهر السلفي رحمه الله عن بعض شيوخه انه كان يقول الحديث عن

فى عز * والفقه خبز فى خبز والكلام رزفى رز * وينشد لنفسه

أهل الحديث هم الرجال النزل * ومن المعالى فى الاعالى نزل
هل يستوى السمك الذى تحت الثرى * أبدا مقيم والسماك الاعزل

ويقول

العلم باب للشرف * ومامن العلم خلف
وكل من خالفنى * بابه تبن وعلف

وأنشدنى الفقيه المحدث أبو محمد عبد الحق الازدى لنفسه

ياطالبا للعلم مسترشدا * مستنصحا ان قبل الناصحا
ان كنت تبغى سننا قاصدا * تسألنى منتهجا واضحا
فاركض الى النص مطى السرى * فان فيه المتجر الرابحا
واطرح الرأى وأصحابه * ولاتكونن له لامحا

وقال الخليل بن أحمد العلوم أربعة فعلم له أصل وفرع وعلم له أصل ولا فرع له وعلم له فرع ولا أصل له وعلم لا أصل له ولا فرع * فأما الذى له أصل وفرع فالحساب ليس بين أحد من الخلق فيه اختلاف وأما الذى له أصل ولا فرع له فالنجوم ليس لها حقيقة علم يبلغ تأثيرها فى العالم يعنى الاحكام والقضايا على الحقيقة * وأما الذى له فرع ولا أصل له فالطب أهله منه على التجارب الى يوم القيامة * وأما الذى لا أصل له ولا فرع فالجدل وقال غيره شر العلوم الفلسفة ولذلك يقول الفقيه الزاهد أبو عمران موسى بن عمران القيسى المعروف بالميرتلى رضى الله عنه

شر العلوم اذا اعتبر * ت أخى علم الفلسفه
لاتعلق بها لسا * نا ماحييت ولاشفه
لاخير فيما الفل أو * له وآخره سفه

وهذا الشاعر أحد الاذكياء الاولياء انظر حديثه فى باب التاء من هذا الكتاب الى غير ذلك مما يهول أمره ويطول ذكره وسيأتى منه طرف فى ذم القياس فى باب الميم * وأما أهل التصوف فيرون العلم علم الباطن من الايمان والتوحيد وعلم المعرفة واليقين وخواطر القلوب ومعاملة علام الغيوب ولعمر الله ان من ليس عنده علم بالله ولا أحكامه ولا حلاله وحرامه انه لمنزل عن العلم بمعزل وفصل الخطاب ان كل علم أريد به وجه الله وقام صاحبه فيه بأمر الله فهو ناج ان شاء الله وهذا كله بعد حصول مالا بد منه مما هو فرض عليه وقال سالم بن أبى الجعد اشترانى

مولاى بثلثمائة درهم فأعتقني فقلت بأى حرفة أحترف فاحترفت العلم فما تمت لى سنة حتى أتانى أمير المؤمنين زائرا فلم آذن له ان قلت كيف هذا قيل العلماء اذا علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا فاذا شغلوا فقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا فاذا هربوا أمنوا فهذا مولى قد فاق بعلمه الاشراف * ومثل هذا ما روى حميد الطويل رضى الله عنه قال قدم رجل من أهل البادية البصرة فاستقبله خالد بن مهران فقال له يا أبا عبد الله أخبرنى عن سيد أهل هذا المصر من هو قال الحسن ابن أبى الحسن قال أعربى أم مولى فقال مولى قال لمن قال للانصار قال فيم سادهم قال احتاجوا اليه فى أمر دينهم واستغنى هو عن دنياهم فقال البدوى كفى بهذا اسوددا وسيأتى طرف من فضائل الحسن ان شاء الله تعالى * وهذه رابعة البصرية كانت أمة كبيرة يطاف بها فى سوق البصرة ولا يرغب فيها أحد لكبر سنها فرحمها بعض التجار واشتراها بنحو مائة درهم وأعتقها فاختارت العلم والعمل وأقبلت على العبادة فما تمت لها سنة حتى زارها زهاد البصرة وقراؤها وعلماؤها لعظم شأنها * وفيما أجازنى شيخى أبو عبد الله بن الفخار رحمه الله بسنده الى عبد الله بن وهب قال دخل عبد الملك بن مروان المسجد الحرام فرأى حلق العلم والذكر فأعجب بها فأشار الى حلقة فقال لمن هذه فقيل لعطاء ونظر الى أخرى فقال لمن هذه فقيل لميمون بن مهران ونظر الى أخرى فقال لمن هذه فقيل لمكحول ونظر الى أخرى فقال لمن هذه فقيل لمجاهد وكلهم من أبناء الفرس الذين من اليمن فرجع الى منزله وبعث الى أحياء قريش فجمعهم فقال يا معشر قريش كنا فيما قد علمتم فمن الله علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبهذا الدين فحقرتموه حتى غلبكم أبناء الفرس فلم يرد عليه أحد الا على بن الحسين فانه قال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم * ثم قال عبد الملك ما رأيت كهذا الحى من الفرس ملكوا من أول الدهر فما احتاجوا الينا وملكناهم فما استغنينا عنهم ساعة فان قلت هذا النوع الذى ذكرت قبل هذا ليس من قبيل هذا بل هو غيره اذ شرف كل علم بشرف معلومه * ولذلك كان العلم والتفقه فى كتاب الله تعالى وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم أشرف العلوم وأنفعها فى الدنيا والآخرة وكل علم لا يدل على الله ولا توجد علامته على صاحبه فهو وبال وحجة عليه * كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم وعلم بالقلب

فذلك العلم النافع * وعن عيسى عليه السلام ما أكثر الشجر وليس كلها بمثمر وما أكثر الثمر وليس كلها بنافع وما أكثر العلماء وليس كلهم بمرشد * وقال بعض الموفقين اطلب العلم لتعمل به ولا تطلبه لتباهي به العلماء وتماري به السفهاء وتأكل به مال الاغنياء وتستخدم به الفقراء فانما لك من علمك ما عملت به وعليك ما ضيعت منه * وقال عبد الله من تتبع العلم أو قال الاحاديث ليحدث بها لم يجد ريح الجنة * وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه اعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله بعلم حتى تعملوا * وقال الحسن رضي الله عنه اعتبروا الناس بأعمالهم ودعوا قولهم فان الله تعالى لم يدع قولا الا جعل عليه دليلا من عمل يصدقه أو يكذبه فاذا سمعت قولا حسنا فرويدا بصاحبه فان وافق قوله عمله فنعم ونعمت عين أخيه وأوداته وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان الناس قد أحسنوا القول كلهم فمن وافق فعله قوله فذلك الذي أصاب حظه ومن خالف قوله فعله فانما يوبخ نفسه وقال الحسن رضي الله عنه في قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال العمل الصالح يرفع الكلام الى الله فاذا كان كلام طيب وعمل سيء رد القول على العمل وكان العمل أحق به من قوله * وقال ابن مسعود رضي الله عنه ويل لمن لا يعلم ولو شاء الله لعلمه وويل لمن يعلم ثم لم يعمل سبع مرات * وكان من نقش خاتم الحسن رضي الله عنه علمت فاعمل وفي قصيد الالبيري في العلم من هذا المعنى

فواطبه وخذ بالجد فيه * فان أعطاكه الله أخذتا
وان أوتيت فيه طول باع * وقال الناس انك قد سبقتا
فلا تأمن سؤال الله عنه * بتوبيخ علمت فهل عملتا

وهذا المعنى قد سبق اليه أبو الدرداء رضي الله عنه قال ان أخوف ما أخاف اذا وقفت على الحساب أن يقال لي قد علمت فما عملت فيما علمت وذلك ان المرء في الدنيا مبتلى بأربعة أشياء وهي الدنيا والشيطان والنفس والهوى وقد جمعهن الشاعر في قوله

اني بليت بأربع يرمينني * بسهام قوس مالها وتير
ابليس والدنيا ونفسي والهوى * يارب أنت على الخلاص قدير

فيحتاج الى أربعة أشياء يقاوم بها هذه الاربعة المذكورة وهي العلم والعمل والاخلاص والخوف فيعلم أولا الطريق والا فهو أعمى ثم يعمل بالعلم والا فهو محجوب ثم يخلص العمل والا فهو مغبون ثم لا يزال يخاف ويحذر من الآفات الى

أن عدالامان والافهومغرور * ولذلك قال ذوالنون رحمه الله الخلق كلهم موتى الا العلماء والعلماء كلهم نيام الا العاملين والعاملون كلهم مغترون الا المخلصين والمخلصون على خطر عظيم وتقدم ان الشاعر جمع الصفات الاربع المتقدمة في بيت ورأيتها لابي عمران موسى الميرتلي الزاهد رضي الله عنه مجموعة في بيت وقد زاد عليها اثنتين فصارت ستا فقال

ست بليت بها والمستعاذ به * من شرها من اليه الخلق تبتهل
نفسي وابليس والدنيا التي فتنت * من قبلنا والهوى والحرص والامل
ان لم يكن منك يا مولاى واقية * من شرها فقد اعيت عبدك الحيل

وكان من دعاء من قرأت عليه اللهم اجعلنا ممن قرأ العلم وعلم ليعمل وعمل فتقبل منه وفي الشهاب ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وفي الحديث من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وأنشد الفقيه المذكور لنفسه في هذا المعنى

من كان منتفعا به وبعلمه * يقظا وفي عمل حليف نعاس
فمثاله المسكين عند تأمل * وتثبت كذبالة النبراس
يأتي عليها الاحتراق ودأبها * أبدا تزايد ضوئها للناس

قلت وما أحسنهما اذا اجتمعا وما اكثر انتفاعهما وأقل اجتماعهما ألم تسمع الى ماقاله أحد الشعراء يرثي أحد الفقهاء

حاز الثمر يفين من علم ومن عمل * وقلما يتأتى العلم والعمل

والكلام أيضا في مثل هذا يطول والحق ثقيل فان قلت كذا أقول لك وأنا لم أقل لك اترك مالا يسعك جهله لانه أول مايجب تحصيل الأهم فالأهم والأوكد فالأوكد فاذا أحكمت ذلك علما وعملا فالاشتغال بهذا خير من الاشتغال بطلب الدنيا وخير من جمع المال وتعلمه أنفع من تعلم الصناعة اذ هو ان أعطيته من كل حرفة أجود * ومن كل صنعة أعود * وأنت فان كانت لك همة وتذوقته فلن تتركه ولو نهيت عنه وأيضا فلن يمنعك عن طلب مايكفيك من الدنيا اذا قنعت به وأما أنا فما وضعت نوعا من العلم وضربا من اللغات كما وضعه غيري بل انما أخذت من تآليفهم وتطفلت على تصانيفهم فان قلت وأنت فهذا الذى ألفته وجمعته وفي هذا الكتاب أثبته ووضعته أحذر أن يكون من باب المباهاة والافتخار والمراآة

والاشتهار

والاشتهار وكم ضيعت فيه من زمان وعطلت عليه من أوان وقد كان الاشتغال
بذكر المولى أحق منه وأولى وقد جاء عن سفيان الثوري انه خلا مع الفضيل بن
عياض رضي الله عنهما فتذاكرا وبكيا فقال سفيان للفضيل اني لأرجو أن لا نكون
جلسنا مجلسا أعظم بركة من هذا المجلس فقال الفضيل لكني أخاف
أن لا نكون جلسنا مجلسا أضر علينا منه قال ولم يا أبا علي قال ألست قصدت الى
أحسن حديثك فحدثتني به وقصدت أنا الى أحسن حديثي فحدثتك به فتزينت لي
وتزينت لك فبكى سفيان أشد من بكائه الاول وقال أحييتني أحياك الله ومثل هذا
اعترى للفضيل قصده رجل فلما علم باقباله نحوه قفل بابه من خارج فلما جاء الرجل
ورأى الباب مقفلا انصرف فقيل له في ذلك فقال ما يصنع بي يظهر لي محاسن
كلامه وأظهر له محاسن كلامي وهذا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كتب
يوما كتابا أعجبه فخرقه الى غير ذلك من أخبار الصالحين ومراعاتهم لأوقاتهم
أن لا تذهب سدى كما روي عن عطاء انه قال كنت مع سفيان الثوري رضي الله
عنهما بمكة في المسجد الحرام ونحن نتحدث اذ قال لي سفيان يا عطاء نحن جلوس
والنهار يعمل عمله قلت انا لفي خير ان شاء الله قال أجل ولكنا نتلذذ به ثم قال يا عطاء
ان المؤمن ليرى في الموقف بعينه ما أعد الله له في الجنة وهو مع ذلك يتمنى انه لم يخلق
لشدة ما هو فيه مع أشياء سوى هذا تروى عن أهل الفضل مع قول الحكيم *

فلا تكتب بكفك غير شئ * يسرك في القيامة أن تراه

فأين أنت من هؤلاء الرجال وأين حالك من هذه الاحوال فأقول لكل مقام مقال
ولكل زمان رجال وعلى كل كلام جواب وفي كل مسئلة باب أول ما أقول لك
في ذلك لسنا نحن كأولئك لم نبلغ بعد الى مرتبتهم ولا ارتقينا الى درجتهم أولئك
قوم كفوا عن الحرام فكفوا وصفوا من الآثام فاصطفوا ونحن خلطنا وخبطنا
فخططنا وحبطنا وظلمنا فأظلمنا وما ظلمنا أسألك بحق ربك أين الذي اذا صلى بالناس
جهرا فأخطأ في قراءته أو خطب فأرتج عليه أو سئل عن مسئلة فلم يدر ما يقول فيها
أو كتب رسالة أو قال شعرا فأخطأ فيه أو لحن أو كسر لا يعز ذلك عليه ولا يبالبه
ولا يهتم به ولا يكترث له وهؤلاء هم القدوة وفيهم الاسوة وأما أمثالنا فأينا الذي اذا
أخطأ أو لحن لا يحزن لذلك ولا يغتم بل ليته لا يموت كمدا او يذوب حياء لا سيما ان كان
ذلك بحضرة من يتهيب بل ليته لا يعتذر من ذلك كأنه أذنب ذنبا بل ليته لا يكذب

في اعتذاره أم أبنا الذي لا يفرح اذا قيل له انك لفصيح وان خطك لمليح وان شعرك لطيب * وان صوتك لحسن * وانك لتتقن * وسريع الحفظ * بل لعله لا يغضب على من لا يبتدئه بذلك * يا أخي هذه منزلة ما بلغتها أنا بعد نعم ولا تحدثني نفسي بها الا أن يتداركني الله كما تدارك أولئك القوم فهو مولانا * كما هو مولاهم ونحن عبيده كما هم * ونحن الآن والحمد لله أحسن من غيرنا * ممن ألف كتبا في الاهجاء والامداح * وأبواب اللهو والمزاح * ومدح الراحة والراح وقد قيل لابن الاحنف مالك لا تكون كأبيك * قال دعوا أبي وقيسوني بأبنائكم * وقلما يشبه المرء أباه في العلم والحلم * وفي ذلك يقول الشاعر

اذا ما رأيت امرأ حاذقا * فكن في ابنه سيء الاعتقاد

فما ان ترى من نجيب نجيبا * وهل تلد النار الا الرماد

وكان لمالك بن أنس رضي الله عنه ولد يدخل ويخرج ولا يجلس معه في مجالس العلم فكان اذا نظر اليه يقول هاه ان مما يطيب نفسي ان هذا العلم لا يورث وان أحدا لا يخلف أباه في مجلسه الا عبد الرحمن بن القاسم ورآه يوما نازلا من فوق ومعه حمام قد غطاه قال فعلم مالك انه قد فهمه الناس فقال الادب أدب الله لا أدب الآباء والامهات والخير خير الله لا خير الآباء والامهات وسأل سفيان بن عيينة رحمه الله رجلا فقال يا أبا محمد نشدتك بالله أطلبت هذا العلم يوم طلبته لله فأعرض عنه سفيان وسأله ثانية وثالثة فقال سفيان اللهم لا انا طلبناه تأدبا وتظرفا فأبى الله الا أن يكون له وهذا الفن الذي أخذت انا فيه سأحتج عليه بما لا ينفيه قد قالت الفقهاء ما لا يتم الفرض الا به فهو فرض مثله أليس علم اللغة واللسان العربي مما لا يفهم كتاب الله الا بهما وكذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم * وليت شعري هل كان الفضيل بن عياض وسفيان الثوري ونظراؤهما من أهل العلم ممن لا يعد كثرة يجهلون هذا الشان وهل بلغوا الى ما بلغوا الا بالعلم بهذا وغيره وكذلك جميع ما في هذا الكتاب مذكور وهل هو الا من كتب الائمة مصابيح الامه أهل الفضل والعلم الذي حفظوا على الاواخر علم الاوائل وما أغفلوا منه لفظة حتى ذكروا في كتبهم مثل * حبطقطق وبشقشق وغير ذلك مما ترى بعضه في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وهل هذه الالفاظ وغيرها الا آلة من آلات العلم وأداة من أدواته ومن لم يدر لسانا ولا لغة فكيف يفهم أو بم يتكلم وقد قال بعض

الحكماء ليت شعري أي شئ أدرك من فاته العلم وأي شئ فاته من أدرك العلم وقال ابن المبارك عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه الى مكرمة ترى أحدا من هذه الجماعة ذم أهل هذه الصناعة كيف وعلم اللسان هو نصف الانسان * ومن لم يكن له لسان فهو أخرس ومن كان أخرس فهو بهيمة والله تعالى يقول الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان وقال تعالى الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم وقالوا ما الانسان لولا البيان الا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة وانما المكروه فى هذا الشان من قطع عمره كله بهذا الفن ولم يحسن غيره وأفنى زمانه فيه ولم يشتغل بسواه هذا عنده آلات كثيرة لم يعملها فى غيرها وانما أتقن بعضها ببعض وقعد وغيره استعمل هذه الآلات فى سائر الصناعات فأحرى بهذا أن يكون أعلى من ذلك وأنفس وأحذق وأكيس وباب العمل بالعلم باب آخر قد تقدم منه طرف وستطلع منه فى هذا الكتاب على أبواب كثيرة بحول الله تعالى ودونك أيها الولد فائدة زائدة طريفة أدبية * شريفة لغوية * تقدم حبطقطق وهذه اللفظة وقعت فى بيت من الشعر أنشده المازنى رحمه الله وهو

جرت الخيل فقالت * حبطقطق حبطقطق

يحكى صوت جرى الخيل كما قالوا الطقطقة أصوات حوافر الدواب مثل الدقدقة وكما قالوا جلنبلق لصوت الباب اذا فتح واذا أغلق ويكون الباب جافيا ضخما قال الشاعر فتفتحه طورا وطورا تجيفه * فتسمع فى الحالين منه جلنبلق

أنشده المازنى وساقه أهل اللغة شاهدا على أنه لا يوجد جيم وقاف فى كلمة واحدة من كلام العرب الا أن يكون معربا أو حكاية صوت نحو الجردقة وهى الرغيف والجرموق الذى يلبس فوق الخف والجرامقة قوم بالموصل أصلهم من العجم والجوسق القصر وجلق بكسر الجيم واللام مع التشديد موضع بالشأم والجوالق الوعاء بضم الجيم وجمعه جوالق بفتحها وغير ذلك أشياء قليل عددها استعلمها اذا علمت كما تجهلها اذا جهلت * وخذ أيها الولد النبيل * فائدة فى التقبيل * تقدم ان زيد بن ثابت قبل يد عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال أهل العلم قبلة الامام فى اليد وقبلة الام فى الرأس وقبلة الاخ فى الخد وقبلة الاخت فى الصدر وقبلة الزوجة فى الفم * وقيل قبلة المؤمن المصافحة وقبلة الوالد الولد فى الرأس وقبلة الام الولد فى الخد وقبلة الاخ الاخت فى العين وقال على بن أبى طالب رضى الله

فائدة لغوية

عنه قبلة الولد رحمة وقبلة المرأة شهوة وقبلة الوالدين عبادة وقبلة الاخ أخاه دين وقبلة الامام العادل طاعة * يروى ان أبا عبيدة قبل يد عمر رضي الله عنهما ثم تناول رجله فقال أما هذا فلا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صافحه انسان لم ينزع يده من يده حتى يكون ذلك الانسان الذى ينزع يده وكره مالك رحمه الله تقبيل اليد وقال انه من صنيع الاعاجم وكذلك قال هشام لرجل قبل يده أفه ان العرب ما قبلت الايدى الا هلوعا ولا فعلته الاعاجم الا خضوعا واستأذن رجل المأمون فى تقبيل يده فقال ان قبلة اليد من المسلم ذلة ومن الذمى خديعة ولا حاجة بك أن تذل ولا بنا أن نخدع * واستأذن أبو دلامة الشاعر المهدى فى تقبيل يده فقال أما هذه فدعها قال ما منعت أم عيالى شيئا أيسر فقدا عليهم من هذه

(فصل) وقد قالوا فى البلاغة ان اللسان نصف الانسان ومن قال ذلك احتج بقول الاعور الشنى

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم
وكائن ترى من صامت لك معجب * زيادته أو نقصه فى التكلم

وقال يحيى بن خالد ما رأيت رجلا قط الا هبته حتى يتكلم فان كان فصيحا عظم شأنه فى صدرى وان كان مقصرا سقط من عينى وهذا مقتضى قول بعض المتقدمين المرء مخبوء تحت لسانه * وسئل الخليل عن البلاغة فقال كلمة تكشف عن البغية وقال المفضل قلت لبعض الاعراب ما البلاغة قال الايجاز فى غير عجز والاكثار فى غير خطل وهذا أيضا معنى قول جعفر بن يحيى اذا كان الاكثار أبلغ كان الايجاز تقصيرا واذا كان الايجاز كافيا كان الاكثار عيا * ووصف يحيى بن زياد رجلا بالبلاغة فقال أخذ بزمام الكلام فقاده أحسن مقاد وساقه أحسن مساق فاسترجع به القلوب النافره واستصرف به الابصار الطامحه * وقال العتبى قيل لمسلمة بن بلال العبدى خطب جعفر بن سليمان خطبة لم نر أحسن منها وما درينا أوجهه كان أحسن أم كلامه فقال أولئك قوم بوجه الخلافة يشرقون وبلسان النبوة ينطقون * وسأل المأمون العباس بن الحسن الطالبى عن رجل فقال رأيت له حلما وأناة ولم أرهما لك مجلة لا تسمع له لحنا ولا احالة يحدثك الحديث على مطاويه وينشدك الشعر على مدارجه ويخبرك بالاخبار المتقنة ويرى

البلك

اليك بالامثال المحكمة * وقال الكسائي لقيني اعرابي بمكة فجعلت أسأله وألح عليه فقال ما رأيت رجلا أقدر على كلمة الى جنبها كلمة أشبه شئ بها وأبعد شئ منها منك وقيل لرجل قرشي ما بال العرب تطيل كلامها وتقصرونه معاشر قريش فقال بالجندل يرمي الجندل ان كلامنا يقل لفظه ويكثر معناه ويكتفي بأوله ويستغني بآخره * وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلي وسمع شاعرا ينشد شعرا وقد أساء قولا وانشادا ان من الشعر يوتا ملس المتون قليلة العيون ان قصدتها لم تسالها وان سمعتها لم تنفكه بها كذا رأيته قليلة العيون وأظنه كليلة والله أعلم وقال اسحاق بن ابراهيم هذا أنشدت الرشيد شعرا مدحته به أقول فيه

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري * فليس الى ما تأمرين سبيل

وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى * ورأي أمير المؤمنين جميل

قال فالتفت الى الفضل بن الربيع وقال يا عباسي قاتل الله أبياتا لا يزال يأتينا بها الموصلي ما أشد أصولها وأقل فضولها وأحسن فصولها وقال الموصلي ذكر اعرابي عشيرة رجل بجودة الشعر فقال ما بين التراب والسحاب أشعر من أسرته * وذكر رجل كاتبا فقال جمع الدنيا بين طرف لسانه وسن قلمه وخط يده وفص خاتمه ومدح شاعر كاتبا فقال انهز أقلامه يوما ليعملها * أنساك كل كمي هز عامله

وان أقر على رق أنامله * أقر بالرق كتاب الانام له

وهذا البيت من أبدع كلام سمع وأبرع التزام جمع * وسمع رجل رجلا يتكلم فيحسن فقال له أبلغت وأوجزت وسهلت وكنت كالماء في الرقة والجوهر في اللطف والنار في الذكاء وكلامك أخصب من الروض وأحسن تعلقا من العقبان في صدور القيان * ووصف اعرابي رجلا فقال كان لسانه أرق من ورقه وألين من سرقه * وذكر العباسي العباس بن الحسن فقال كان والله كلامه يفت الخردل ويحط الجندل * وقال العتبي قيل لبليغ كيف رأيت كلام فلان قال يشجي بالريق ويملأ الصدور ويونق الاسماع ويستشرف الابصار ويأخذ أقطار البلاغة ويقصد المحجة ويردو يصدر بالحجة لله درأبيه كيف يستصرف العيون اللامحة ويرد الاسماع الجامحة * ومدح شاعر قوما باصابة القول فقال

وأوتاد أرض الله في كل بلدة * وموضع فتياها وعلم التشاجر

وما كان سحبان يشق غبارهم * ولا السوق من حي هلال وعامر

السرق محركة شقق الحرير الابيض

يصيبون فصل القول فى كل منطق * كما طبقت فى العظم مدية جازر

والقول فى هذا الباب طويل ويكفى منه القليل فلنرجع أيها الانسان الى ذكر اللسان قال بعض النقاد اللسان ترجمان الفؤاد يعبر عنه بما أراد ألم تسمع قول الشاعر وبما كانت الحكماء قالت * لسان المرء من خدم الفؤاد

وقال آخر ان الكلام لفى الفؤاد وانما * جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وقال آخر قل لمن يفخر جهلا بالحسب * انما الناس لأم ولأب

أتراهم خلقوا من فضة * أو من الياقوت أو هذا الذهب

كان البيت * أو حديدا أو نحاس أو ذهب * وكما فى الكتاب رأيته فذيلته

أترى فضلا لهم من غيرهم * بسوى لحم وعظم وعصب

انما الفخر بعقل كامل * وبأخلاق كرام وأدب

وقال افلاطون باطن عقول الرجال أطراف أقلامها وظاهر عقولها فى حسن اختيارها وقال ارسطاطاليس لكل شئ صناعة وحسن الاختيار صناعة العقل

(فصل) وقد فضل قوم السكوت على الكلام وآخرون الكلام على السكوت قلت وليس السكوت بأفضل من الكلام الا من جهة العذر أو العى أو الفضول فان النبى صلى الله عليه وسلم قال رحم الله امرأ تكلم فسلم أو سكت فغنم فاذا سلم الانسان من الجهل وتكلم بالخير فلا شك انه أفضل من الساكت وقال بعض من فضل الكلام على السكوت لم تروا الرواة سكوت الصامتين كما روت كلام الناطقين وبالكلام أرسل الله أنبياءه وذكر الله داود فقال وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وتذاكروا فى مجلس أبى مسهر الكلام وحسنه والصمت ونبله فقال أبو مسهر ان النجم ليس كالقمر انك تمدح السكوت بالكلام ولا تمدح الكلام بالسكوت وما عبر به عن شئ فهو أكبر منه * وقال بعض العلماء ما أعلم فى الدنيا شيئا من البيوع يستطاع شراؤه بالسكوت ولا وشحة بقل ويستطاع شراء الجنة من رب العالمين بالكلام وهو ذكر الله وقراءة القرآن والامر بالمعروف والنهى عن المنكر * وقال سهل بن هارون ان الله رفع درجة اللسان فوق جوارح الجسد وشرف منزلته على سائر الاعضاء فأنطقه بتوحيده وتمجيده فهو أداة يظهر بها البيان وناطق يرد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة وواصف تعرف به

الاشياء

الاشياء ومعز يرد به الحزن ومؤنس يذهب بالوحشة وواعظ ينهى عن القبيح ومزين يدعو الى الحسن وزارع يحرث المودة وحاصد يذهب بالضغينة ومفصاح بمعالى الامور ودليل على مابطن فى القلوب ومخبر بما بطن من الاخبار ان سألته أوضح وان استنطقته أفصح وهو رسول العقل الى السامعين وأداته التى تجمع بين مفترق الحكم * وقال غيره لسان المرء أنجح شفعائه وأنفذ سلاحه على أعدائه وشاهد العقل ودليله * قلت هذا كله على استقامته وسداده وأما ارساله فى الفضول وفيما لا يصلح فالعى خير منه والسكوت أسلم لا محالة نعم والسكوت للجهال ستر قال الشاعر

وفى الصمت ستر للعيى وانما * صحيفة لب المرء أن يتكلما

وقال آخر اذا أنت لم تنطق بحق ولم تقل * صوابا فعن عى لسانك فاستر

وقال طرفه وان لسان المرء مالم تكن له * حصاة على عوراته لدليل

وقال آخر لسان المرء ينبى عن حجاه * وعى المرء يستره السكوت

وقال أبو العتاهية الصمت أجمل بالفتى * من منطق فى غير حينه

وتكلم رجل فى مجلس الهيثم بن صالح فهذر فقال الهيثم بكلام أمثالك رزق أهل الصمت المحبة وأطال رجل الصمت فعيب به فقال ان حظ الرجل فى اذنه لنفسه وحظه فى لسانه لغيره وقال آخر ان فوت الصمت أيسر من خطل القول وقالوا أبلغ الصمت ما يكون الكلام شرا منه وقالوا فى الصمت أمان من تحريف القول وعصمة من زيغ المنطق وسلامة من فضول القول وقال أبو نواس

خل جنبيك لرام * وامض عنه بسلام

مت بداء الصمت خير * لك من داء الكلام

انما العاقل من ألجم فاه بلجام

شبت يا هذا وماتترك أخلاق الغلام

والمنايا آكلات * شاربات للانام

وتكلم رجل بين يدى معاوية رحمه الله فهذر فلما أطال قال يا أمير المؤمنين أأسكت قال وهل تكلمت ثم أقبل على جلسائه فقال أماترون هذا يعثر فى كلامه بلسانه ويعثر لسانه بكلامه وتكلم رجل فى مجلس ابن عباس رضى الله عنهما فأساء الكلام فقال ابن عباس رضى الله عنه لغلام له أنت حر لوجه الله تعالى فقال الرجل ماسبب

هذا الشكر يا أبا العباس قال حمدت الله اذ لم يجعلني مثلك ووصف رجل قوما فقال منهم من يتقطع كلامه قبل أن يصل الى لسانه ومنهم من لا يبلغ كلامه أذن جليسه وقال كسرى أنوشروان عي الصمت خير من عي الكلام وقال آخر أعيي العي بلاغة بعي * وسمع اعرابي رجلا يتكلم ويهذر ثم التفت الى الاعرابي فقال له ما البلاغة عندكم فقال له خلاف ما كنت فيه منذ اليوم وكان الاصمعي يقول من جيد أمثالهم ربما أسمع فأدع والصمت حكمة وقليل فاعله والكلام في هذا المعنى كثير وربما أعيي من فيه أعني وقد تقدم فصل من هذا عند ذكر الشعر في أول الكتاب * ويروى أن رجلا كان يجالس الاحنف بن قيس وكان يطيل الصمت حتى أعجب به الاحنف ثم انه تكلم فقال للاحنف يا أبا بحر أتقدر أن تمشي على شرف المسجد فتمثل الاحنف بالبيت المتقدم * وكائن ترى من صامت لك معجب البيت ومثله أن رجلا كان في مجلس أبي يوسف وكان يطيل الصمت فقال له أبو يوسف يوما مالك لا تتكلم وتسأل عما بدا لك فقال بلى أيها الفقيه اني سائلك عن شئ فقال سل فقال متى يفطر الصائم قال اذا غربت الشمس قال فان لم تغرب الشمس الى نصف الليل فتبسم أبو يوسف وتمثل بقول القائل

وفي الصمت ستر للعي وانما * صحيفة لب المرء ان يتكلما

وقد تقدم هذا البيت الا انه يروى للغبي بغين منقوطة وباء موحدة وهو هنا بياء بين وعين وكذا قرأته على الحافظ رحمه الله بالاسكندرية وفي فوائد أبي القاسم الادريسي بسنده قال أنشدنا ثعلب

عجبت لازراء العي بنفسه * وصمت الذي قد كان بالامر أعلما

وفي الصمت ستر البيت ومن الفوائد أيضا وقرأته على الحافظ بسنده الى أبي الفضل علي بن محمد القطان بزبيد اليمن

أنت من الصمت آمن الزلل * ومن كثير الكلام في وجل

لا تقل القول ثم تتبعه * ياليت ما قلت لم أكن أقل

وأنشدني أيضا لنفسه

لعمرك ما للمرء كالرب حافظ * ولا مثل عقل المرء للمرء واعظ

لسانك لا يلقيك في الغي لفظه * فانك مأخوذ بما أنت لافظ

قلت وآفات اللسان أيضا كثيرة قالوا في المثل اياك أن يضرب لسانك عنقك كذا

ذكر

ذكر أبو عبيد القاسم ورد عليه أبو عبيد البكري فقال انما هو اياك وأن يضرب بالواو وكما ورد في الحديث اذا بلغ الرجل السبعين فاياه واياه الشواب وأنشدني فيما يخاف من اللسان

ويارب ألسنة كالسيو * ف تقطع أعناق أصحابها

وقال آخر

وقد يرجى لجرح السيف برء * وجرح الدهر ماجرح اللسان

وقال آخر * والقول ينفذ مالا ينفذ الابر * وقال آخر * وجرح اللسان كجرح اليد وقالوا اللسان أجرح جوارح الانسان * وقال الصاحب بن عباد حفظ اللسان راحة الانسان فاحفظه حفظ الشكر للاحسان فآفة الانسان في اللسان ومما رأيته مسندا الى شيخي الحافظ السلفي رحمه الله قال سمعت أبا علي محمد بن محمد المهدوي الهاشمي ببغداد يقول سمعت أبي يقول سمعت يحيى الازدي النحوي يقول كنت يوما في حلقة أبي سعيد السيرافي فجاء أبو عبد الملك خطيب جامع المنصور فقاموا اليه وأجلوه فلما تمكن به المجلس قال قد قرأت قطعة من هذا العلم وأريد أن أستزيد منه فأيهما خير سيبويه أو الفصيح فضحك من في المجلس ثم قال له أبو سعيد ياسيدنا مخده اسم أو فعل أو حرف ففكر ساعة ثم قال حرف فضحكوا ثانيا فلما قام لم يقوموا اليه قلت وكيف يعتدل القول أو يستقيم لذي الفهم السقيم ألم تسمع قول الشاعر

وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم

وقال آخر

وليس يصح في الافهام شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

وفصل الخطاب المفضي الى عين الصواب مارأيته ولعلي رويته أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ يامعاذ أنت سالم ماسكت فان تكلمت فلك أو عليك وهذا حديث يسير يحتوي على علم كثير وقد رأيت أن أثبته بالكلية لعل الله أن ينفعني به بالنية قال معاذ رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما عمل اذا عملته دخلت الجنة قال بخ بخ سألت عظيما وهو يسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وان شئت نبأتك برأس هذا الأمر وعموده وذروة سنامه أما رأسه فالاسلام من أسلم سلم وأما عموده فالصلاة وأما ذروة سنامه فالجهاد في سبيل الله ان شئت نبأتك بجوامع من الخير الصيام جنة والصدقة تمحو الخطيئة وقيام العبد في جوف الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية وان شئت نبأتك بما هو أملك بالناس من ذلك فأشار باصبعه الى لسانه فقلت واني لمأخوذ بما تكلمت به

فقال ويحك وهل يكب الناس على وجوههم الا ألسنتهم انك سالم ماسكت فاذا تكلمت فلك أو عليك * ومما قرأته بالاسكندرية في التاريخ المذكور على الفقيه الشريف أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن العثماني رحمه الله من ذرية عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الفارسي رحمه الله يقول سمعت الحسن بن حبيب النيسابوري يقول سمعت أبي يقول سمعت محمد بن محمد الوراق يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول اذا سكت فأنا واحد من الناس واذا تكلمت فأنا واحد في الناس قال وسمعته يقول أفواه الرجال حوانيتها وأسنانها مفاتيحها فاذا فتح الرجل باب حانوته تبين العطار من البيطار والتمار من الزمار وقال الشاعر

المرء يعجبني وما كلمته * ويقال لي هذا اللبيب اللهذم

فاذا قدحت زناده وسبرته * في الكف زاف كما يزيف الدرهم

وقال آخر

ترى الناس أشباها اذا جلسوا معا * وفي الناس زيف مثل زيف الدراهم

وقال عدي بن الرقاع

القوم أشباه وبين حلومهم * بون كذاك تفاضل الاشياء

قال وحدثنا محمد بن الحسين بن خلف البغدادي قال حدثنا أبو الفضل بن المأمون قراءة عليه قال حدثنا أبو بكر الانباري قال حدثنا محمد بن المرزبان أنبأنا أبو عبد الله محمد بن شجاع قال حدثنا محمد بن زياد قال تكلم رجل عند عمر بن عبد العزيز رحمه الله فأحسن فقال عمر هذا والله هو السحر الحلال قلت الرجل الذي تكلم عند عمر رضي الله عنه هو والله أعلم الذي ذكر بعض الرواة انه لما استخلف عمر بن عبد العزيز فقدم عليه وفود أهل كل بلد فتقدم اليه وفد أهل الحجاز فاشرأب منهم غلام للكلام فقال عمر يا غلام ليتكلم من هو أسن منك فقال الغلام يا أمير المؤمنين انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فاذا منح الله عبده لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد أجاد له الاختيار ولو أن الامر بالسن لكان ههنا من هو أحق بمجلسك منك فقال عمر صدقت تكلم فهذا هو السحر الحلال فقال يا أمير المؤمنين نحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة لم تقدمنا اليك رغبة ولا رهبة لانا قد أمنا في أيامك ما خفنا وأدركنا ما طلبنا فسأل عمر عن سن الغلام فقيل عشر

المرزئة بوزن التهنئة معناها المصيبة كالرزء والرزيئة اه قاموس

سنين

سنين وقد روى أن محمد بن كعب القرظي كان حاضرا فنظر الى وجه عمر وقد تهلل عند ثناء الغلام عليه فقال يا أمير المؤمنين لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك فان قوما خدعهم الثناء وغرّهم الشكر فزلت أقدامهم فهووا فى النار أعاذك الله ان تكون منهم وألحقك بسالف هذه الامة فبكى عمر حتى خيف عليه وقال اللهم لا تخلنا من واعظ زاجر أخذ الشاعر قوله هذا هو السحر الحلال فقال

هو السحر الحلال لمجتنبه * ولم أر قبله سحرا حلالا

وقالوا الاصغران القلب واللسان والاصمعان القلب الذكى والرأى الحازم يقال فلان أصمع القلب اذا كان حديد القلب نقلته من الدلائل قال الشاعر

وما المرء الا الاصغران لسانه * ومعقوله والجسم خلق مصوّر
فان طرّة راقتك فاخبر فربما * أمرّ مذاق العود والعود أخضر
وما الزين فى باد تراه وانما * يزين الفتى مخبوره حين يخبر

وجاء فى الشهاب جمال الرجل فصاحة لسانه وقال ابن سيرين ما رأيت على رجل أحسن من فصاحة ولا على امرأة أحسن من شحم وخرج ثابت رحمه الله أن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو أبيض بض فضحك النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال العباس ما يضحكك يا رسول الله أضحك الله سنك فقال أعجبنى جمالك يا عم النبىّ قال وما الجمال فى الرجل يا رسول الله قال اللسان وأنشدوا

رأيت العز فى أدب وعقل * وفى الجهل المذلة والهوان
وما حسن الرجال لهم بحسن * اذا لم يسعد الحسن البيان
كفى بالمرء عيبا أن تراه * له وجه وليس له لسان

يقال فلان لا أصل له ولا فصل الاصل الحسب والفصل اللسان وقالوا الصورة الحسنة بلا لسان كالبيت الحسن ليس فيه أهل وكان العتابى لا يبالى بما لبس فقيل له فى ذلك فقال أخزى الله امرأ رضى أن ترفعه هيئتاه جماله وماله انما ذلك حظ النساء والرجال الازرياء لا والله حتى يرفعه كبراه وأصغراه همته ونفسه ولسانه وقلبه وقالوا زينة الرجل لسانه لا ثيابه كما قال الآخر لبعض الملوك وكان فى جبة له فاحتقره فقال ان الجبة لا تكلمك انما يكلمك من فيها وأنشدنى الحافظ رحمه الله بسنده قال أنشدنى الصباح بن منصور الشاركى لنفسه

ان أمس فى سمل والتذل فى حلل * فعادة الدهر فى ذى الجود والكرم
أماترى المشجب الديباج ملبسه * والنصل ملبسه شيران من أدم

المشجب الخشبة التى تلقى عليها الثياب

وفى المقامات للحريرى من هذا المعنى

ما ان يضرّ العضب كون قرابه * خلقا ولا البازى حقارة عشه

وسيأتى قول الشاعر

علىّ ثياب فوق قيمتها الفلس * وفيهن نفس دون قيمتها الانس

وخرج الواقدى أن عبد الله بن عوف الاشج قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلما رآه نظر الى رجل دميم فقال عبد الله يارسول الله انه لا يستقى فى مسوك الرجال انما يحتاج من الرجل الى أصغريه قلبه ولسانه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك خصلتان يحبهما الله وفى رواية ورسوله الاناة والحلم فقال يارسول الله أشئ حدث أم شئ جبلت عليه فقال لا بل شئ جبلت عليه * وفى رواية أنه قال الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما الله ورسوله والحكاية المشهورة عن كثير اذ دخل على عبد الملك بن مروان فقال لما رآه أن تسمع بالمعيدى خير من أن تراه فقال يا أمير المؤمنين كل عنده محله رحب الفنا شامخ البنا عالى السنا ثم أنشده

ترى الرجل النحيف فتزدريه * وفى أثوابه أسد هصور
ويعجبك الطرير اذا تراه * فيخلف ظنك الرجل الطرير

فى أبيات آخرها فما عظم الرجال لهم بزين * ولكن زينهم كرم وخير
ذكر ذلك أبو على فى الامالى وذكر أبو عبيد القاسم بن سلام فى الامثال ان قائل ذلك المثل المنذر بن ماء السماء قاله لشقة بن ضمرة فقال له شقة ان الرجال ليسوا بجزر يراد منها الاجسام انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه وقال البكرى فى شرح الامثال انما قال له ان الرجال لا تكال بالقفزان وليست بمسوك يستقى بها الماء وانما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ان قال قال ببيان وان صال صال بجنان فأعجب المنذر ما سمع منه ودخل بعض العلماء على الرشيد وكان دميم الصورة قصير القامة فاستحقره الرشيد وقال ما أقبح هذا الوجه فقال العالم يا أمير المؤمنين ان حسن الوجه ليس مما يتوسل به عند الملوك هذا يوسف عليه السلام أحسن الناس وجها قال اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم ولم يقل انى حسن الوجه جميل قال

صدقت ارتفع فرفع قدره وقرب مجلسه

(فصل وأما الملح والآداب) فقد حدثني السلفي رحمه الله فيما رويه عن أشياخه انهم كانوا يقولون لقاطات الادب كقراضات الذهب قلت ومارأيت أحدا ممن لقيته من أهل الآفاق الاوله تعاليق وأوراق تحتوي على حكايات وأشعار ورسائل وأخبار * وهذه الملح هي حلية الكتاب وزينة أهل الآداب وفاكهة أولي الالباب من أهل هذا الباب تنشط الكسلان وتوقظ الوسنان وتبعث الطالب على الزيادة الى أن يلحق بالسادة وقال الاصمعي توصلت بالملح ونلت بالغريب وقرأت على الحافظ رحمه الله قال سمعت أبا الحسين المبارك بن عبد الجبار الطيوري ببغداد وقرأناعليه جزءا من حكايات أبي عمرو بن حيويه الخراز يرويه عن أبي الحسن علي بن عمر القزويني الزاهد وفيه ملح ومضاحك فوضع يده على وجهه وتبسم وقال لا يسعني الا الرواية فقد رواه الى أزهد خلق الله أبو الحسن القزويني رحمه الله ثم ساق من فضائل أبي الحسن هذا قال سمعت أبا محمد جعفر بن محمد بن الحسين بن السراج الهروي ببغداد يقول رأيت على أبي الحسن القزويني الزاهد ثوبا رفيعا لنا الخطر ببالي كيف مثله في زهده يلبس مثل هذا * فقال في الحال بعد أن نظر الي قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قال وحضرنا عنده يوم القراءة الحديث فتمادى بنا الوقت الى أن وصلت النا الشمس وتأذينا بحرها فقلت في نفسي لو تحرك الشيخ الى الظل فقال والله في الجبال قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون * وقد كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول اني لاستجم نفسي ببعض اللهو ليكون ذلك عونالي على الحق * وعن علي رضي الله عنه سلوا هذه النفوس ساعة بعد ساعة فانها تصدأ كما يصدأ الحديد وقال أيضا ان القلب اذا أكره عمي وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول اذا أفاض من عنده في الحديث بعد القرآن والتفسير أحمضوا أي اذا مللتم من الفقه والحديث وعلم القرآن فخذوا في الاشعار وأخبار العرب كما أن الابل اذا ملت ماحلا من النبت رعت الحمض وهو ماملح منه ومنه قول الزهري هاتوا من أشعاركم فان الاذن مجاجة والنفس حمضة أي انها تشتهي الشئ بعد الشئ كما تفعل الابل وسيأتي تفسير الحمض في باب النون بأكثر من هذا ان شاء الله تعالى * وقال بعض الحكماء ان للآذان مجة وللقلوب مللا ففرقوا بين الحكمتين ليكون ذلك استجماما * ذكرهذه

الاخبار الفقيه القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله في كتابه الذي سماه كتاب بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد قال وفي الحديث من الفقه التحدث بملح الاخبار وطرف الحكايات تسلية للنفس وجلاء للقلوب وهكذا ترجم أبو عيسى الترمذي عليه باب ما جاء في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في السمر وأدخل في الباب هذا الحديث يعني حديث أم زرع وحديث خرافة * ثم قال وهذا كله مالم يكن دائما متصلا * وانما يكون في النادر والاحيان كما قال ساعة بعد ساعة واما أن يكون ذلك عادة الرجل حتى يعرف بذلك ويتخذه ديدنا ويطرف به الناس ويضحكهم دائما فذلك مذموم غير محمود دال على سقوط المروءة ورذالة الهمة وقد عد هذا الفن الفقهاء فيما يقدح في عدالة الشاهد قال وفيه من الفقه جواز المدح في بعض الاحايين واباحة الدعابة مع الاهل وبسط الوجه واللسان مع جميع الناس بالكلام الحلو السهل فهو من حسن العشرة * وقد كان عليه السلام يمزح ولا يقول الاحقا * ومن أحسن ماقيل في المزح قول أبي الفتح البستي

أفد طبعك المكدود بالجد راحة * تجم وعلله بشئ من المزح
ولكن اذا أعطيته المزح فليكن * بمقدار ماتعطى الطعام من الملح

وكان ابن الماجشون ينشد

انما الناس منا * حسن خلق ومزاح * ولنا ما كان فينا * من فساد وصلاح

ولغيره

مازح أخاك اذا أراد مزاحا * فاذا أباه فلا ترده جماحا
فلربما مزح الصديق بمزحة * كانت لكل عداوة مفتاحا

وأنشدني الحافظ لنفسه

المزح حفار رأس كل قطيعة * والمزح مقصة تشين قطيعه
فاتركه فهو يشين من يعتاده * واهجره فهو الى الفراق ذريعه

وقال غيره

اذا طال عمر المرء في غير آفة * أفادت له الايام في كرها عقلا
فاياك اياك المزاح فانه * يجرى عليك الطفل والدنس النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه * ويورث بعد العز صاحبه ذلا

ولي من شعر لزومي

قل كيف يرجو فلاحا * من كان خصما فلاحا
فاتركه واترك مزاحا * واجعله عنك مزاحا

* (فائدة زائدة) * المزاح بكسر الميم مصدر مازحه وهما يتمازحان والاسم المزاح بالضم والمزاحة أيضا مثله والمزح الدعابة والممازحة المفاكهة * ومن أمثالهم قولهم (لاتفاكه أمه ولا تبل على أكمه) والفكاهة بالضم المزاح والفكاهة بالفتح مصدر فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان طيب النفس مزاحا والفكه أيضا الأشر البطر وقرئ ونعمة كانوا فيها فكهين أى أشرين وقرئ فاكهين أى ناعمين وقوله تعالى فظلتم تفكهون معناه تندمون وقيل تعجبون لهلاكه بعد خضرته وقد روى عكرمة فى حديث يرفعه أن النبى صلى الله عليه وسلم كانت فيه دعابة ويحكى ذلك أيضا عن على وابن ثابت وابن سيرين والشعبى وغيرهم وقد ذكر ابن قتيبة فى أدب الكتاب من هذا فصلا فانظره هنالك وقد قال عمر رضى الله عنه ينبغى للرجل أن يكون فى أهله كالصبى فاذا التمس ما عنده وجد رجلا * وعن زيد بن ثابت انه كان من أفكه الناس فى أهله وأجدهم اذا جلس مع القوم وكان مالك رحمه الله من أحسن الناس خلقا مع أهله وولده وكان يقول يجب على الانسان أن يتحبب الى أهل داره حتى يكون أحب الناس اليهم * وحديث أم زرع مشهور وهو الذى فسره عياض المذكور رحمه الله فجاء فى سفر صغير * وأما حديث خرافة فخرج الترمذى فى الشمائل عن عائشة رضى الله عنها قالت حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة نساءه حديثا رضى الله عنهن فقالت امرأة كان الحديث حديث خرافة * فقال أتدرون ما خرافة ان خرافة كان رجلا من عذرة أسرته الجن فى الجاهلية فمكث دهرا فيهم ثم ردوه الى الانس فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الاعاجيب فقال الناس حديث خرافة فهذا من حسن خلقه صلى الله عليه وسلم وخرج البخارى رضى الله عنه فى باب المداراة مع الناس وفيه يذكر عن أبى الدرداء رضى الله عنه انا لنكشر فى وجوه قوم وان قلوبنا لتلعنهم وقال الشاعر فى هذا المعنى

أكاشره وأعلم أن كلا * على ما ساء صاحبه حريص

خرجه ثابت رحمه الله وقال الكشر بدو الاسنان عند التبسم وجاء عن مجاهد رضى الله عنه أنه قال ان الرجلين اذا تلاقيا وتصافحا وتكاشرا تحاتت ذنوبهما كما تحات ورق الشجر فقال له رجل ان هذا اليسير فقرأ مجاهد لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم وقالوا اذا لقيت المؤمن فخالصه واذا

رأيت الفاجر فخالقه وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خالقوا الناس وزايلوهم ودينكم فلا تهملوه وفي هذا المعنى قال الشاعر

خالق الناس بخلق حسن * لا تكن كلا على الناس تهن

والقدوة في هذا الشأن والأسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليه رجل وكان مجفا جافيا ومع ذلك كان سيد قومه فقال بئس ابن العشيرة فلما دخل ألان له القول وضحك في وجهه فقالت له عائشة رضي الله عنها في ذلك فقال متى عهدتني فحاشا ان من شر الناس عند الله يوم القيامة من اتقاه الناس لشره أو كما قال عليه الصلاة والسلام * (فائدة زائدة) هذا الرجل هو عيينة بن حصن وقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خالقوا الناس المخالقة ضد المخالفة وهي موافقة الناس على اخلاقهم وخلق الانسان هو الذي طبع عليه ويقال فلان كريم الخلق وكريم الخليقة والجمع الاخلاق والخلائق * ومن وصية لبعض العلماء حق على العاقل أن يخالق من لقيه وأن يتزيا بزي من ساكنه وقد قال بعض الشعراء * ان جئت أرضا أهلها كلهم * عور فغمض عينك الواحده

وقالوا كل من الطعام ما تشتهي والبس من الثياب ما تشتهي الناس يريد انه لا يعلم أحد ما في بطنك كما يعلم ما على ظهرك

الإعراب في القرآن واللحن فيه

* (فصل) * وأما تعلم العربية فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام أعربوا القرآن فانه عربي وكفى بمن لا يحسن اعراب القرآن أنه لا تجوز الصلاة خلفه لانه يلحن فيقول مالم يقله الله ولا رسوله * ومن أشد ما رأيت في اللحن ما اخرجه الخطابي رحمه الله عن الاصمعي قال ان أخوف ما أخاف على طالب العلم اذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قول النبي صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار لانه لم يكن يلحن فمهما رويت عنه ولحنت فقد كذبت عليه وقال الاصمعي أيضا سمعت حماد بن سلمة يقول من لحن في حديثي فليس يحدث عني وقال الخليل لحن أيوب فقال أستغفر الله وسأل رجل الحسن فقال يا أبا سعيد الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته فقال يا ابن أخي فتعلمها فان الرجل يقرأ الآية فيعني بوجهها فيهلك فيها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعربوا الكلام كي تعربوا القرآن وقال عمر رضي الله عنه تعلموا اعراب القرآن كما تعلموا حفظه وقال أبو بكر الصديق لأن أعرب آية من القرآن أحب الي من أن أحفظ آية وذكر هذا

أبو عبيد رحمه الله في كتاب فضل القرآن وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأن أقرأ فأخطئ أحب الي من أن أقرأ فألحن لاني اذا أخطأت رجعت واذا لحنت افتريت وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه يضرب ولده على اللحن وقال رجل للحسن يا أبو سعيد فقال له الحسن كسب بك للمال شغلك أن تقول يا أبا سعيد ثم قال تعلموا الفقه للاديان والطب للابدان والنحو للسان وأتى عثمان البستي الى الحسن فقال ما تقول أصلحك الله في رجل زعف فقال له الحسن وما زعف لعلك تريد رعف قال فاستحيا البستي وطلب العربية * ودخل رجل على زياد فقال له ان أبينا هلك وان أخينا غلبنا على ميراثنا في أبانا فقال له زياد ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضاع من مالك * وجاء رجل الى أحد الفقهاء فقال له رجل هلك وترك أبيه وأخيه فقال له قل وترك أباه وأخاه فقال الرجل وترك أباه وأخاه فما لأباه وما لأخاه قال له قل فما لأبيه وما لأخيه فقال له الرجل ما أراك تريد الا خلافي ومر وتركه * وسمع أعرابي اماما يقرأ ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا بنصب التاء فقال سبحان الله هذا قبل الاسلام قبيح فكيف بعده فقيل له انه لحن وانما القراءة ولا تنكحوا فقال قبحه الله لا تجعلوه بعدها اماما فانه يحل ما حرم الله * ودخل أعرابي السوق فسمعهم يلحنون فقال سبحان الله يلحنون ويربحون وقال بعض السلف ربما دعوت فلحنت فأخاف أن لا يستجاب لي وسمع الاصمعي رجلا يدعو ربه ويقول في دعائه يا ذوا الجلال والاكرام فقال له ما اسمك فقال ليث فقال

ينا جي ربه باللحن ليث * لذاك اذا دعاه لا يجيب

وحدث هيثم عن بعض المشيخة أن رجلا أتى منزل ابراهيم فقال أهاهنا أبا عمران فسكت ابراهيم فقال أههنا أبي عمران فقال ابراهيم قل الثالثة وادخل * ومر عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بقوم يتناضلون ورمى بعضهم فأخطأ فقال له عمر أخطأت فقال يا أمير المؤمنين نحن متعلمين فقال والله لخطاؤك في كلامك أشد علينا من خطائك في نضالك احفظوا القرآن وتفقهوا في الدين وتعلموا اللحن واللحن في هذا الموضع اللغة قاله الاصمعي وقال غيره هو نوع من التعريض من قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول اي في نحوه ومعناه قال الشاعر

ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا * واللحن يفهمه ذوو الالباب

أي بينت لكم واللحن بفتح الحاء الفطنة وربما سكنوا الحاء فيها وأما في الخطأ

فالسكون لاغير يقال لحن الرجل يلحن لحنا فهو لاحن ومن الفطنة لحن يلحن لحنا فهو لحن ويقال لحنت للرجل فلحن لحنا أى فهمته ففهم وألحنته أنا اياه الحانا فهو لحن وهذا المعنى أراد الشاعر بقوله

منطق صائب وتلحن أحيانا وخير الحديث ما كان لحنا

وهذا البيت للفزارى واسمه مالك بن أسماء يكنى أبا سعيد كان من شعراء الدولة الاموية وفى هذا الشعر

أمغطى منى على بصرى للحب أم أنت أجمل الناس حسنا

أخذه من قول الآخر

فوالله ماأدرى أزيدت ملاحة ✱ وحسنا على النسوان أم ليس لى عقل

وجاء فى الحديث من ذكر اللحن قوله عليه الصلاة والسلام انكم تختصمون الىّ ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من الآخر فمن قضيت له بشئ من أحق أخيه فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار وجاء منه أيضا ماقال للرجال من أصحابه الذين بعثهم عينا لينظروا الى عدوّهم من اليهود وكانوا مصالحين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه عنهم أنهم قد نقضوا الصلح فقال عليه الصلاة والسلام للقوم الذين بعثهم انطلقوا حتى تنظروا أحق مابلغنا عن هؤلاء القوم أم لافان كان حقا فالحنوا الى لحنا أعرفه ولا تفتوا فى أعضاد الناس وان كانوا على الوفاء فأخبروا به الناس فمضى القوم فوجدوهم على أخبث مابلغهم من الغدر فجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه وقالوا عضل والقارة وهما قبيلتان من العرب كانوا قد غدروا أيضا ونقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أى فهؤلاء فى الغدر كأولئك قلت واللحن قبيح اذا لم يغير المعنى فكيف اذا غيره ✱ وقد أرخص كثير من العلماء أن يصلح اللحن الذى يأتى فى الحديث من قبل النقلة روى عن الاوزاعى رحمه الله أنه قال أعربوا الحديث فان القوم كانوا عربا وقال لا بأس باصلاح اللحن فى الحديث وقال عمر بن شبية قال لى عفان قال لنا همام ماسمعتم من حديث قتادة فأعربوه فان قتادة كان لا يلحن ثم قال لنا عفان قال لنا حماد بن سلمة من لحن فى حديثى فليس يحدث عنى وقد تقدم وعن الحسن بن على الحلوانى قال ماوجدتم فى كتابى من عفان لحنا فأعربوه فان عفان كان لا يلحن وقال لنا عفان ماوجدتم فى كتابى عن حماد بن سلمة لحنا فأعربوه فان حمادا كان لا يلحن وقال حماد ماوجدتم

في كتابي من قتادة لحنا فأعربوه فان قتادة كان لا يلحن * وقد أجاز بعض العلماء أن يترك المكتوب على حاله ويعتذر عنه ويقرأ على الصواب ويحتج بقول عثمان بن عفان رضي الله عنه في القرآن العزيز أرى فيه لحنا وستقيمه العرب بألسنتها فأقامه رضي الله عنه بلسانه وترك الرسم على حاله * وقد ذكر ابن قتيبة رحمه الله كثيرا من هذا النوع في مشكل القرآن له مثل ان هذان لساحران والمقيمين الصلاة والصابرين في البأساء والضراء وغير ذلك وخرج وجوهها والحمد لله فانظره هناك ان شاء الله تعالى * وقد اختلف أهل الحديث في ذلك فمنهم من رأى انه لا يسع الراوي له الا أن يأتي بالالفاظ التي سمع وقرأ بلا زيادة ولا نقصان كما روي عن أبي معمر قال اني لأسمع الحديث لحنا فألحن اتباعا لما سمعت * ومنهم من تساهل في ذلك فيقول اذا أتيت بمعنى الحديث فلا أبالي بألفاظه وعلى هذين الطريقتين طائفة من العلماء رحمهم الله والأحسن والاولى ايراد اللفظ والمعنى والله الموفق والمعين * وممن لحن متعمدا اتباعا للمخاطب وأدبا معه الشعبي رضي الله عنه وكان من العلم والعربية حيث كان دخل يوما على الحجاج وكان الحجاج أيضا فصيحا حتى انه يضرب به المثل في الفصاحة فقال له الحجاج كم عطاك قال ألفين قال ويحك كم عطاؤك قال ألفان قال فلم لحنت فيما لا يلحن فيه مثلك قال لحن الامير فلحنت وأعرب فأعربت ولم أكن ليلحن الامير فأعرب أنا عليه فأكون كالمقرع له بلحنه والمستطيل عليه بفضل القول فأعجبه ذلك ووهب له مالا وتقدم ذكر فصاحة الحجاج * أرسلت مرة للخطيب أبي محمد رضي الله عنه كتابا فيه مقطوعة من الشعر ذكرت فيها حاجتي فكتب الي كذلك منظوما فيه جواب كتابي أوله

وافى كتابك يا أبا الحجاج * تبدو عليه فصاحة الحجاج

ان أردت الكتابين انظرهما في التكميل * وقال عبد الملك بن عمير رأيت فصحاء الناس أبان بن عمرو بن عثمان ومحمد بن سعد بن أبي وقاص وأبان بن سعيد والحسن بن أبي الحسن البصري وأبا الاسود الدؤلي فأما أبان بن عمرو فانه كان يصلي فسمع رجلا يقول ركبت دابتي فقمصت بي قمصا فخفف الصلاة وقال قماصا لا أم لك وقد ذكر الخطابي رحمه الله هذه اللفظة وأنشد شاهدا على ذلك لابي النجم

ليس خليلي بالملول اللاصي * ولا ببرذون خصاه الخاصي

فلج في ذعر وفي قماص

وأما محمد بن سعد فاني سمعته يوما يتكلم فسبق الى لسانه مالم يرد فلحن فقال حسبي الله والله لوجدت حرارتها في حلقي قبل أن اتكلم أما والله مانعرف سيئكم من مينكم من رائسكم ولكن والله ان تكلمنا لنعربن * وأما أبان بن سعيد فكان يقول اللحن في الرجل ذي الهيبة كالدنس في الثوب الجيد وقال ابن شبرمة زين الرجال النحو وزين النساء الشحم وأما الحسن فانه قال يوما توضيت فقيل له أتلحن يا أباسعيد فقال انها لغة هذيل وفيها فساد انتهى كلامه خرجه ثابت ابن قاسم في الدلائل رحمه الله ولم يذكر لابي الاسود شيئا و يقال انه أول من وضع النحو و يقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذكر أن رجلين تداعيا الى علي ابن أبي طالب رضي الله عنه فادعى أحدهما قبل الآخر مالا فأعذر علي الى الآخر في ذلك فقال يا أمير المؤمنين ماله عندي حق فقال ادفع له ماله فقال وكيف ذلك وأنا أردت نفي المال عني فقال علي رضي الله عنه فسد اللسان ورب الكعبة يا أبا الاسود أنح للناس نحوا يعتمدون عليه فقال وكيف أقول يا أمير المؤمنين فقال قل الكلام عربية وعجمية لايخلو من ثلاثة أشياء اسم وفعل وحرف ذكر ذلك الاستاذ أبو نصر رحمه الله وقيل ان أبا الاسود سمع بنية له صغيرة تقول وقد نظرت الى السماء فقالت له يا أبت ما أحسن السماء فقال نجومها فقالت لم أرد هذا انما أردت ان السماء حسنة فقال لها قولي ما أحسن السماء فلما أصبح ذهب الى علي فذكر ذلك له وقال اني أخاف أن يفسد لسان العرب فصنع أبوابا في علم العربية ثم زاد عليها من بعده حتى صار الى ماترى وكما أوردت الحكاية نقلتها من حفظي بلفظي والحمد لله * وقيل انما صنع ذلك حين سمع رجلا يقرأ أن الله بريء من المشركين ورسوله بالجر فقال لا يسعني الآن أصنع شيئا أصلح به لحن هذا أو كلاما هذا معناه و يقال ان زيادا سأله ذلك فأبى عليه فبعث زياد رجلا يقعد له بطريقه وأمره أن يقرأ شيئا من القرآن و يتعمد اللحن فقرأ ان الله بريء من المشركين ورسوله بالجر فاستعظم ذلك أبو الاسود وقال عز وجه الله ان الله لا يبرأ من رسوله ثم رجع من فوره الى زياد فقال يا هذا لقد أجبتك الى ماسألت وكان زياد من فصحاء الناس و بلغائهم وكان أبو الاسود رحمه الله واسمه ظالم بن عمرو يعد في الصحابة والتابعين والمحدثين والشعراء والنحويين وقد ذكره الخطابي رحمه الله في كتابه وقال عن محمد بن سلام الجمحي قال أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبلها

ووضع قياسها أبو الاسود وكان رجلا من أهل البصرة وانما فعل ذلك حين اضطرب كلام العرب فغلبت السليقة ثم قال السليقة من الكلام ما كان الغالب عليه السهولة وهو مع ذلك فصيح اللفظ منسوب الى السليقة وهي الطبيعة يقال يقرأ بالسليقة أي بطبعه لم يقرأ على القراء ولم يأخذه عن تعليم قال الشاعر

ولست بنحوي يلوك لسانه * ولكن سليقي أقول فأعرب

ومما قيل من الشعر في اللحن واستحسن

النحو يبسط من لسان الألكن * والمرء تكرمه اذا لم يلحن
واذا طلبت من العلوم أجلها * فأجلها منه مقيم الألسن

وكان يقال اذا أردت أن تعظم في عين من كنت عنده صغيرا ويصغر في عينك من كان عندك كبيرا فتعلم العربية * وقال الشعبي الآداب والعربية رأس كل صناعة وقال أبو محمد بن العلا قال حماد بن سلمة رحمه الله أنفقت على الادب أربعة آلاف فليت ما انفقت على الحديث أنفقت على الادب فان النصارى صحفوا حرفا فكفروا أوحى الله الى عيسى ابن مريم أنت نبيي وأنا ولدتك فقرؤا أنت بنيي وأنا ولدتك فكفروا * وقال عبد الملك بن مروان أصلحوا من ألسنتكم فان المرء تنوبه النائبة فيستعير الثوب والدابة ولا يمكنه أن يستعير اللسان * وحدث قاسم بن أصبغ قال حدثنا المبرد قال حدثنا أبو حاتم عن الاصمعي عن أبي محرز خلف الاحمر مولى بلال بن أبي بردة قال قرأنا الكتب وقلبناها فكلها نجدها علينا وانما نتعزى بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تكلم بالعربية ورضى دين العرب دينا لنفسه ورضى حكمها له وعليه فهو عربي وقد برئ من العجمة وبرئت منه قال أبو محرز الا أنا اذا تدبرنا في الاوائل وجدنا العرب أرجح حظا ولاسيما من اتقى الله منهم قال أبو العباس وكان خلف الاحمر مولدا ظريفا نحويا شاعرا ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسلمان الفارسي رضي الله عنه ياسلمان لا تبغضني فتفارق دينك فقال يارسول الله وكيف أبغضك وبك هدانا الله قال تبغض العرب فتبغضني وفي حديث آخر عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لسلمان الفارسي رضي الله عنه أحب العرب لثلاث قرآنك عربي ونبيك عربي ولسانك في الجنة عربي وستأتي هذه الحكاية أطول من هذا ان شاء الله وفي حديث آخر عنه عليه الصلاة والسلام انه قال ان الله خلق الخلق فاختار من

الخلق بنى آدم واختار من بنى آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختارنى من قريش فأنا خيار من خيار الى خيار فمن أحب العرب فبحبى أحبهم ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم وفى حديث آخران الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم أخذ هذا المعنى شيخنا الخطيب الفقيه أبو محمد عبد الوهاب بن على القيسى رضى الله عنه فقال

للعرب الفضل على الناس * وخيرها أولاد الياس
والنضر منظور الى فضله * ثم قريش عزها راسى
والسادة الغر بنو هاشم * خيارها فى الجود والباس
والمصطفى خير بنى هاشم * وخير مبعوث الى الناس

فى قطعة ستراها مع أخرى للفقيه أبى محمد عبد الحق وأخرى لى فى باب السين من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وأما الشعر فديوان العرب الأبعد منهم والاقرب وقد قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكما ويروى لحكمة فأما تفسير الحكمة فهو ما وقع فى شرح الشهاب لابى القاسم بن ابراهيم الوراق قال ابن دريد الحكمة كل كلمة وعظتك أو زجرتك أو دعتك الى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهى حكمة وحكم ومنه قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا وقال النبى عليه الصلاة والسلام الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها قيدها ثم ابتغى ضالة أخرى ينتفع بها ويردع نفسه عن هواها وقال مكحول سمع ابن جريج كلمة حكمة فقال ضالتى ورب الكعبة وسيأتى تفسير الحكم ان شاء الله تعالى وقال ابن عباس فى قول الله عز وجل ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا قال المعرفة بالقرآن وقال مجاهد فى قوله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة قال الفقه والاصابة فى القول * وأما الشعر فقد مدح به الرسول صلى الله عليه وسلم فأثاب عليه وقال عليه السلام انما الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح رواه ابن حبيب وقد كان له شعراء مثل عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت الذى قال له النبى صلى الله عليه وسلم أجب عن رسول الله اللهم أيده بروح القدس وفى رواية اهجهم أو هاجهم وجبريل معك * وقد أنشده ابن أبى سلمى بمسجده فى مشهده فقال

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول * متيم اثرها لم يفد مكبول

وفيها من التشبيب ما يسبي لب اللبيب فلم يرد عليه النبي ما قاله ولا كره منه تلك المقاله وقد كان عليه الصلاة والسلام يستنشد الشعر فينشد ثم يستزيد فيزاد ويعجبه ذلك اذا وافق صاحبه الحق * وذكر ابن الانباري عن أبي بكرة قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده اعرابي ينشده الشعر فقلت يارسول الله أشعرا أم قرآ نا فقال في هذا مرة وفي هذا مرة وقال في الكتاب كان الرجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتناشدان الشعر وهما يطوفان حول البيت وسيأتي هذا المعنى مستوفى في باب الهاء من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى * فان أردت أن تعرف مقدار الشعر وانه عند قائله أنفس من الدر فانظر ما اخرج ابن هشام وماذكره في كتاب السير أن حسان بن ثابت رضي الله عنه لما قال قصيدته التي أولها

منع النوم بالعشاء هموم * وخيال اذا تغور النجوم

قالها ليلا فدعا قومه فقال لهم خشيت أن يدركني أجلي قبل أن أصبح فلا ترو ونها عني ولذا كان العلماء رضي الله عنهم يرون درجة من لا يقوله نازلة لاسيما عند النازلة وقال سعيد بن المسيب رضي الله عنه وقد قيل له ان فلانا لا ينشد الشعر فقال تنسك تنسكا أعجميا أبو بكر شاعر وعمر شاعر وعلي أشعر الثلاثة * وقال أنس بن مالك رضي الله عنه كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بالمدينة بيت الا يقول الشعر فقيل له وما هو فقال

يريد المرء أن يعطى مناه * ويأبى الله الا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي * وتقوى الله أفضل ما استفادا

وقال بعض السلف الشعر لا ينكره الا أحد رجلين مراء يظهر بذلك نسكه أو جاهل به لا يصلح لروايته * يحكى أن أبا عبيد الله بن زياد دخل على معاوية رضي الله عنه فأجلسه معه على سريره وقال له يا ابن أخي أقرأت القرآن قال نعم قال له ورويت الشعر قال ما أروي منه شيئا لاني تجنبته قال له ولم يا ابن أخي فوالله لقد رأيتني بصفين واني لعلى الهرب فاردني الا قول عمرو بن الاطنابة

أبت لي عفتي وأبى بلائي * وأخذي الحمد بالثمن الربيح
واقدامي على المكروه نفسي * وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تستريحي
أدافع عن مآثر صالحات * وأحمي بعد عن عرض صحيح

فلم كرهت الشعر أى بنى اروه كلما تهيألك أن ترويه فانه يشجع الجبان ويسخى البخيل ويبرز البليد * وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول أفضل صناعات الرجل الابيات من الشعر يقدمها فى صدر حاجته فيستعطف بها قلب الكريم ويستميل بها نفس اللئيم * وكان رضى الله عنه متى عرضه أمر أنشد فيه شعرا وكذلك روى عن عائشة رضى الله عنها * وسيأتى ذلك ان شاء الله تعالى قلت رضى الله عن عمر اذ يقول فى الشعر يستعطف به قلب الكريم حدث الاصمعى قال سمعت بيتين لم أحتفل بهما ثم قلت هما على كل حال خير من موضعهما من الكتاب وهما

اذا شئت أن تلقى أخاك معبسا * وجداه فى الماضين كعب وحاتم

فكشفه عما فى يديه فانما * تكشف أخلاق الرجال الدراهم

قال فانى لعند الرشيد ذات يوم وذكر حديثا طويلا دار الى معنى البيتين فقلت فى نفسى جاء موضع البيتين فأنشدتهما الرشيد وكان غضبان قال فتجلى عن الرشيد وأمر لى بألفى دينار فى البيتين وما كانا يساويان عندى درهمين وقال عمر رضى الله عنه علموا أولادكم الكتابة والعوم والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا ورووهم ما يحسن من الشعر وفى رواية وخير الخلق للمرأة المغزل ذكره فى هذا الخبر العوم من قول عمر رضى الله عنه وقد جاء من قول النبى صلى الله عليه وسلم ذكره ابن أبى زمنين فى كتاب آداب الاسلام وقال عن ابن أبى مليكة أن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه انتهوا الى غدير فسبحوا فيه فقال النبى صلى الله عليه وسلم ليسبح كل رجل منكم الى صاحبه وأنا أسبح الى صاحبى فسبحوا وسبح النبى عليه الصلاة والسلام الى أبى بكر وسيأتى الكلام على الرمى فى باب الهاء مع الركوب ان شاء الله * قلت والشئ يذكر بالشئ ذكرنى عوم النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه المذكورين فى هذا الخبر مسابقته صلى الله عليه وسلم مع عائشة رضى الله عنها خرج ابن أبى زمنين فى كتابه المذكور عن عائشة رضى الله عنها قالت خرجت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر من أسفاره قالت فنزلنا منزلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالى حتى أسابقك فسبقته وخرجت معه بعد ذلك فى سفر آخر فنزلنا منزلا فقال تعالى حتى أسابقك فسبقنى ثم ضرب بيده بين كتفى وقال هذه بتلك * وكان عروة بن أذينة الفقيه المحدث الذى روى عنه مالك وغيره رحمة الله عليهم شاعرا مجيدا مغرما فى الشعر وكان من أجل علماء المدينة وكان مع علمه

وثقته

وثقته وثبوته رقيق الغزل * يحكى أن امرأة وقفت عليه فقالت له أنت الذى يقال عنه الرجل الصالح العالم وأنت القائل

اذا وجدت أوار الحب فى كبدى * أقبلت نحو سقاء القوم أبترد
هبنى بردت ببرد الماء ظاهره * فمن لحر على الاحشاء يتقد

والله ماخرج هذا من قلب سليم أوكما قالت هذا معناه وكان رضى الله عنه عزيز النفس أبى الطبع وفد على هشام بن عبد الملك فقال له ألست القائل

لقد علمت وما الاسراف لى طمع * أن الذى هو رزقى سوف يأتينى
أسعى اليه فيعيينى تطلبه * ولو قعدت أتانى لايعيينى

قال نعم قال فما أقدمك علينا قال سأنظر فى أمرى وخرج من فوره ذلك فأخبر بذلك هشام فأتبعه بجائزة * رجع الكلام الى معنى الشعر المتقدم وفضائله قال الاصمعى لما أنشد أشجع بن عمرو السلمى قصيدته التى برز فيها فلما انتهى الى قوله

وعلى عدوك يا ابن عم محمد * رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعته واذا غفا * سلت عليه سيوفك الاحلام

فلما سمع هذين البيتين استوى جالسا طربا وقال هكذا والله تمدح الملوك * ووقع فى الشهاب قول الرسول عليه الصلاة والسلام ان من الشعر لحكما وان من القول عيا وان من البيان لسحرا * قال بعض العلماء معنى ان من الشعر لحكما * ان منه مايلزم المقول له كلزوم الحكم للمحكوم عليه اصابة للمعنى وقصدا للثواب وفى هذا يقول أبو تمام

ولولا سبيل سنها الشعر مادرى * بغاة الندى من أين تؤتى المكارم
يرى حكمة مافيه وهو فكاهة * ويرضى بما يقضى له وهو ظالم
ولم أر كالمعروف تدعى حقوقه * مغارم فى الاقوام وهى مغانم
وان العلى مالم ير الشعر بينها * لكالارض غفلا ليس فيها معالم
وماهو الا القول يسرى فيغتدى * له غرر فى أوجه ومواسم

ويروى ومياسم الميسم المكواة وأصل الياء واو فان شئت قلت فى جمعه مياسم على اللفظ وان شئت قلت مواسم على الاصل كما قال صاحب كتاب تاج اللغة والاحسن عندى أن يكتب مثل هذا بالياء فرقا بينه وبين مواسم الحج الذى واحدها موسم بالواو لاغير * فمن حكمه أن بنى أنف الناقة كان اذا ذكر أنف

الناقة عند أحدهم غضب فضلا عن أن يسب أحدهم به أو يعير فما هو الا أن قال الحطيئة فيهم

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم * شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

قوم هم الانف والاذناب غيرهم * ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا

فلما قال هذا فيهم جعلوا يفخرون بهذا البيت واذا سئل أحدهم عن نسبه لم يبدأ الا بان أنف الناقة بعد ما كان يغضب اذا ذكر * وأنف الناقة هو جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم * وكذلك كان بنو العجلان بضد هذا يفخرون بهذا الاسم و يتشرفون به لان جدهم عبد الله بن كعب سمي العجلان لانه كان يعجل قري الاضياف ونزل به حي من طيء فبعث اليهم عبداله بقراهم وقال له أعجل عليهم ففعل العبد فأعتقه لعجلته فقال القوم ما ينبغي أن يسمى هذا الا العجلان فسمي به فكان شرفا لهم الى أن هجاهم أحد الشعراء فقال

وما سمي العجلان الا بقوله * خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فصار الرجل منهم اذا سئل عن نسبه قال كعبي و يكنى عن العجلان * ويروى انهم استعدوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه على هذا الشاعر وقالوا هجانا فقال وما قال فيكم فأنشدوه

اذا الله عادى أهل لؤم وذلة * فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فان الله لا يعادي مسلما قالوا فقد قال

قبيلته لا يغدرون بذمة * ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال وددت ان آل الخطاب كانوا كذلك قالوا فقد قال

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم * وتأكل من عوف بن كعب بن نهشل

فقال كفى ضياعا بمن تأكل الكلاب لحمه قالوا فقد قال

ولا يردون الماء الا عشية * اذا صدر الوراد عن كل منهل

فقال ذلك أصفى للماء وأقل للزحام قالوا فقد قال

وما سمي العجلان الا بقوله * خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

قال سيد القوم خادمهم قال الذي أورد الحكاية وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعلم بما في هذا الشعر من الذم ولكنه درأ الحدود بالشبهات * ومثل هذه الحكاية في الاستعداء بعمر رضي الله عنه ما روي ان الحطيئة هجا الزبرقان

ابن

ابن بدر بقوله

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

فلما بلغت الزبرقان استعدى عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأنشده البيت فقال عمر رضى الله عنه ما أرى به بأسا فقال الزبرقان والله يا أمير المؤمنين ما هجيت ببيت قط أشدّ علىّ منه فبعث عمر الى حسان بن ثابت رضى الله عنهما فقال انظر ان كان هجاه فقال حسان رضى الله عنه ما هجاه ولكن سلح عليه ولم يكن عمر رضى الله عنه يجهل موضع الهجاء فى البيت ولكنه كره أن يتعرض لشأنه فأمر بالحطيئة الى الحبس وقال يا خبيث لأشغلنك عن أعراض المسلمين فكتب اليه من الحبس يستعطفه

ماذا تقول لافراخ بذى مرخ * زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة * فاغفر عليك سلام الله يا عمر

أنت الامام الذى من بعد صاحبه * ألقت اليك مقاليد النهى البشر

ما آثروك بها اذ قدموك لها * لكن لأنفسهم اذ كانت الاثر

ويروى لكن بك استأثروا فلما قرأها عمر رضى الله عنه أمر باطلاقه وأخذ عليه أن لا يهجو مسلما وقوله فى الشعر الكاسى أراد المكسو كما قال الله تعالى من ماء دافق أى مدفوق وعيشة راضية لانه يقال كسى العريان ولا يقال كسا قاله الفراء رحمه الله وفى هذا الشعر بعد البيت المتقدم

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

ومن نوع ما تقدم ان من الشعر لحكما ما روى أن المحلق كان خاملا لا يذكر حتى طرقه الاعشى فى فتية وليس عنده الا ناقة فأتى أمه فقال ان فتية طرقونا الليلة فان رأيت أن تأذنى لى فى نحر الناقة فقالت نعم يا بنى فنحرها واشترى لهم ببعض لحمها شرابا وشوى لهم بعض لحمها فأصبح الاعشى ومن معه مراحلين فلم يشعر المحلق حتى أتته القصيدة التى أوّلها * أرقت وما هذا السهاد المؤرق * وفيها *

وبات على النار الندى والمحلق * وهى مشهورة فاشتهر وعرف كرمه وكانت أمه تخطب اليه وتقول * وبات على النار الندى والمحلق * كذا رأيته فى كتاب تاج اللغة المحلق وبينه فقال المحلق بكسر اللام رجل من ولد أبى بكر بن كلاب من بنى عامر الذى

يقول فيه الاعشى * وبات على النار الندى والمحلق * وقال فيه أيضا

تروح على آل المحلق جفنة * كجابية الشيخ العراقى تفهق

وقد فسر صاحب الكامل الشيخ وذكر فيه رواية أخرى السيح بالسين والحاء المهملة وفى هذا الشعر

لعمرى قد لاحت عيون كثيرة * الى ضوء نار بالبقاع تحرق

تشب لمقرورين يصطليانها * وبات على النار الندى والمحلق

رضيعى لبان ثدى أم تحالفا * بأسحم داج عوض لا نتفرق

ترى الجود يجرى سائلا فوق وجهه * كما زان متن الهندوانى رونق

تقدم ذكر الاعشى وليس واحدا قال ابن دريد رحمه الله العشى من الشعراء ثمانية قال أبو عبيد البكرى رحمه الله وقد حكى قوله وتتبعتهم انا فوجدتهم خمسة عشر أعشى ثم سماهم انظرهم فى اللآلى من تآليفه (قلت) وأنت أى بنى أطلبك لا تعرف الاعشى ولا العشا وانما تعرف العشا من أجل العشا فدونك هذه الفائدة بارزة من الغشا قال أهل اللغة الاعشى الذى لا يبصر اذا أظلم عليه الوقت بالليل والاغطش الضعيف البصر والاخفش كذلك ويزيد عليه صغر العين والاحول الذى ينظر الى المحاجر والاقبل الذى ينظر الى عرض أنفه والازرق الاخضر الحدقة والاملح أشد من الزرق وهو الذى يضرب الى البياض والادعج الشديد سواد العين والاحور الشديد سواد العين الشديد بياض الابيض منها والانجل الواسع العينين فى حسن والاشكل الذى يخالط الحمرة سواد عينيه والاشهل أن تكون الحمرة أكثر من صاحب الشكلة * قال بعض الحكماء قال الله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين فالكلام زوجان منثور ومنظوم فالمنثور قول العامة والمنظوم قول الشعراء يريد ما يحل من هذا يحل من هذا وما يحرم من هذا يحرم من هذا قال الشاعر

وما الشعر الا خطبة من مؤلف * لمنطق حق أو لمنطق باطل

وخرج أبو نعيم الحافظ رحمه الله فى كتاب حلية الاولياء وذكر الشعر فقال فأما الشعر المحكم الموزون فهو من الحكم الحسن المخزون يخص الله به البارع فى العلم ذا الفنون فقد كان أبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم يشعرون (قلت) والكلام القبيح حرام من أى نوع كان مثل مدح الخمر والكلام بالخنا والهجو ولقد أذكرنى هذا الكلام خبرا كنت أنسيته كلفنى بعض الاصحاب نسخ جزء فانتسخته حتى انتهيت

ذكر أوصاف العين

منه الى أبواب فيه تتضمن مدح الخمر وأوصافها وتحسينها وشاربها فتركت مواضعها من الكتاب بياضا وتعديتها الى غيرها وكان اذ ذاك في شيء من خير ثم لما أتممت الكتاب بعثت به اليه مع قطعة شعر قلتها أعتذر اليه من صنيعي وكان اسمه محمدا وهي

أبا عبد الاله فدتك نفسي * تبلغ من أخ برّ سلامه

بهذا الجزء أبواب تراها * تضمنت الندامى والمدامه

أأكتبها فتقرأ بعد موتي * اذا سالت عن الجسد النعامه

وربتما أعنت على فساد * فأحصل ان فعلت على الندامه

وقد قال الحكيم وقال حقا * وقول الحق داع للكرامه

فلا تكتب بكفك غير شيء * يسرك أن تراه في القيامه

تخليت المواضع من كتابي * بياضا فهو أقرب للسلامه

وأما قوله وان من القول عيا قال وحشي في تفسيره هو أن يتكلم الرجل بالعلم بين يدي من هو أعلم منه * كما روى أن رجلا قال لبعض الولاة ان جار الى تزندق فاستفهمه عن مذهبه فقال انه يبغض معاوية بن الخطاب الذي قاتل علي بن العاصي * فقال له الامير ما أدري على أي شيء أحسدك أعلى معرفتك بالانساب أم على معرفتك بالكلام * ومثله ما روى أن رجلا كانت له لحية طويلة جلس الى جماعة من أهل العلم وهم يتكلمون في أيام الجمل وصفين فقال لهم ما تقولون في معاوية وعلي قالوا له وما تقول أنت فقال أوليس هو علي بن فاطمة قالوا ومن كانت فاطمة قال امرأة النبي صلى الله عليه وسلم بنت عائشة أخت معاوية قالوا وما كانت قصة علي قال لهم قتل في غزوة خيبر مع النبي عليه السلام * ومثله ما روى أن رجلا سأل عمرو بن قنبر وكان من كبار أصحاب مالك رضي الله عنهما فقال له ما تقول فيمن وجد في خفه حصاة من المسجد وهو في طريق داره فقال له عمرو يلقيها عن خفه فقال له أوليس الحصاة تصيح حتى تردّ الى مكانها فعلم عمرو بن قنبر عيه فقال له كالمستهزئ به دعها تصيح حتى ينفلق حلقها فقال الرجل أولها حلق فقال عمرو ومن أين تصيح اذا * وأما قوله ان من البيان لسحرا فالسحر في كلامهم الصرف والخديعة * وأما السحر بفتح السين فالرئة ومنه قول أبي جهل انتفخ سحره وقول عائشة رضي الله عنها بين سحري ونحري قال ثابت رحمه الله في الدلائل معناه انه يغلب على القلوب بحجته ويسبيها بحلاوته فكأنه سحر السامع ومنه حديث عمر بن عبد العزيز رحمه

لطيفه

الله أن رجلا كلمه فى حاجته فأبطأ عليه فلم يزل يتلطف به ويتلين له حتى أذعن له عمر بحاجته وقال هذا والله السحر الحلال * وقال الشاعر

لقد خشيت أن أكون ساحرا * راوية مرا ومرا شاعرا

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال هذا الكلام للزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم حين قدما عليه وسأل عمرا عن الزبرقان فأثنى خيرا فقال الزبرقان يارسول الله قد علم منى أكثر مما قال ولكنه حسدنى فقال عمرو يارسول الله انه كذا وكذا وأثنى شرا ثم قال والله يارسول الله لقد صدقت فى الاولى وما كذبت فى الآخرة رضيت عنه فقلت بأحسن ما علمت وسخطت فقلت بأسوء ما علمت فحينئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا * وقد فسر ابن عبد ربه البيان فقال البيان كل شئ كشف لك قناع المعنى الخفى حتى يتأدى الى الفهم و يتقبله العقل فذلك البيان الذى ذكره الله فى كتابه ومن به على عباده فقال الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان * وقالوا الروح عماد البدن * والعلم عماد الروح * والبيان عماد العلم

(فصل) رجع الكلام الى الشعر قلت قد تقدم ان من البيان لسحرا وقول ثابت رحمه الله انه القول الذى يغلب على القلوب بحجته و يسبيها بحلاوته فكان هذا القول الى الذم أقرب منه الى المدح والدليل على ذلك ان الله سماه فسادا فقال بعد قوله ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين وقد تقدم قولهم السحر الحلال فلولا انه حرام ما خصه اذا كان صالحا بالحلال وأما الحرام فهو الذى يسوق الكلام المسجع المطبوع فى معرض الرد على المخاطب كانه علم متبع أو سنة معمول بها كما قال الذى كاف أن يغرم دية الجنين الذى سقط من ضربته * كيف أغرم مالا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك بطل ويروى يطل فقال النبى صلى الله عليه وسلم حين سمعه انما هذا من اخوان الكهان قال الراوى من أجل سجعه الذى سجع ومثله الرجل العابدى من بنى عابد حين جاء الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطلب دية ابنه وكان قد قتله رجل أعتق سائبة فقال عمر رضى الله عنه لا دية له فقال العابدى أرأيت لو قتله ابنى فقال عمر اذا تخرجوا ديته فقال العابدى هو اذا كالارقم ان يترك يلقم وان يقتل ينقم * خرجه مالك رحمه الله فى الموطأ فهذا العابدى قد سجع بباطل ليرد به حقا وهذا هو المنكر ومن البلاغة

التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قائلها على هذا النحو ان الله ليبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها وقال في ضده ثلاث يبغض بهن العبد في الدنيا ويدرك بها في الآخرة ماهو أعظم من ذلك الرحم والحياء وعي اللسان خرجه ثابت وفسر الرحم بالرحمة وجاء في القرآن وأقرب رحما فسر براً ومرحمة قال الشاعر

أحنى وأرحم من أم بولدتها * رحما واشجع من ذي لبوة ضاري

قلت والبلاغة والفصاحة لا تتم الا بالتوفيق الى التحقيق والاستقامة والسلوك على سواء الطريق والافصاح بها منسوب الى التزويق والترقيق وان كان ذا تشقيق وتدقيق وخير منه من كان يقوى على التقوى وان كان أعجميا عجميا ولم يكن اعرابيا عربيا وقد حدثني الحافظ رحمه الله بسنده الى أبي زرعة الطبري قال دخلت على نفطويه الاديب وكان معي جماعة من الفقراء وكان بين يديه أولاد الرؤساء والوزراء فقام لنا نفطويه وقال ادخلوا يا سادة ورحب بنا وفرح فرحا شديدا قد تبين في وجهه فتعجب الصبيان من فرحه بنا ففطن نفطويه فقال اكتبوا يا صبيان ما أملي عليكم وأنشأ يقول

سيبلى لسان كان يعرب لفظه * فياليته في موقف العرض يسلم
وماينفع الاعراب ان لم يكن تقى * وماضر ذا التقوى لسان معجم

وقال ابراهيم بن أدهم لقد أعربنا في كلامنا فما نلحن ولحنا في أعمالنا فما نعرب وقال الاوزاعي اذا جاء الاعراب ذهب الخشوع * تقدم ذكر حسان في الاحسان وأريد أن اذكر لك هنا من فضائله فصلا لتتخذه أصلا كان رضي الله عنه أحد شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي يقول فيه

فان أبي ووالدتي وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء

وفي هذا الشعر المذكور أبيات يمدح فيها الخمر ومر يوما بقوم يشربون الخمر فنهاهم فقالوا لقد أردنا تركها فزينها لنا قولك * ونشربها فتتركنا ملوكا * فقال والله ماقلتها الا في الجاهلية وماشربتها منذ أسلمت رضي الله عنه وفي هذا الشعر

كأن سبيئة من بيت رأس * يكون مزاجها عسل وماء

وقال فيه أيضا * لساني صارم لا عيب فيه * وهو الذي يقول

فان أهلك فقد أبقيت بعدي * قوافي تعجب المتمثلينا

رقيقات القواطع محكمات * لو ان الشعر يلبس لارتدينا
وكان شاعرا محسنا كثير الاحسان طويل اللسان خلقا وخلقا يروى انه كان
يضرب بلسانه أرنبة انفه هو وابنه وجده ويقول لو وضعته على حجر لفلقه أو على
شعر لحلقه وابنه هذا أظنه عبد الرحمن ومن حذقه ونبله انه لسعه زنبور وهو
صغير فجاء الى أبيه يبكى فقال له مالك فقال له لسعنى طائر كانه ملتف فى بردتى حبرة
فقال له أبوه قلت والله الشعر وأم عبد الرحمن هذا سيرين ابنة شمعون أخت مارية
سرية النبى صلى الله عليه وسلم وكان عبد الرحمن يفخر بأنه ابن خالة ابراهيم بن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وروت سيرين هذه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم حديثا قالت رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خللا فى قبر ابنه ابراهيم فأصلحه
وقال ان الله يحب من العبد اذا عمل عملا أن يتقنه الى غير ذلك من فضائله رضى الله
عنه * وبعد هذه الفصول والمقدمات فالاعمال بالنيات والمجازى عليها علام
الخفيات وفى آخر الحديث وانما لكل امرئ مانوى فمن نوى الخير فما عليه توى
وسترى تفسير توى مع اشكاله ثوى ونوى فى باب النون ان شاء الله تعالى وأنا قد
جمعت هذا الكتاب ومرادى أن نذكر الله تعالى فيه ونصلى على رسول الله صلى الله
عليه وسلم متى جرى ذكره لأنى لما رأيت ذلك الشعر عقده انحلت بالفتح وظلمه
انجلت بالشرح جعلت فى آخر كل باب منه فصلا جزلا طويلا نبيلا أردت أن
أزيده به انشراحا وايضاحا بتفسير آية من كتاب الله تعالى وضياء وسناء بأحاديث
عن نبيه المصطفى مع ذكر مآثر ومفاخر عن أصحابه عليهم اكمل الرضا وحكايات
ومواعظ مرويات عن العلماء وأخبار وأشعار عن الحكماء ورقائق عن أهل
اليقين وحقائق عن المتقين وآتى فيه بعجائب رأيتها وغرائب رويتها
وأشياء كانت عندى مضاعة صيرتها مذاعة وأخبارا كانت متفرقة فجمعتها
ومستورة فأبرزتها وكنت عولت أولا أن يكون لغويا موجزا صغير الجرم
مكتنزا فما هو الا ان شرعت فى تأليفه وأخذت فى تصنيفه فأقبلت بحمد الله
علىّ الفوائد من كل أوب وألمعت الىّ الشوارد بدون ثوب فمن آية من القرآن
العظيم الذى بنوره يهتدى وحكاية عن النبى الكريم الذى بأموره يقتدى
ومن حكمة زهدية جدية وكلمة غزلية هزلية فهذه مطربة مسلية وتلك مكربة
مبكية الى غير ذلك من مسألة فقهية من لباب اللباب وأخرى نحوية قل

ان

أن توجد فى كتاب ومن نظم ونثر لاسيما حلى أولى الالباب ومالى أيضا من هذا النوع مما يليق بالباب وعلى هذا الفن عولت أبرزه وفى هذا المجموع عزمت أحرزه فازلت بهذه الفوائد ألطف شارداتها فأربطها وتلك الفرائد أتحف وارداتها فأضبطها حتى اذا صار الكل صيدى و فى ملكى وتحت قيدى أودعت جميع ذلك الآن هذا الديوان فكبر جرمه وكثر علمه وعاد طويل الذيل جزيل النيل ينشط القارى والسامع و ينفع ان شاء الله الكاتب والجامع و يستفيد منه المبتدى والشادى والحاضر والبادى والذكى والبكى والعى والالمعى لانى وضعت فى هذا التأليف الذى من كل شئ علمته فنا كما قال محمد بن يزيد رحمه الله فى بعض تراجم كتاب الكامل هذا كتاب اذكر فيه من كل شئ وكتابى هذا كله كذلك والحمد لله على ذلك وان كنت قد جمعت فيه بين جد وهزل ولين وجزل فما ذاك الا لأنشط الناظر وأستجم الخاطر وأقول

خلطت الجد بالهزل * ولين القول بالجزل

فسر للجد تبتبه * وسر للهزل بالعزل

سر الاول من السير وسر الثانى من السيرة ومع ذلك فلا بد من خطأ فيه لان ذلك وصفى مع عجزى عن كمال العلم وضعفى فمن عثر على شئ من ذلك فليعلم انى لم أعتمده فلا يعتقده وليخرج له وجها ولا يجبه به المؤلف تجها كما شاهدت ذلك فى بعض المولدين ممن ليس يعثر من قبله فى علم ولا دين يخطئه ويحمل عليه و يضيف الجهل جهرا اليه وليس ذلك بمستقيم وما يفعله الا كل خبيث القلب سقيم وانما يعد فى الاكياس من صوب خطأ الناس والتمس له وجها فى كلام العرب وفى لغتها الواسعة الأبعد منها والاقرب وأما طلب عوراتهم والتماس عثراتهم فليس ذلك فى حكم المروءة ولا يدل على حسن آداب الفتوة وما أرى السبب فى ذلك والعلة الا ضيق الحوصلة أو الحسد والغيرة على ما آتى الله غيره فنهض بما أولاه مولاه من فضله وأقام هو على جهله أو لان المؤلف كان معاصره ومماشيه ومحاضره كما قال ابن شرف رحمه الله

أغرى الناس بامتداح القديم * وبذم الحديث غير الذميم

ليس الا لأنهم حسدوا الحى ورقوا على العظام الرميم

الى غير ذلك من الابيات التى قالها الماضى و يقولها أيضا الآتى ولى أيضا فى هذا

المعنى قطعة ابتدأت بها كتابي كتاب التكميل وآخرها

ولكن حرمة الموتى تراعى * لهم والحي مهتضم طليح
فيعطى للقديم من السهام المعلى والحديث له المنيح

انظرها بكمالها في التكميل المذكور وعلى ذلك فاني أحرج على من أراد أن ينسخ كتابي هذا أن يجرده أو يسلخه أو يختصره فيمسخه لاني ألفته كما يقول الناس شحمة بشحمه وتمرة بجمره ولعلك ما تستخشنه غيرك يستحسنه وما تستقبحه غيرك يستملحه فدعه كما وقع على ما به من صحة أو فدع وخذ كله أو فدع اللهم الا من أراد أن يعلق منه نتفا فعنه الحرج قد انتفى لاني أعلم ان الطالب اذا رأى شيئا أعجبه لا بد وأن يكتبه وبعد كتبه اياه يحفظه ويمدحه ويقرظه وقد بلغ بأحدهم الافراط في مدح كلام سمعه من غيره فقال أأكتبه فقال نعم اكتبه في الاوراق فان مثله يكتب نقشا بالخناجر في الاحداق فأول من نسأله نفع هذا الكتاب ان شاء الله أنا وأرجو بذلك عند الله أجرا وهنا أتذكر به ما شرد وأتعلم به ما ورد ويكون بابا من العلم قد أحرزته وجزءا منه قد حويته لانه ليس لك من العلم الا ما حفظته لا ما كتبته وأحسن من محفوظك ما سمع من ملفوظك لانه يقال العالم يكتب أحسن ما يسمع ويحفظ أحسن ما يكتب ويتكلم بأحسن ما يحفظ وبضد هذا ما وصف به بعضهم رجلا فقال يغلط في علمه من وجوه أربعة يسمع غير ما يقال له ويحفظ غير ما يسمع ويكتب غير ما يحفظ ويحدث بغير ما يكتب وقال أعرابي حرف في تامور قلبك أحسن من عشرة في كتبك والتامور علقة القلب وفي مثل هذا ينشد

اذا لم تكن حافظا واعيا * فجمعك للكتب لا ينفع
أتحضر في مجلس جامع * وعلمك في الدار مستودع

وقال الخليل بن أحمد اجعل ما في كتبك رأس مال وما في قلبك للنفقة وكنت أقرأ باشبيلية على رجل فاضل رحمه الله فيسألني عن المسألة فربما أتوقف فيه فيقول عجل بالجواب الرفقة سائرة فأقول ما معنى هذا فيقول ربما تسأل وأنت في الطريق وقالوا العلم ما عبر معك الوادي وعمر بك النادي وكما يقال في الكلام العلم ما تدخل به الحمام ولي في هذا المعنى

لا تودعن علمك يا حاذق * في صحف يسرقها السارق

بل صدرك اجعله وعاء له * مفتاحه مقولك الناطق
حينئذ ان قال عنك امرؤ * أنك تدرى فهو الصادق
بالله قل لى يا فتى ان تسل * عن قصة صاحبها طارق
وقال عجل قل لنا شرحها * الركب عنى ذاهب زاهق
والعلم فى بيتك مستودع * فى كتب منظرها رائق
كيف ترى حالك هل فوق ذا * من خجل يرمقه الرامق
لآخر فى صدره علمه * وهو بما يحفظه واثق
ان سيل كان القول فى شدقه * لكل ما ينفقه راتق
شتان ما بينكما أنت فى العلم ضعيف وهو الفائق
فادرس ولا تغفل وكن حافظا * وربك اسأل فهو الرازق

فلعل هذا الكلام عسى ان يقع فى قلب من له همه فيجعل العلم همه فيبعثه العلم على العمل وينشطه من الكسل فأكون ان شاء الله مصيبا ولى من عمله نصيبا ومع هذا فان ربى الوهاب الكريم وهب لى ولدا سميته عبد الرحيم وقلت فيه

أهلا بمولود أتى من بعدما * أخذ الزمان شبابنا فأبانه
لكن على كبرى وشيب مفارقى * الله يعلم ما كرهت مكانه
سميته عبد الرحيم تبركا * باسم الذى سنى لنا اتيانه
الله يهديه وايانا لما * نرجو به منه غدا رضوانه
وأنا سأنفعه وأحسن عونه * ما اسطعت ان أرخى الزمان عنانه
وأنيله علمى وما اكتنته * وأبحه ما قد كتمت عيانه
وان المنية عجلت تخليفتى * ربى عليه فهو يصلح شانه
ذاك الذى أرجو وذا ظنى به * فى أمره سبحانه سبحانه

والولد كما قال عليه الصلاة والسلام فى ابنته فاطمة رضى الله عنها انما فاطمة بضعة منى يريبنى ما رابها ويؤذينى ما آذاها وفى رواية أخرى يبسطنى ما بسطها ويقبضنى ما قبضها معناه يسرنى ما سرها ويسوءنى ما ساءها خرجه ثابت فى الدلائل وكذا فسره قال أهل اللغة يقال راب وأراب بمعنى وأفضل ما نحل الوالد ولده أدب حسن وقد تقدم كما تقدم أيضا * والمرء يعجب بابنه وبشعره * وحب الولد شديد ونفعه وكيد كيف لا وولده انما هو كبده كما قال

وانما أولادنا بيننا * اكبادنا تمشي على الارض

وقال غداني وراح مثلى * يلبس ماقد خلعت عني

فسرني مارأيت منه * وساءني مارأيت مني

ولى فى هذا المعنى

عندى بني رعاه ربى * ماز اد فيه مني ينقص

يقوى اذا ماضعفت حتى * اذا مشينا أحبو ويقمص

ان قلت ياصاح كيف هذا * افصص حديثي علىّ وانصص

نقل قضاء الاله هذا * فاطلع أواهبط واقص أوارقص

فسنة الله من يعمر * ينكس ونحو الاعقاب ينكص

والكلام فى الاولاد واد ومن أملح ما أحفظ منه قول بعضهم وقد غاب عن ولد له صغيرا أخبرت انه للحفيد بن زهر القرطبي رحمه الله

ولى واحد مثل فرخ القطا * صغير تخلفت قلبي لديه

نأت عنه دارى فيا وحشتي * لذاك الشخيص وذاك الوجيه

تشوقني وتشوقته * فيبكى علىّ وأبكى عليه

وقد تعب الشوق مابيننا * فمنه الىّ ومني اليه

قال فى هذا الشعر ولى واحد وأبو الولد الواحد أبدا كثير الشفقة زائد المقه ومن كلام الفرس من حرم الولد فقد حرم السرور ومن كان له ولد واحد فهو بمنزلة من لا ولد له وقال آخر

طربت الى الاصيبية الصغار * وهاجك منهم قرب المزار

وأبرح مايكون الشوق يوما * اذا دنت الديار من الديار

وقال آخر وقد زعموا ان المحب اذا نأى * يمل وان النأى يسلى من الصد

بكل تداوينا فلم يشف مابنا * على ان قرب الدار خير من البعد

وكثيرا ماكنت أنشد اذا اتغربت عن بلدى وخلفت به أهلى وولدى قول يزيد بن الطثرية قال ثعلب وهو راوية * الطثرة الخصب وكثرة الخير

بنفسى من لا يستقل بنفسه * ومن هوان لم يحفظ الله ضائع

فضع فى يديه من تركت وديعة * فان لديه لاتضيع الودائع

فقلت أنا لا محالة فى السبيل سائر والى ربى الجليل صائر ومن دخل فى عشر

المعترك فماله من مترك وهذا صبي صغير وأنا شيخ كبير أخاف أن تفجأني المنيه قبل أن أبلغ في تأديبه الامنيه والمعترك معترك الحرب وهو موضع القتال حيث الطعن والضرب وفي الشهاب معترك أمتي ما بين الستين الى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك وقد كنت أدبت اخوته جهدي وعلمتهم ما عندي فقلت ان عاش هذا المولود وأنا مفقود ويكون من أهل الطلب ويتعلق منه بسبب يتعرف من هذا الكتاب صفتي وحيث انتهت معرفتي فمن عاين من السيف أثره فكأنه في يده أبصره ومن غمده شهره فلعل ذلك يبعثه على التعلم والازدياد من التفهم ويكسبه نشاطا وبالعلم اغتباطا وعساه اذا علم انه من جمع أبيه ونظم فيه يحمله على حفظ ما فيه وقد سئلت أن أجيزه فيما أجمله مما أرويه وأحمله ففعلت ذلك وكتبت اجازته في شعر يطول ووضعته بكماله في غير هذا الكتاب والحمد لله مع ما كتبت به من الاجازات المنظومة لأشخاص معلومة حسبما طلب مني من استجازني بمنظوم نسبه اليه فأجزته عليه مع استجازاتي أشياخي رحمهم الله بالمنظوم والمنثور مع قطع من الشعر كقطع الزهور وأيضا

فكم دار بنيت وكم جدار * أقمت وكم بها سقفا سمكت
وكم بئر حفرت وكم غراس * غرست وكم فجاج قد سلكت
وكم بيدي كتبت وكم فؤادي * أمل وكم كسبت وكم ملكت
وها أنا سوف أتركه جميعا * وهذا منه أحسن ما تركت
لعل الله ينفعني وغيري * به حيا وأيضا ان هلكت

رأيت في بعض الكتب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن يموت ويترك ورقة من علم الا كانت له الورقة سترا من النار وأنت يا من له قد * أتعبت نفسي تعبا * حتى جمعت كلاما * غضا طريا ورطبا سبكته لك سبكا * سكبته لك سكبا * من كل الانواع فنا * فنا وضربا فضربا أعملت في ذاك كفا بالكتب والفكر قلبا * فحين أحكمت أمري * أودعت ذلك كتبا خذها هنيئا مريئا * كفيت نسخا وسغبا * وعند تحصيلها قل * أهلا وسهلا ورحبا ثمار وها بعد عني * وكن لذا العلم صلبا * فقد أجزتك فيما * أرويه شرقا وغربا وكل نظم ونثر * قيدته لك كتبا * فاعمل بكل جميل * منه تنل منه قربا وقل لربك وامدد * يديك رغبا ورهبا * يارب فارحم أبي انه تكلف صعبا

واغفرله كل ذنب * وهب له الفوز وهبا * والمسلمين فان * للكل غيرك ربا

(فصل) وهذا الكتاب القنه كما ذكرت لولدى أولمن يكون كمثله من مبتدى فربما جمعت فيه من الكلام بين الغث والسمين والرخيص والثمين والجد والهزل والضعيف والجزل كما تقدم فيه القول من قبل وجلبت ما حضر من يابس وأخضر وعقول الناس مدونة فى أطراف أقلامهم بها يستدل على معرفتهم وأفهامهم وبتآليفهم وأوضاعهم يعرف الطول والقصر فى باعهم ويدرى اختلاف طباعهم فمنهم من كلامه مقفر موعر مقعد مبعد ومنهم من كلامه سهل هين سلس لين تستطيبه اذا تذوقته وتستحليه متى رمقته وربما تستعيده ونيتك تستفيده وليس ذلك فى النثر المخزون بل هو كذلك فى الشعر الموزون فمن السهل الممتنع القريب المرتفع الذى تطمع فيه وتظن انه منك بقرب فاذا هو عنك يهرب ما انشدنى بعض الادباء ونحن فى نيل مصر على ظهر الماء يصف واليا كان اسمه سليمان وله أخ اسمه على

قال لى يوما سليما * ن وبعض القول أشنع
هات صفنى وعليا * أينا أسخى وأرفع
قلت انى ان أقل بينكما بالحق تجزع
قال كلا قلت بل لا * قال عجل قلت فاسمع
قال صفه قلت يعطى * قال صفنى قلت تمنع

أين هذا من قول الآخر

فالنوى جد النوى قطع النوى * كذاك النوى قطاعة لوصال

ولما أنشده الاصمعى رحمه الله قال وددت ان الله تعالى سلط على هذا البيت شاة فأكلت هذا النوى كله ومثله فى الفتور ما قاله بعض منتحلى الشعر فى زياد بن عمرو

زياد بن عمرو وعينه كزجاجة * وأسنانه بيض وقد طر شاربه

ومثله

ذكر الحبيب حبيبه * فبكى بكاء صالحا
وجرى الدموع بشاربه * فذاق طعما مالحا

(فصل) وأنت تعرف بالذوق الأسفل والفوق كم بين هذا الذى تقدم وبين ما عليك يقدم قال بعض العلماء أربعة ما عرفوا ما خرج من أفواههم وهو أحسن ما قالت العرب قول العقيمى رحمه الله

ما كلف الله نفسا فوق طاقتها * ولا تجود يد الا بما تجد

وقول الآخر   ألا عائذ بالله من عدم الغنى * ومن رغبة يوما الى غير مرغب

وقول الآخر

ومن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

وقول الآخر   من يسأل الناس يحرموه * وسائل الله لا يخيب

ومن أحسن ما قيل فى انجاز الوعد قول عوف بن محلم

ذكرت مواعيد الامير بن طاهر * ومثل العطايا فى الاكف عداته

وزكيت مالم أحوه من عطائه * وكنت كمن حلت عليه زكاته

وقيل فى التجربة مما يستحسن

لا تمدحن امرأ حتى تجربه * ولا تذمنه من غير تجريب

فرب خدن وان أبدى بشاشته * يخفى على خدنه أعدى من الذيب

غيره   وان مدحك من لم تبله صلف * وان ذمك بعد المدح تكذيب

وقال بعض العلماء اجتمعت الامم على تباينها واختلافها على بيتين وهما

تلقى بكل بلاد ان حللت بها * أرضا بأرض وجيرانا بجيران

والآخر   من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

وهذا البيت قد تقدم للحطيئة أنشدنيه الخطيب الفقيه أبو محمد عبد الوهاب رضى الله عنه زمن الحداثة وقال لى أرأيت لو أنشدك أحد * من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * وقال لك أجزه ما كنت تقول له فلم أدر ما أقول فسألته فقال * جوازيه بابنة الهيثم * فى سؤالات سألنى عنها من هذا النوع على جهة التدريب ذكرتها فى غير هذا الموضع جزاه الله وإيانا خيرا والبيت المتقدم الذى هو ذكر الحبيب حبيبه ذكره ابن السيد رحمه الله فى فصل وصف فيه الشعر أنه مؤسس على المحال مبنى على تزوير المقال ولاجل ذلك اذا سلك الشاعر المطبوع مسلك الزهد وخرج عن طريق الهزل الى طريق الجد غاض رونق قوله وماؤه ونقصت طلاوة شعره وبهاؤه كقول الشاعر ذكر الحبيب حبيبه البيت حتى اذا أفرط فى المحال وأغرق وقال مالا يمكن أن يتوهم أو يتحقق عدّه أهل الصناعة وشهدله بالتقدم فيها والبراعة كقول الآخر

ويا أخا الذود قد طال الظماء بها * لا تعرف الورد فى بيداء مقفار

ردبا لقلاص الى عينى ومحجرها * ترو القلاص بدمع واكف جار

وقول أبي الطيب * شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي * انتهى كلامه قلت وهذا الذي قاله ابن السيد رحمه الله قد قاله قبله علماء جلة * روى ابن أخي الاصمعي عن عمه قال الشعر فكر يقوى في الشر و يسهل واذا دخل في الخير ضعف ولان هذا حسان فحل من فحول الجاهلية فلما جاء الاسلام سقط شعره وقيل لحسان سقط شعرك أم هرم شعرك في الاسلام يا أبا الحسام فقال للقائل يا ابن أخي ان الاسلام يحجز عن الكذب أو يمنع من الكذب وان الشعر يزينه الكذب يعني ان شأن التجويد في الشعر الافراط في الوصف والتزيين بغير الحق وذلك كله كذب كما تقدم والله الموفق

*(فصل) وأنا أقول لمن وجد في هذا الكتاب لفظا مستعملا مبتذلا أو كاملا مقفرا موعرا انظر الى الفائد لا غيره * وخذه لو كان على الغره
ولا تلم من ضمه الوزن أن * يجمع بين الجزع والدره

وقد علمت اني لا أسلم من منتقد يتعلق بطوقي معتقدا انه في المعرفة فوقي على أني لا أدعيها واني مع سني الآن أستدعيها وأقر بقصر الباع في كل الانواع فقبل هذا المنتقد أقصد واياه أنشد

أنا المقر بجهلي * وأنت صاحب فضل * أخو ذكاء وعقل * وذو ذكاء ونبل قل ما تريد فاني * جعلت في الحل خلي * ولست في ذاك بدعا * قد قيل في الناس قبلي لكن ترى سائر البا * ب باقيا دون قفل * التاء والثاء حتى * للياء سهل بن سهل انزل عليه وألف * وضم شكلا لشكل * حتى ترى كيف تقفو * وكيف تسلك سبلي
أو كيف تحجزعنها * تقول ماذاك شغلي

وقد رأيت لبعض المصنفين وقد ذكر كتابه وانه لا يخلو من عائب فقال بعد كلام الناس كما قالوا أعداء لما جهلوا وأصدقاء لما ألفوا فليعلم العائب أنه لم يذهب عنا موضع ما فطن له منا ولا غبنا عن ما شهده من تأليفنا ولا قصرنا عن معرفة ما استخرج علينا ومن كتب من ألف واحدا فقد وجد طلبه واقتنى فائدة فالربح له والخسران على من استخرجه له لا عليه انتهى كلامه * وفي أمثال الحكماء من ألف فقد استهدف وقد بين العتابي هذا المعنى فقال من صنع كتابا فقد استشرف للمدح والذم فان أحسن فقد استهدف للحسد والعيب وان أساء فقد تعرض للشتم واستقذف بكل لسان كذا رأيته للمدح وأظنه للقدح لان الكلام الذي بعده يدل

عليه وقال الجاحظ لا يزال المرء فى فسحة من عقله مالم يصنع كتابا يعرض فيه على الناس مكنون فضله ويتصفح فيه ان أخطأ مبلغ عقله وصدق لانه يقال من امتحن قولا ظهر على عسه ومن طلب عيبا وجده على انه لا يعيب العياب الا العياب ولا تجده أبدا الا وفيه أكثر مما يقذفه من فيه كما قال الاحنف وقد قال له رجل دلنى على رجل كثير العيوب فقال اطلب عيابا فانه يعيب الناس بفضل مافيه وقال الشاعر * ويأخذ عيب المرء من عيب نفسه * مراد لعمرى ما أراد قريب * ولله در الذى يقول * ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا أن تعد معايبه يعنى ان معايبه قليلة يأخذها العد وانه مما يتعين ويشتغل بذكره وانه محمود على ماهو عليه فيجعل له عيبا وحدثنى السلفى رحمه الله فيما رواه عن أبى نصر عن أحمد انه قال سمعت أبا بكر أحمد بن على بن ثابت الحافظ يقول من صنف فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس وأنا قد عولت على هذا فاسترحت وجعلت الناس منى فى حل فأرحت وقلت

هنيئا مريئا غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلت

لكن على شريطة من رأى خللا فلينبهنى عليه ان كنت حيا وان كنت ميتا فليصلحه ان كان من أهل العلم وذوى الفهم وقد كان الخطابى رحمه الله على جلالة قدره ومكانته من العلم يقول فى كتابه كل من عثر منه على حرف أو معنى يجب تغييره فنحن نناشده الله فى اصلاحه وأداء حق النصيحة فيه فان الانسان ضعيف لا يسلم من الخطأ الا ان يعصمه الله بتوفيقه ونحن نسأل الله عز وجل ذلك ونرغب اليه فى دركه انه جواد وهاب * هذا كلامه فى كتابه فى شرح الحديث * وقال فى كتاب أبى عبيد رحمه الله بلغنى ان القاسم بن سلام مكث فى تصنيف كتابه أربعين سنة يسأل العلماء عما أودعه من تفسير الحديث والناس اذ ذاك متوافرون والروض أنف والحوض ملآن وروى عن أبى زيد انه قال لا يبيض الكتاب حتى يسود ولما رأيت هذا الكلام الذى هو الدر من هذا الامام الحر قلت

ياصاح قل واقصد بذا الخطاب * ليوسف الخطاب لا الخطابى

اذا يقول مثل ذا الخطابى * فأنت قل ما أليق الخطابى

أعزكم الله قد سمعتم مقالة هؤلاء الاعلام كالخطابى وابن سلام والعتابى والجاحظ وابن ثابت الحافظ وفى كل ماقالوا صدقوا والحق فيما به نطقوا وأنا أقول أيضا

وأصدق وأرتق ما أفتق أي بني انه من حكى قول الناس فما عليه من باس وقد كنت أظن ان التأليف يصعب فاذا هو أسهل شئ وأقرب خذ كلام الناس من هنا وضعه هنا وقل مؤلفه أنا وفي ذلك أقول

ظننت اللغات غدت تصعب * على من بغاها ومن يطلب
اذا هي أسهل شئ وما * أراها اذا طلبت تهرب
وما هي الا كما قاله ابن قزمان في النحو اذ يطرب
وأي غريب به ثم الا تقل ضارب ثم قل يضرب
كذلك مؤلفها اليوم ان * يرد جمعها أوله يذهب
تراه يجر ولا ينثني * وأذياله خلفه يسحب
الى كتب الناس يحلو بها * ويقعد ينسخ أو يكتب
فينقل منها الى كتبه * وبعد الى نفسه ينسب
يقول كتابي ألفته * ويلقى له اسمابه يعرب
وهل هو الا كلام الشيوخ الالى قبل أنفسهم أتعبوا
فهذا الخليل ويونس أو * أبو عمرو أو أحمد ثعلب
والاخفش وابن قريب وعمرو * وذا ابن دريد وذا قطرب
وان كنت خليت أصحابهم * فللكون ذلك كذا فاحسبوا
وقدمت قوما وأخرت قوما * من أجل القوافي فلا تعتبوا
فهم كالنجوم تضيء لنا * وموضعها شرق أو مغرب
وكلهم سيد عالم * وقل عامل فاضل طيب
هم أهل ذا الشان أربابه * هم صنفوا بوبوا ورتبوا
ومن جاء من بعدهم انه الطفيلي حقا فلا تعجبوا
أيا ليت شعري ماذا عسى * يقول مؤلفنا المطنب
أيلقى كلاما قد اغفله الأئمة أو من له مذهب
فيا ليته قال ألفته * من اقوالهم فهو الاصوب
وينمى المقال الى أهله * ولا يدعيه ولا يغصب
كمثلي أنا قلت هذا كتاب * وليس بحق ولا أكذب
وهل لي فيه سوى كاغد * وغير مداد به أكتب

وترصيف

وترصيف قول الائمة في * مواضع منه كما بوّبوا
وان كان نظم فربتما * ولكن من الغث قد يقرب
واياي أعني بما قلته * ولم ألد غيري بذا أجذب
بدأت بنفسي أو بخها * لكي تستريحوا ولا تحجبوا
ومن شاء منكم يقل فليقل * فاني أقول ولا أغضب
هنيئا مريئا العزة مااستحلته من عرض من تحصب
وأنت الهي فلا تنسني * من الخير يا من له أرغب
تغمد عبدك والمسلمين * بعفو خطيئتنا يغلب
وصل على أحمد المصطفى * رسولك من داره يثرب

وسيأتي الكلام في تسمية المدينة يثرب في باب السين من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقد تقدم ذكر الطفيلي وسيأتي ان شاء الله في باب الباء وخذ الآن فائدة أيها الطالب النبيل والصاحب الجليل في فضل الخليل لتنظره بعين التبجيل وتفضله على أبناء هذا الجيل فانه رجل جليل * ذكر ابن عائشة قال كان الخليل بن أحمد يغزو سنة ويحج سنة الى أن مات رضي الله عنه وبعث اليه سليمان بن علي الهاشمي بطرف وكساء وفاكهة فقبل الفاكهة ورد ماسوى ذلك وكتب اليه وكان سليمان استدعاه

أبلغ سليمان أني عنه في دعة * وفي غنى غير أني لست ذا مال
سخى بنفسي أني لا أرى أحدا * يموت هزلا ولا يبقى على حال
والرزق عن قدر لا العجز ينقصه * ولا يزيدك فيه حول محتال
والفقر في النفس لا في المال نعرفه * ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

وفي رواية لما أتاه الرسول أخرج له خبزا يابسا وقال ماعندي غير هذا ومادمت أجده فلا أحتاج الى سليمان ولا غيره قال فأبلغه عنك قال أبلغ سليمان الابيات انتهى وانما أجر أني على هذا الذي صنعت حتى وضعت في هذا الكتاب ماوضعت اني كنت في سن الحداثة وزمن الطلب أسمع الحكاية من الشيخ فتعجبني فأكتبها عنه وأحفظها فلما صرت في حد من يقرأ الكتب ويطالعها كنت أرى تلك الحكاية في الكتاب فأقول من ههنا أخذها ثم أجدها بعينها في كتاب آخر وفي آخر فقلت اذا كان العلماء النظار والمصنفون الكبار يفعلون هذا فأنا بهم أيضا

أفتدى بل أنا أحق لانى مبتدى فحملنى ذلك على أن تشجعت فجعت وفعلت أفعالى التى فعلت وجعلت فى كتابى من كلام الناس ما جعلت وأنت فاعليك قد ساقه الله اليك فدعها كما وقعت وخذ الفائدة مهما نفعت وتلق الحكمة ولو من غير حكيم واغتنم العلم ولو من غير عليم فقد جاء فى الشهاب الحكمة ضالة المؤمن وأخبرنى من أثق به انه قال فى كتاب البزار يطلبها حيث وجدها ولو فى أيدى الشرط وفى الحديث رب حامل فقه الى من هو أفقه منه ومع هذا فأنا المعترف انه ليس لى من هذا التصنيف سوى التأليف ولا من العلوم المستودعة فيه سوى الترتيب والتبويب اللهم الا ما كان من فقره ساقتها فكره أو نظم جلبه فهم أو عكس وقلب سمح بهما القلب أو كلام جعلته لغيرى سلما ولربما ولعلما على أنى أنبه عليه ولا أستره بل أقول قبله قلت ثم أذكره وها أنا أقول وباشياخى أصول

ما كان من نظم ومن نثر به * فهما اللذان حوتهما أشراكى
وسواه للعلماء ساداتى أجل * أقول عنهم أنهم أشراكى
بل قادتى بهم أعز وأهتدى * وأذل أهل الشك والاشراك

وقد أكثرت من القول حتى آلت الفريضة الى العول وقد آن أن ابتدئ بعون الله ذى الطول ومن بيده القوة والحول وأقدم هنا بابا فى حروف المعجم كلها وشرفها وفضلها وفى الكتابة وكيف تعلمها الصحابة (قلت) وللخط فضل وشرف ومنفعة لا تجهل بل تعرف به تقيد العلوم وتثبت وتزرع فى الصدور فتنبت ألم تسمع ربك الاكرم حيث يقول فى الكتاب المحكم علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم وقال عليه الصلاة والسلام قيدوا العلم بالكتابة وخرج ابن شاهين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال يارسول الله انى لا أحفظ شيئا فقال استعن بيمينك على حفظك يعنى الكتب ولما عدمت العرب الكتابة فى الجاهلية وكانت أمة أمية جعل لها الشعر العوض فأدركت به الغرض أقامته مقامها فدونت به كلامها وعرفت به أيامها كما يروى الشعر ديوان العرب وفضل الكتابة كبير والكلام فيها وفى مدحها كثير * ومن أمدح ما قيل فى كاتب

ان هز أقلامه يوما ليعملها * أنساك كل كمى هز عامله
وان أقر على رق أنامله * أقر بالرق كتاب الانام له

وهذا البيت من الشعر النفيس وفيه ضرب من التجنيس ويكفى صاحب

الخط مدحا ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه من خط وخاط وفرس وعام فذا كم
الغلام على ان من كان خطه حسنا واستعمله في النسخ ضيع كثيرا من العلم
كما حدثني الحافظ فيما قرأت عليه بالاسكندرية قال سمعت أبا الطاهر محمد بن عمر
بالكرخ يقول سمعت أبا الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي يقول سمعت أبا مسلم
محمد بن أحمد بن على الكاتب البغدادي يقول سمعت أبا بكر أحمد بن موسى بن
مجاهد المقرى يقول سمعت أبا العباس ثعلبا يقول اذا أردت أن تكون أعلم الناس
فاكسر القلم وحدثني الحافظ أيضا رحمه الله قال سمعت أبا القاسم بن أبي يعقوب
الحافظ يقول سمعت أبا الحسن الفقيه الشيرازي ببغداد يقول سمعت
فناخسرو يعني عضد الدولة بن بويه يقول لطالب العلم ينبغي أن يكون خطه رديئا
حتى لا يشتغل بالكتب انما يشتغل بالدرس والسهر وحدثني الحافظ أيضا قال
سمعت أبا الرجا بندار بن محمد بن جعفر الخلقاني بأصبهان يقول سمعت أبا بكر أحمد
ابن جعد الحافظ المعروف بالفقيه يقول ينبغي لطالب الحديث أن يكون سريع
معنى المعجم
القراءة والكتابة سريع المشي (رجع) * تقدم ذكر حروف المعجم وسميت حروف
المعجم لانها منقطة أعجمية أي انها لا تفهم حتى يضاف بعضها الى بعض وتعجم
أي تنقط والنقط عندهم الشكل وقد يقال لهذا النقط المعروف عندنا والشكل
الضبط والحركات وأصله التقييد تقول شكلت الكتاب شكلا أي قيدته وضبطته
الشكل
وشكلت الدابة شكالا وشكلت الطائر شكولا والشكل الضرب المتشابه ومنه
قول الله عز وجل وآخر من شكله أزواج أي من ضربه ومنه قول الرجل ما أنت
من شكلي أي من ضربي والشكل المثل والشكل بالكسر الدل يقال امرأة
ذات شكل والشكلة بالضم كهيئة الحمرة تكون في بياض العين كالشهلة في سوادها
وعين شكلاء بينة الشكل وفي صفة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكل
العين جاء في تفسيره طويل شق العين خرجه الترمذي وتقول أشكل الامر اذا
اشتبه عليك والقوم أشكال أي أشباه قاله أبو عمرو رحمه الله قال ثابت رحمه الله
في الدلائل يقال كتاب معجم وتعجيمه تنقيطه لكي تستبين عجمته قال الشاعر

لمن الديار بعاقل فالانعم * كالوحي في رق الزبور المعجم

وقد قال أبو زيد الصيرفي يقولون هم الاعجم ولم يعرفوا المعجم وقال الراجز

سلوم لو أصبحت وسط الاعجم * في الروم او فارس أو في الديلم

اذا الزرنائد ولو بسلم

وأنكر على أبي محمد عبد الله بن قتيبة قوله لا يجوز أن يقال أعجمي الالمن تنسبه الى عجمة اللسان وان كان عربي النسب قال وقول ابي زيد أولى أن يكون محفوظا وقال الخطابي رحمه الله يقال رجل أعجم اذا كان في لسانه عجمة وان كان من العرب ورجل أعجمي وعجمي اذا كان أصله من العجم وان كان فصيح اللسان قال الفراء ويقال رجل اعرابي اذا نسب الى أنه من اعراب البادية وعربي اذا نسبته الى أنه من العرب فان كان يتكلم بالعربية وهو من العجم قلت عرباني خرج هذا من حديث عبد الله ما كانتعاجم أن ملكا ينطق على لسان عمر رضي الله عنه وفسره قال قوله نتعاجم أي نكنى ونورى وكل من كنى عن شئ وأخفى بيانه ولم يفصح به فقد أعجمه قال ذو الرمة .

أحب المكان القفر من أجل أنني * به أتغنى باسمها غير معجم

وانما قيل للبهيمة عجماء لانه لا بيان لصوتها وأنشد شاهدا على ان الرجل اذا كان في لسانه عجمة يقال له أعجم قول الشاعر

ومازال كتمانيك حتى كأنني * برجع جواب السائلي عنك أعجم

لأسلم من قول الوشاة وتسلمي * سلمت وهل حي من الناس يسلم

وقال أبو عمرو المقرى رحمه الله في كتابه المحكم وتقول أعجمت الكتاب اعجاما اذا نقطته وهو معجم وانا معجم وكتاب معجم ومعجم أي منقوط وحروف المعجم هي المقطعة من الهجاء وفي تسميتها بذلك قولان أحدهما انها مبينة للكلام مأخوذ من قولك أعجمت الشئ اذا بينته والثاني ان الكلام يختبر بها مأخوذ من قولك عجمت العود وغيره اذا اختبرته انتهى ومن هذا قول الحجاج ان أمير المؤمنين نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها ذكره محمد بن يزيد في الكامل وفسر عجم عيدانها يقول مضغها لينظر أيها أصلب قال والمصدر العجم ويقال لنوى كل شئ عجم مفتوحا ومن أسكن فقد أخطأ قال صاحب كتاب تاج اللغة العجم النقط بالسواد مثل التاء عليها نقطتان يقال أعجمت الحروف والتعجيم مثله ولا تقول عجمت ومنه حروف المعجم ومعناه حروف الخط المعجم كما تقول مسجد الجامع وصلاة الاولى أي مسجد القوم الجامع وصلاة الساعة الاولى قال وناس يجعلون المعجم بمعنى الاعجام مصدرا مثل المخرج والمدخل أي من شأن هذه الحروف أن تعجم وأعجمت الكتاب خلاف قولك أعربته

قال

قال رؤبة الشعر لا يسطيعه من يظلمه * يريد أن يعربه فيعجمه
أي يأتي به أعجميا يعني يلحن فيه قال والعجم بالضم خلاف العرب والابل العجم التي تعجم العضاه والشوك فتجتزي به عن الحمض

(باب معرفة الحروف المقطعة أوائل السور)

وذلك ان الله تعالى أقسم ببعضها في كتابه الكريم في أوائل بعض السور مقطعة وموصولة ومجمعة ومفصولة كما تري أقسم بالتين والزيتون والعاديات والعصر وغير ذلك قال ابن عزيز (الم) وسائر حروف الهجاء في أوائل السور كان بعض المفسرين يجعلها أسماء للسور تعرف كل سورة بما افتتحت به وكان بعضهم يجعلها أقساما أقسم الله بها لشرفها وفضلها ولانها مبادي كتبه المنزلة ومباني أسمائه الحسنى وصفاته العليا وبعضهم يجعلها حروفا مأخوذة من صفات الله تعالى كقول ابن عباس رضي الله عنهما في كهيعص ان الكاف من كاف والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق وروى عنه أيضا ان معنى كهيعص كبير هاد عزيز صادق ذكر هذا المهدوي وقال هذا مذهب مستعمل في لغة العرب ومثله قوله

نادوهم ألا الجموا ألاتا * قالوا جميعا كلهم ألافا

يريد ألا تركبوا وفاركبوا وقال طرفة بن العبد في كلام له ويل لنا وأشار الى رقبته مما يجني ذا وأشار الى لسانه وسيأتي مع قوله يقال تي وتا بمعنى ذه * ومثله قوله

قلت لها قفي فقالت قاف * لا تحسبي أنا نسينا الايجاف

فاكتفي بقولها قاف من وقفت ذكره أبو بكر النقاش رحمه الله ويروى عن سعيد ابن جبير أن كهيعص كاف هاد عزيز صادق * وذكر عن ابن عباس رضي الله عنه في الم الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد صلى الله عليه وسلم وعنه ان الر وحم ون فواتح ثلاث سور اذا جمعت كانت الرحمن وقيل في الر انا الله أرى وفي ألم انا الله أعلم وفي المص انا الله أفصل * وقيل أقسم بحروف المعجم كلها واقتصر على ذكر بعضها كما يقول القائل تعلمت ابتث وهو لا يريد هذه الاربعة انما يريد جميعها وكما يقول أحفظ من شعر امرئ القيس قفا نبك * وهو يريد القصيدة بكمالها وكما يقول قرأت الحمد لله وهو يريد السورة كلها وقد سأل أحمد بن يحيي ثعلب رحمه الله عن قسم الله تعالى بهذه الاسماء فقال

رأيت الرؤساء من العلماء رضى الله عنهم يقولون معناه وخلق الذى لا يقدر أحد أن يخلق مثله لقد كان كذا وكذا يريد والله أعلم قسمه بمثل ق يريد الجبل ونون يعنى الدواة وشبه ذلك من مخلوقاته على مذهب من فسر ذلك بهذه فاذا جاء القسم بعد الحروف نحو قوله تعالى والتين والزيتون والسماء والطارق فقد قيل ان ذلك على حذف واضمار تقديره ورب التين والزيتون ورب السماء والطارق كما قال تعالى فى موضع آخر فورب السماء والارض انه لحق وقيل انما أراد بذكر هذه الاشياء التنبيه على قدر عظمها عنده وله سبحانه أن يعظم ماشاء من مخلوقاته ويفعل مايشاء سبحانه وقد يجوز أن يريد أن يتعبدنا بتعظيم هذه الاشياء فلذلك خصها بالذكر وأقسم بها والله أعلم بكتابه * ويروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه هى أسماء مقطعة لو علم الناس تأليفها علموا اسم الله الذى اذا دعى به أجاب وقال داود بن أبى هند سألت الشعبى رحمه الله عن فواتح السور فقال ياداود لكل كتاب سر وان سر القرآن فواتح السور فدعها وسل عما بدا لك وقال الربيع ابن أنس الالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد وقال بعض المفسرين افتتح الله هذه السور بهذه الحروف وهى عربية كلها ليس فيها حرف من حروف المعجم ليطل به مازعم الكفار من ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتعلم من يهود ونصارى كما قال تعالى حكاية عنهم ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين والله أعلم بما أراد من ذلك كله وقد قال ابن سلام فى تفسيره سمعت بعض من أقتدى به من مشايخنا يقول ان الامساك عن تفسيرها أولى وقال شيخى الفقيه الاستاذ أبو زيد عبد الرحمن بن الحسن الخثعمى ثم السهيلى ويكنى أبا القاسم رحمه الله فى شرح السير له ولهذه الحروف التى فى أوائل هذه السور معان جمة وفوائد لطيفة وما كان الله لينزل فى الكتاب ما لا فائدة فيه ولا ليخاطب نبيه وذوى الالباب من صحبه بما لا يفهمون وقد أنزله بيانا وشفاء لما فى الصدور وفى تخصيصه هذه الحروف بأوائل بعض السور دون بعض وكونها أربعة عشر حرفا حكم لمن تدبرها وقد جمعها فى كلام ستراه بعد ان شاء الله تعالى وروى عن كعب الاحبار انه قال أول من كتب العربى والسريانى وسائر الكتب آدم عليه الصلاة والسلام قبل موته بثلثمائة سنة كتبها فى طين ثم طبخه فلما أغرق الله الارض أيام نوح عليه السلام بقى ذلك فأصاب

بكل

كل قوم كتابهم وبقي الكتاب العربي الى أن خص الله تعالى به اسماعيل عليه السلام فأساله وتعلمه وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال أوّل من تعلم الكتاب العربي اسماعيل عليه السلام على لفظه ومنطقه وروى عن عبد الله ابن عمرو بن العاص وعروة بن الزبير انهما قالا أوّل من وضع الكتاب العربي قوم من الاوائل نزلوا في عدنان بن أدد بن أدد أسماؤهم أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت فوضعوا الكتاب العربي على أسمائهم ووجدوا أحرفا ليست من أسمائهم وهي الخاء والثاء والذال والغين والشين والظاء فسموها الروادف يريد ثخذ ظغش والله أعلم لم يذكره في الخبر أنا قلته وقد روى انهم كانوا ملوك مدين وان رئيسهم كلمن وانهم هلكوا يوم الظلة وهم قوم شعيب عليه السلام فقالت أخت كلمن ترثيه

كلمن هدّ ركني * هلكه وسط المحله * سيد القوم أتاه الحتف نارا وسط ظله

وقال رجل من أهل مدين يرثيهم

ملوك بني حطي وهوّاز منهم * وسعفاص من أهل المكارم والفخر

وقال آخر من أهل مدين يرثيهم

ألا ياشعيب قد نطقت مقالة * سبقت بها عمرا وحيّ بني عمرو
ملوك بني حطي وهوّاز منهم * وسعفص أهل في المكارم والفخر
هم صبحوا أهل الحجاز بغارة * كمثل شعاع الشمس أو مطلع الفجر

ويذكر ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقي اعرابيا فقال له هل تحسن أن تقرأ شيئا من القرآن قال نعم قال له فاقرأ أم القرآن فقال والله ما أحسن البنات فكيف الام قال فضربه ثم أسلمه الى الكتاب فمكث فيه حينا فهرب ثم انشأ يقول

أتيت مهاجرين فعلموني * ثلاثة أسطر متتابعات
كتاب الله في رق صحيح * وآيات القران مفصلات
وخطوا لي أباجاد وقالوا * تعلم سعفصا وقريشيات
وما أنا والكتابة والتهجي * وما حظ البنين من البنات

(فصل) ويكره لمعلم القرآن أن يعلم الصبيان هذه الاسماء خشية أن يعدوها من القرآن قال سحنون أكره للعلم أن يعلم أباجاد قال وأرى أن يتقدم الى المعلمين في ذلك * وقد سمعت جعفر بن غياث يحدث ان أباجاد أسماء الشياطين

ألقوها على ألسنة العرب في الجاهلية فكتبوها قال محمد وسمعت بعض أهل العلم يقول انها أسماء ولد سابور الملك ملك فارس أمر العرب الذين كانوا في طاعته أن يكتبوها فلا أرى لأحد أن يكتبها فان ذلك حرام وقد أخبرني سحنون عن سعيد عن يحيى بن أيوب عن عبد الله بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان قوم ينظرون في النجوم يكتبون أبا جاد أولئك لا خلاق لهم ذكر هذا أبو الحسن علي بن محمد القابسي في كتاب التفضلة في تأديب المتعلمين *(قلت) ومع هذا فان الناس لم يتركوها ولعلهم لم يبلغهم هذا أو قصدوا المنفعه فيها لحصرها جميع حروف المعجم والله أعلم وسهل ذلك عليهم أيضا ما خرجه أبو عمرو المقرى في كتاب المحكم له بسنده الى ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لكل شئ تفسير علمه من علمه وجهله من جهله ثم فسر أبا جاد أبي آدم الطاعة وجدّ في أكل الشجرة هوّز زل فهوى من السماء الى الارض وحطي حطت خطاياه كلمن أكل من الشجرة ومنّ عليه بالتوبة سعفص عصى فأخرج من النعيم الى النكد قرشت أقر بالذنب فأمن العقوبة ووقع أيضا في كتاب المبدأ ان سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام لما بلغ تسع سنين أسلمته امه الى الكتاب عند رجل من المكتبين يعلمه كما يعلم الغلمان فلا يسأله عن شئ الا بدره عيسى الى علمه قبل أن يعلمه اياه فعلمه أبا جاد فقال عيسى عليه السلام وما أبو جاد قال المعلم لا أدري فقال عيسى كيف تعلم مالا تدري ماهو فقال المعلم فعلمني اذا فقال له عيسى عليه السلام قم من مجلسك فقام فجلس عيسى مجلسه وقال سلني فقال المعلم ما أبو جاد فقال عيسى الالف آلاء الله والباء بهاء الله والجيم جمال الله وبهجته والدال دين الله فعجب المعلم من ذلك فكان أول من فسر أبا جاد عيسى بن مريم عليه السلام *قال وسأل عثمان بن عفان رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما تفسير أبي جاد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا تفسير أبي جاد فان فيه الاعاجيب قيل يارسول الله وما أبو جاد قال الالف آلاء الله حرف من أسمائه وأما الباء فبهجة الله وجماله وجلاله وأما الجيم فجنة الله وأما الدال فدين الله وأما هوّز فالهاء الهاوية وفسر جميع الحروف كذلك الى آخر قرشت في نوع ما تقدم فهذا ما جاء فيه والله أعلم

(فصل) وأما ابن اسحاق فذكر في السيران ادريس عليه الصلاة والسلام كان أوّل نبيّ أعطى النبوّة والخط بالقلم ذكره بغير اسناد وذكر في كتابه الكبير عن

شهر بن حوشب عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أوّل من كتب بالقلم ادريس وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال أوّل من كتب بالعربية اسماعيل عليه السلام قال أبو عمرو وهذه الرواية أصح من رواية من روى أوّل من تكلم بالعربية اسماعيل والخلاف كثير في أوّل من تكلم بالعربية وفي أوّل من أدخل الكتاب العربي أرض الحجاز فقيل حرب بن أمية وقيل سفيان بن أمية وقيل عبد الدار بن قصي تعلمه بالحيرة وتعلمه أهل الحيرة من الانبار ويروى عن زياد بن أنعم قال قلت لعبد الله ابن عباس رضي الله عنهما معاشر قريش هل كنتم في الجاهلية تكتبون غير الكتاب العربي تجمعون فيه ما اجتمع وتفرقون فيه ما افترق هجاء بالالف واللام والميم والشكل والنقط وبما يكتب به اليوم قبل أن يبعث الله النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم قلت فمن علمكم الكتاب قال حرب بن أمية قلت فمن أين تعلمه قال من أهل الانبار فقلت فمن علم أهل الانبار قال طارئ طرأ عليهم من أرض اليمن من كندة قلت فمن علم ذلك الطارئ قال الخلجان بن الموهم فانه كان كاتب هود نبي الله بالوحي عن الله عز وجل ذكر هذا الكلام أبو عمرو في المحكم ويروى أنه سألوا المهاجرين من أين تعلموا الكتابة فقالوا من أهل الحيرة وقيل وأهل الحيرة من أين تعلموها فقالوا من أهل الانبار فكان أهل مكة يحسنون الكتابة بمكة وكان أهل المدينة لا يحسنونها فلما قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت وقعة بدر وأسر فيها من أسر من أهل مكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل بدر ان بكم عيلة فلا يفلتن منهم يعني الاسارى أحد الا بفداء أو ضربة عنق وكان فداؤهم أربعين أوقية عن كل انسان الا العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم فان فداءه كان مائة أوقية فكان من لا مال له من الاسارى يقبل منه أن يعلم عشرة من غلمان أهل المدينة الكتابة ويخلي سبيله فيومئذ تعلم زيد بن ثابت الكتابة في جماعة من الانصار ومعنى كتبت الكتاب أي جمعت حروفه وقيل كتيبة لاجتماعها قاله ابن قتيبة

(فصل) ومما جاء في الخط قال بعض العلماء كتاب الامم على نوعين أحدهما أن يبتدئ الكاتب خطه من يمينه الى يساره وهي العربية والسريانية والعبرانية والنوع الآخر ابتداء الخط من يسار الكاتب الى يمينه وهي الرومية واليونانية وكتابة الفرس واحتجوا في ذلك بانهم ابتدؤها على اليسار ليكون الاستمداد عن حركة القلب

لاعليه قال واحسن الكتابة الصينية وذلك انها نقش وصورة وانما يكتب الكاتب منها فى اليوم ثلاث ورقات ورأيت فى بعض الكتب ان عادا كانت كتابتها نقشا فى الصخر واستشهد على ذلك بقول يزيد بن الخرم

اذا قلدتهن بنى خزيم * بقين لهم بقاء سطور عاد

يريد قوافى شعره يعنى ان عادا كانت كتابتها نقشا فى الصخر فهى لا تندرس وقال كعب بن زهير لمزرد بن ضرار

أنا ابن الذى لم يخزنى فى حياته * ولم أخزه حتى تغيب فى الرجم

اتى النجم والآفاق منه قصائد * بقين بقاء الوحى فى الحجر الاصم

وفى آخرها أقول شبيهات بما قال عالما * بحسن ومن يشبه أباه فما ظلم

فأشبهته من بين من وطئ الحصى * ولم ينتزعنى شبه خال ولا ابن عم

ومما قيل فى الخط القلم أحد اللسانين كما قيل قلة العيال أحد اليسارين قيل لنصر بن يسار فلان لا يخط قال تلك الزمانة الخفية قال ابن التوأم خط القلم يقول بكل مكان وفى كل زمان ويترجم الى كل انسان ولفظ الانسان لا يجاوز الآذان ولا يعم الناس بالبيان وقيل الخط لسان اليد وهو أفضل أجزاء اليد وقال اسماعيل عقول الرجال تحت أسنان أقلامها وقال عبيد الله بن العباس بن الحسن العلوى الخط لسان اليد وصدق * وقال بعض العلماء من حلف أن لا يكلم أحدا فكتب اليه أو كتب بطلاق امرأته بيده ولم يتكلم بلسانه فانه حانث وقال جعفر بن يحيى الخط سمط الحكم به تفصل شذورها وينظم منثورها وقيل صنعة الخط حلى العقول وقال بشر ابن المعتمر القلب معدن والعقل جوهر واللسان مستنبط والقلم صائغ والخط صيغة وقال مسلمة بن الوليد الخط هو المقيد للباقين حكم الماضين والمخاطب للعيون بسرائر القلوب على لغات مختلفة فى معان معقودة بحروف معلومة من ألف ولام وميم وتاء متباينات الصور مختلفات الجهات لقاحها التفكر ونتاجها التأليف تخرس مفردة وتنطق مزدوجة بلا أصوات مسموعة ولا ألسن مشهورة (قلت) انظر هذا الكلام ما أسمنه وأحسنه وأكمله وأتقنه انما أراد به والله أعلم تمام الخبر وكمال الفائدة لان الحرف الواحد لا يفيد على انفراده حتى يزدوج بغيره وحينئذ يكون كلاما مفيدا وقد يكون للبعض منه معنى مفيد أيضا على ما سيأتى بعد ان شاء الله

(فصل) وقد سقت هذا الخبر شاهدا على الخط والكتاب وتطرقت منه الى

تحصيل

تحصيل هذه الفوائد فى هذا الكتاب وكذا أفعل بكل خبر أو حديث عجيب أطرق اليه بأدنى سبب حتى أقيده بالكتابة فى هذا الامام ثم أرجع الى بقية الكلام

بالله قل لى يا فتى اننى * أسألك الآن ترد الجواب
لولم أسق ذاك ولا غيره * بأى شئ كنت أملى الكتاب
آخذ من ذاك وألق هنا * حتى يرى السفر كخت الثياب
ولست فى أخذى له غاصبا * لكنه عارية للثواب
وان يكن ذاك أتب عاجلا * فالله غفار لمن بعد تاب

بقى من حديث الاسارى بقيه أذكرها الآن بغير تقيه وأطول بقدر مقدرتى اذ قد قدمت معذرتى تقدم ان العباس رضى الله عنه كان فداؤه مائة أوقية قال الاستاذ رحمه الله قد آتاه الله خيرا مما أخذ منه قدم على النبى صلى الله عليه وسلم مال من البحرين فقال له خذ فبسط ثوبه وأخذ مالم يقدر على حمله حتى خفف منه فى حديث طويل وصدق الله تعالى لانه يقول سبحانه يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم و يغفر لكم والله غفور رحيم وفى هذه الآية الشريفة بشرى عظيمة للعباس رضى الله عنه اذ أخذ أكثر مما أعطى وغفر له فيه ما أخطا وكان الذى أسر العباس أبو اليسر واسمه كعب بن عمرو وكان قصيرا دميما وكان العباس رضى الله عنه عظيم الخلق طويل القامة من مقبلى الظعن يعنى انه كان يدرك فم الظعينة وهى راكبة على البعير وهو على قدميه فى الارض و فى مسند البزار قيل للعباس رضى الله عنه كيف أسرك أبو اليسر ولو أخذته بكفك لوسعته فقال ماهو الا أن لقيته فظهر فى عينى كالخندمة والخندمة جبل بمكة وذكر أبو عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لقد أعانك عليه ملك كريم ولما فدى العباس نفسه وابن أخيه عقيل بن أبى طالب قال لرسول الله لقد تركتنى أتكفف قريشا فقيرا معدما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اين الذهب التى تركتها عند أم الفضل وعددها كذا وكذا وقلت لها كيت وكيت فقال من أعلمك بهذا يا ابن أخى فقال الله فقال هذا حديث ما اطلع عليه الا عالم السرائر أشهد أنك رسول الله وأم الفضل هذه رضى الله عنها هى لبابة الكبرى بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وأختها لبابة الصغرى أم خالد بن الوليد وولدت أم الفضل للعباس سبعة نجباء عبد الله بن عباس صاحب

التفسير الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل وعسى أن يأتى له موضع فى الكتاب أزين بذكره أوراق واضرب فى ميدان نخره أرواقى واخوته الستة عبيد الله وعبد الله وعبد الرحمن والفضل وقثم ومعبد وكثير واختلف فى كثير فقيل ان أمه رومية وأختهم أم حبيب وفى أم الفضل يقول الشاعر

ماولدت نجيبة من فحل * بجبل نعرفه أوسهل
كستة من بطن أم الفضل * أكرم بها من كهلة وكهل
عم النبى المصطفى ذى الفضل * وخاتم الرسل وخير الرسل

وكان له أيضا سوى هؤلاء ثلاثة من غير أم الفضل عون والحرث وتمام وكان أصغرهم تمام وهؤلاء لأم ولد رومية تسمى سبا ويقال شقيقهم كثير المتقدم الذكر وكان العباس يحمل تماما هذا ويقول

تموا بتمام فصاروا عشره * يارب فاجعلهم كراما بره
واجعل لهم ذكرا وأنم الثمره

قلت أجاب الله دعاء العباس رضى الله عنه وعن بنيه الاكياس كانوا كما أراد أبوهم واشتهى كلهم له رواية ونهى ومع ذلك فيقال مارؤيت قبور أشد تباعدا بعضها من بعض من قبور بنى العباس بن عبد المطلب ولدتهم أمهم أم الفضل فى دار واحدة واستشهد الفضل بأجنادين ومات معبد وعبد الرحمن بافريقية وتوفى عبد الله بالطائف وعبيد الله باليمن وقثم بسمرقند وكثير وأمه سبا المذكورة أخذته الذبحة بينبع رضى الله عنهم أجمعين * تقدم أن العباس رضى الله عنه كان من مقبلى الظعن خرج محمد بن يزيد رحمه الله فى الكامل أن العباس كان الى منكب عبد المطلب وكان عبد الله بن عباس الى منكب العباس وكان على بن عبد الله الى منكب أبيه عبد الله وطاف على هذا بالبيت وهناك عجوز قديمة وعلى قد فرع الناس كأنه راكب والناس مشاة فقالت من هذا الذى فرع الناس فقيل هو على بن عبد الله بن العباس فقالت لا اله الا الله ان الناس ليرذلون عهدى بالعباس وهو يطوف بالبيت كأنه فسطاط أبيض وكان ابن عفير يقول أدرك الاسلام من العرب عشرة نفر طول كل واحد منهم عشرة أشبار عبادة بن الصامت منهم رضى الله عنهم وكان طول جبلة ابن الايهم اثنى عشر شبرا وكان يمسح الارض برجليه وهو راكب وسيأتى خبره وكيف أسلم ثم ارتد ومات نصرانيا فى باب الكاف فانظره هناك ان شاء الله تعالى

وكان

أولاد أبي طالب

وكان منهم أيضا عقيل المذكور تأخر اسلامه الى يوم الحديبية قال له النبي صلى الله عليه وسلم لما أسلم أحبك حبين حبا لقرابتك مني وحبا لما أعلم من حب عمي اياك وكان لابيه أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة من الولد طالب وعقيل وجعفر وعلي كان طالب أسن من عقيل بعشر سنين وكان عقيل أسن من جعفر بمثل ذلك وجعفر أسن من علي بمثل ذلك أما الثلاثة فلا خفاء باسلامهم وأما طالب فلا يعلم له اسلام يقال ان الجن اختطفته فذهب وعقيل هذا هو المذكور في الموطأ كنت أرى طنفسة لعقيل بن أبي طالب تطرح الى جدار المسجد الغربي وفسرت الطنفسة انها مقعد يجلس عليه ويقال فيها طنفسة بفتح الفاء وكسرها وجمعها طنافس ومثله قول أبي الدرداء رضي الله عنه لا أبالي ان أصلي على ست طنافس بعضها فوق بعض وكان في الاسارى أيضا نوفل بن الحارث بن عبد المطلب تأخر اسلامه الى عام الخندق وقيل بل أسلم حين أسر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له افد نفسك فقال ليس عندي مال أفتدي به فقال افد نفسك بأرماحك التي بجدة قال والله ما علم أحد ان لي بجدة أرماحا غير الله أشهد انك رسول الله ثم شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا وأعانه عند الخروج اليها بثلاثة آلاف رمح فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كأني أنظر الى أرماحك هذه تقصف ظهور المشركين توفي نوفل هذا بالمدينة سنة خمس عشرة وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وكان في الاسارى أيضا أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه لقيط وقيل هاشم وقيل هشيم امرأته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن خالتها هالة بنت خويلد أخت خديجة رضي الله عنها وفيها يقول اذ كان بالشام تاجرا

ذكرت زينب لما يممت اضما * وقلت سقيا لشخص يسكن الحرما

بنت الامين جزاه الله صالحة * وكل بعل سيثني بالذي علما

يريد بقوله يممت راحلته والله أعلم وكان الذي أسره عبد الله بن جبير فجاء أخوه عمرو بن الربيع في فدائه بمال فيه قلادة لزينب كانت أمها خديجة رضي الله عنها قد أدخلتها بها على أبي العاص فرق لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لاصحابه ان رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا الذي لها فافعلوا فقالوا نعم وهاجرت زينب

مسلمة من مكة الى المدينة وتركته بمكة على شركه فلم يزل كذلك حتى كان قبل الفتح خرج بتجارة الى الشام ومعه أموال من أموال قريش من المشركين فلما انصرف لقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم أميرهم زيد بن حارثة فأخذوا ما في تلك العير وأسروا ناسا وأفلت أبو العاص ثم أقبل من الليل حتى دخل على زينب فاستجار بها فأجارته فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصبح وكبر وكبر الناس معه صرخت زينب أيها الناس انى قد أجرت أبا العاص بن الربيع فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس فقال هل سمعتم ما سمعت قالوا نعم قال أما والذى نفسي بيده ما علمت بشئ كان حتى سمعت ما سمعتم انه يجير على المسلمين أدناهم ثم انصرف فدخل على ابنته فقال أى بنية أكرمي مثواه ولا يخلصن اليك فانك لا تحلين له فقالت انه جاء فى طلب ماله فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم و بعث فى تلك السرية فاجتمعوا اليه فقال لهم ان هذا الرجل منا بحيث علمتم وقد أصبتم له مالا وهو فىء أفاءه الله عليكم وأنا أحب أن تحسنوا فتردوا اليه الذى له وان أبيتم فأنتم أحق به فقالوا يا رسول الله بل نرده عليه فردوا عليه ماله ما فقد منه شيئا فاحتمله الى مكة فأدى الى كل ذى مال من قريش ماله الذى كان أبضع معه ثم قال يا معشر قريش هل بقى لاحد منكم مال لم يأخذه قالوا جزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما قال فانى أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله والله ما منعنى من الاسلام الا تخوف أن تظنوا انى آكل أموالكم ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما وحسن اسلامه ورد عليه ابنته زينب رضى الله عنهما وولدت زينب لابى العاص هذا امامة وعليا وهذه امامة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بالناس صلاة الفريضة وهو حاملها ذكر ذلك البخارى رحمه الله تزوج امامة هذه على بن أبى طالب بعد موت فاطمة رضى الله عنها وكانت أمرته بذلك وماتت فاطمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بستة أشهر وقيل ثلاثة وقيل بسبعين يوما والله أعلم ولو ورثت ضاحكة بعده صلى الله عليه وسلم الا يوما افترارا بطرف نابها وكان سنها يوم ماتت ثلاثين سنة وكان سنها يوم تزوجها على رضى الله عنه خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصفا وسن على احدى وعشرين سنة ونصفا وكانت أحب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت اذا دخلت عليه قام اليها فقبلها ورحب بها كما كانت هى تصنع به صلى الله عليه وسلم ولما حانت وفاتها

أمرت أسماء بنت عميس أن لا يدخل عليها أحد وان تغسلها هي وعلى فكان كذلك
وقيل انها اغتسلت نفسها قبل موتها وقالت قد غسلت نفسي فلا أغسل وسيأتي ذكر
ذلك ان شاء الله تعالى ولما توفي على عن أمامة تزوجها بعده ابن عمه المغيرة بن
نوفل بن عبد المطلب يروى ان على بن أبي طالب رضي الله عنه لما حضرته الوفاة
قال لامامة هذه انى لا آمن أن يخطبك معاوية بعد موتى فان كان لك فى الرجال
حاجة فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل عشيرا فلما انقضت عدتها كتب معاوية الى
مروان بن الحكم يأمره أن يخطبها عليه ويبذل لها مائة ألف دينار فلما خطبها أرسلت
الى المغيرة بن نوفل ان هذا قد أرسل يخطبني فان كان لك بنا حاجة فأقبل فأقبل
وخطبها الى الحسن بن على فزوجها منه رضي الله عنهم وهو مراهق الحلم وكان
يوم الفتح رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم وماتت زينب قبل الفتح بعام وأسلم
أبو العاص وحسن اسلامه فى خبر طويل ذكره ابن اسحاق وغيره وكانت قريش
قد أرادته على أن يطلق زينب فأبى وأثنى خيرا وأرادت عتبة وعتيبة ابنى أبى لهب
على طلاق رقية وأم كلثوم بنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلا هوانا بهما أعنى
الرجلين وكرامة لهما أعنى المرأتين ولبعلهما عثمان بن عفان رضي الله عنهم تزوج
الواحدة بعد الاخرى كانت الاولى رقية تزوجها بمكة وكانت أكبر بناته فهاجر بها
الى أرض الحبشة فقال صلى الله عليه وسلم انهما لاول من هاجر الى الله بعد
ابراهيم ولوط ثم هاجر الى المدينة فله هجرتان ثم تزوج أم كلثوم بعد موت رقية
رضي الله عنهما وكان له من رقية ولد اسمه عبد الله ذكروا انه بلغ ست سنين فنقره
ديك على عينه فمرض فمات وجاء فى الخبر انه عليه الصلاة والسلام قال لو أن لى ثالثة
لزوجتها اياه فمن أجل جمعه بين رقية وأم كلثوم الواحدة بعد الاخرى كان يقال له
ذو النورين وكانت رقية كما تقدم أكبر بناته وبعدها زينب ثم أم كلثوم ثم فاطمة
رضي الله عنهن وصلى على أبيهن وأمهن واحذر أن تسب عتبة فانه أسلم مع أخ
لهما ثالث اسمه معتب يوم فتح مكة وبها أقاما حتى ماتا ولهما بها عقب ومن ولد
عتبة بها الفضل بن العباس بن عتبة المعروف بالاخضر سمي بذلك لقوله فى أبيات

وأنا الاخضر من يعرفني * أخضر الجلدة فى بيت العرب

وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى وكان عتبة ومعتب قد هربا من الاسلام فأرسل
اليهما عمهما العباس فقدما وأسلما فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدا

معه حنينا والطائف وأما عتيبة فانه لما أسلمت ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فارقها وقال يا محمد فارقت ابنتك وتركت دينك فلا تحب لى خيرا أبدا فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسلط الله عليه كلبا من كلابه فخرج الى الشام تاجرا فلما كان فى بعض الطريق جاءهم الاسد ففزع وقال أترى ابن أبى كبشة قاتلى وهو بمكة وأنا بالشام فأدخله أصحابه بينهم وتوسطوا به جميعهم فلما كان فى بعض الليل أتاهم الاسد فتقراهم رجلا رجلا حتى أتى اليه فشدخه من بينهم وأما أبوهما أبو لهب وأمهما أم جميل حمالة الحطب فيكفيهما ما أنزل الله فيهما من قوله تعالى تبت يدا أبى لهب وتب وزاد الله أبا لهب عدو الله خزيا فى الدنيا ظاهرا أصابه الله بالعدسة فقتلته * ذكر الطبرى فى تاريخه ان العدسة قرحة كانت العرب تتشاءم بها ويرون أنها تعدى أشد العدوى فلما رمى بها أبو لهب تباعد عنه بنوه فبقى ثلاثا لا تقرب جنازته ولا يدفن فلما خافوا السبة دفعوه بعود فى حفرته ثم قذفوه بالحجارة وقيل لم يحفروا له ولكن أسندوه الى حائط وقذفت عليه الحجارة من خلف الحائط حتى وورى ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم وذكر أن عائشة رضى الله عنها كانت اذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها * نقلت أكثر هذا الكلام من كتاب شيخى الفقيه الاستاذ أبى القاسم السهيلى رحمه الله فى شرح السيرة وهو روايتى عنه تقدم ذكر عتيبة وعتبة وربما أشكل عليك أيما المسلم منهما واشتبه وقد قلت فيهما بيتين كى تعلم من كفر منهما ومن أسلم

كرهت عتيبة اذ أجرما * وأحببت عتبة اذ أسلما
كذا معتب أسلم فاحترز أن تسب فتى مسلما

ومثل عتبة وعتيبة فى الصلاح والفحش عبد الله وعبيد الله ابنا جحش عبد الله تبين وتبصر فأسلم وعبيد الله افتتن وتنصر فأجرم وسأسوق ذكرهما معا ومن أخبارهما لمعا ان شاء الله تعالى والله الموفق * جاء فى هذا الفصل أمر كأنه لى أصل وهو ان الاكبر ممن ذكر هو الافضل وان الاصغر هو الارذل وأريد أن أسوق فى هذا الفصل من عرفت من شخصين أحدهما مكبر والآخر مصغر اذ كان المكبر بالمدح والمصغر بالقدح كما تقدم فيمن كفر ومن أسلم وقالوا فى المثل (أسعد أم سعيد) اذا سئل عن الشئ أهو مما يحب أم يكره فان قيل سعد مكبرا فهو المحمود المفهوم وان قيل سعيد مصغرا فهو المنبوذ المذموم وأصله فيما ذكر أن سعدا وسعيدا ابنى ضبة بن أد خرجا

في حاجة لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد بعد فضرب بهما المثل فيما نفع وضر وساء وسر وسيأتي حديث سعد وسعيد عند ذكر الحديث ذو شجون وقد ذكر ذلك زياد وأشار الى هذا المعنى خطيب أهل البصرة فأغلظ في خطبته وقال والله لآخذن المقبل بالمدبر والمحسن بالمسيء والمطيع بالعاصي حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول يا سعد انج فان سعيدا قد قتل في خبر طويل وفي آخره فقام اليه الاشعث بن قيس فقال أصلح الله الامير ان الجواد بشده وان السيف بحده وان المرء بجده وان جدك بلغ بك ماترى وان الثناء بعد البلاء ولسنا نثني عليك حتى نبتليك فأول خيرا نثن به * ينظر قول الاشعث هذا الى قول الشاعر

لا تمدحن امرأ حتى تجربه * ولا تذمنه من غير تجريب
فحمدك المرء مالم تبله خطأ * وذمك المرء بعد الحمد تكذيب

(قلت) خرجت من شيء الى غيره * وهكذا أشياخنا يصنعون
ان ألفوا أو صنفوا انهم * في كل روض وجدوا يرتعون

قرأت على القاضي أبي محمد العثماني الديباجي رحمه الله مقصورة ابن دريد وفيها من الشرح أثناء الابيات ومن أخبار امرئ القيس وجذيمة وقصير وغيرهم ماهو أكثر من هذه الاصناف وهذا أنفع من ذلك بأضعاف مع ان نفسي لمثل هذا أميل وهو من الذي قبله على أسهل فلذلك أمللت فطلت وصلت فقلت

هذي المقالة أولى * من قول هوز وحطي
قلبي يميل لهذا * نعم وكفي وخطي
لكنني سأتي يا * أحباب قلبي بشرطي
لو لم أتم الذي قد * بدأته كنت أخطي

ومما بدأته ولم أكمله بعد حديث طرفة بن العبد الذي تقدم قبل ذا وقوله ويل لذا من ذا ذكر الخطابي رحمه الله بسنده عن سماك بن حرب عن يحيى بن أبي يحيى عن أبيه قال اني لأسير على فرس لي في الجاهلية اذا أنا بطرفة بن العبد فقال يا أبا يحيى احملني خلفك قلت أين تريد قال الى موضع كذا سماه فحملته ثم نزل فاذا غلام آدم أزرق أوقص أزور أفدع قال فقلت ويلك يا طرفة ما أشد تشاول خلقك قال فكيف لو رأيته من خلقي ماهو أشد من هذا قلت وأي شيء هو فأخرج لسانه فاذا هو أسود كأنه لسان ظبي قلت ما رأيت كاليوم قط شيئا أعجب قال فأهوى بيده الى

خبر طرفة بن العبد والمتلمس

رقبته وقال ويل لذا مما يجني ذا قال فكان الذي جني عليه أن قتل وكان سبب قتله أنه والمتلمس كانا ينادمان عمرو بن هند ملك الحيرة فهجواه فكتب لهما الى عامله بالبحرين كتابين أوهمهما انه أمر لهما بجائزة وكتب اليه يأمره بقتلهما فخرجا حتى اذا كانا ببعض الطريق اذا هما بشيخ على جنب الطريق يحدث ويأكل من خبز في يده فقال له المتلمس ما رأيت كاليوم شيخا أحمق فقال الشيخ أحمق مني من يحمل حتفه بيده فاستراب المتلمس وقال لغلام رآه أتقرأ يا غلام قال نعم ففك صحيفته فدفعها الى الغلام فاذا فيها أما بعد فاذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا فقال لطرفة ادفع اليه صحيفتك نقرأها والله ما في صحيفتي فقال طرفة كلا لم يكن ليجترئ على فقذف المتلمس صحيفته في نهر الحيرة وقال

قذفت بها في الثني من جنب كافر * كذلك أقنو كل خط مضلل

رضيت لها بالماء لما رأيتها * يجول بها التيار في كل جدول

وأخذ نحو الشام وأخذ طرفة نحو البحرين فلما وافى صاحب البلد ضرب عنقه ويقال سقاه الخمر وفصد أكحليه الى أن مات وفيه يقول المتلمس

كطريفة بن العبد كان هذيهم * ضربوا صميم قذاله بمهند

فضرب المثل بصحيفة المتلمس وفيه يقول الشاعر

ألق الصحيفة كي يخفف رحله * والزاد حتى نعله ألقاها

وقوله تشاول خلفك يريد اختلافه قال الخطابي وأراه من قولهم شال الميزان اذا ارتفع وسيأتي شال وشل في باب الشين ان شاء الله تعالى من هذا الكتاب وقوله كذلك أقنو قال ابن الاعرابي يقال لأقنونك قنا وقناية أي لأجزينك جزاءك قال ابن دريد ومثله لأنبلنك نبالتك ولأمنونك منا ومنك بفتح الميم وكسرها أي لأجزينك جزاءك خرج القصة الخطابي رحمه الله تعالى في شرح حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه كتب لعيينة بن حصن كتابا فلما أخذ كتابه قال يا محمد أتراني حاملا الى قومي كتابا كصحيفة المتلمس ثم ذكر ما تقدم (قلت) وهذه الحروف أعني حروف المعجم قد حصرها أبجد هوز حطي الخ وهي ثمانية وعشرون حرفا فيها آية من آيات الله تعالى اجتمع فيها خط علم الاولين والآخرين ومنها يتفرع جميع كلامهم وجميع كتبهم الى ما جعل الله فيها من السر واستأثر به من علم ذلك وقد استنبط منها أهل كل علم على قدر اتساعهم من ذلك الحساب الذي هو أصل من أصول العلم الوكيد

الدين على الدين لان به يعلم عدد الصلوات والزكوات والصيام والشهور والسنين وتحدد السنون من الشهور والشهور من الجمعات والجمعات من الايام والايام من الساعات والساعات من الدرج والدرج من الدقائق والدقائق من الشعائر والشعائر من الانفاس وتنتهي قسمة الانفاس الى أجزاء لا يعلمها الا الله تعالى ومنشأ هذه الازمنة من دوران الفلك ويستدل على ذلك بسير الكواكب والشمس والقمر فتنشأ بين ذلك الازمنة والاوقات التي يستدل بها على معالم الدين من أوقات الصلاة والصيام والحج وحين الزكاة ومدد عدد النساء ومحل الآجال ويقيد ذلك كله بالحساب والعدد حتى لا يشذ شئ مما يحتاج الى علمه بالتاريخ المصطلح عليه وقد عدد الله تعالى نعمه علينا بذلك في قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون * وحقيقة الزمان انما هو مقابلة حادث بحادث آخر كقول متى يجيء فلان فيقال اذا كان كذا لا معنى للزمان الا هذا وقد دقق أهل الاصول الازمنة حتى صيروها الى جزء لا ينقسم كما فعلوا بكل جرم وجسم دققوه الى الجزء الفرد الذي سموه بالجوهر وحجتهم في ذلك قول الله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون لم يرد الساعة من النهار التي هي واحدة من اثنتي عشرة ساعة في النهار اذ معلوم ان المرء لا يستأخر دقيقة ولا نفسا اذا تمت انفاسه وفي ساعة من الانفاس اعداد كثيرة وفي نفس من الاجزاء ما لا يعلمه الا الذي خلقه وهي معدودة محدودة كما روى ان رجلا قدم من سفر وكان قد غاب عن أهله مدة فلما وصل الى قريب من البلد دخل خربة يقضي فيها حاجته فدخل عليه ملك الموت عليه السلام فقال له ما تريد فقال أقبض روحك قال دعني حتى أدخل البلد فأسلم على أهلي فقال له قد تم رزقك فقال له الرجل أستغني عن الرزق حتى آتيهم قال له قد تمت انفاسك وسقط ميتا أو كما قال هذا معناه ومثله ما روى ان رجلا جاءه ملك الموت عليه السلام وهو في درج الغرفة فسأله أن يتركه حتى يصعد الى الغرفة أو يهبط من الدرج فلم يفعل وقبض روحه في الدرج (رجع الكلام الى الحساب) فأخذت العرب حسابها من أبجد المذكور فوجدوه ينتهي من واحد الى ألف لا زيادة ولا نقصان أولها الالف الذي هو واحد وآخرها الغين الذي هو ألف والدليل على معرفتهم بالعدد المذكور قول يهود العرب حين أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم

بيان الزمان

حساب أبجد

ألم حيث سألوه من أنزل عليك هذا أجبريل أخبرك بها عن الله قال لهم نعم قالوا لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بين لنبي منهم ما مدة ملكه ثم قالوا الالف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون فهذا احدى وسبعون سنة ثم قالوا هل معك غيرها قال نعم المص قالوا هذه أثقل وأطول ثم جعلوا يعدون ثم كذلك في الر والمر وكذا وكذا و يعدون حتى اذا فرغوا قالوا لقد اشتبه علينا أمره وقال بعضهم لبعض ما يدريكم لعله قد جمع لمحمد هذا كله الى آخر العدد فبهذه الحروف كانت العرب تحسب وإياها كانت تعرف وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا أمة أمية لا نحسب ولا نكتب الشهر هكذا وهكذا وهكذا وأشار بيديه كلتيهما صلى الله عليه وسلم وحبس ابهامه في الثالثة انما أراد بهذا والله أعلم ان هذه الامة انما تعبدت برؤية الهلال عند الصوم وعند الافطار لا بالحساب الذي يقوله الحساب والمنجمون من ان الهلال لم يظهر اذا كان في حجاب الشمس أو في السرار مما لم نتعبد به وأحالنا عليه الصلاة والسلام على الرؤية التي يستوي فيها الناس فقال صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان غم عليكم فاقدروا له ولا نقول مع هذا انهم كانوا لا يعرفون هذا العقد بالاصابع فان في الحديث الذي وصف به الراوي هيئة القعود في التشهد قال ووضع كفه اليسرى على فخذه اليسرى واليمنى على فخذه اليمنى وعقد ثلاثا وخمسين وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد وهيب تسعين وفي رواية وعقد النبي صلى الله عليه وسلم و يحتمل أن يكون الراوي حكى فعل النبي صلى الله عليه وسلم ومع علمهم بالعقد فان العلماء كانوا اذا سبحوا أو كبروا عقدوا وذلك بجميع أصابع اليدين لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم واعقدن بالانامل فانهن مسؤلات مستنطقات ورأيت أحد أشياخي رحمه الله يحسب بجميع أصابع يديه فقلت له في ذلك فذكر لي هذا الحديث وقال قوم من أهل النجوم المتشرعين ان في هذه الحروف آية عددها عدد منازل القمر و يدغم منها مع لام التعريف نصفها أربعة عشر ويظهر معها أربعة عشر النصف الآخر وكذلك المنازل يظهر معها أربعة عشر و يغيب أربعة عشر سرمدا وأقصى ما تبلغ الكلمة بالزوائد سبعة أحرف عدد الدراري السبعة وهذا اتفاق غريب مثال اللام المدغمة من الحروف الدار والنار ومثال المظهرة البحر والقمر الى آخرها وسبب هذا الادغام مخارج الحروف على ما سيأتي في تفسيره ان شاء الله

تعالى

تعالى والذى اجتمع من هذه الحروف فى أوائل السور أربعة عشر حرفا سوى المتكرر رجعها الاستاذ أبو القاسم السهيلى فى قوله (ألم يسطع نص حق كره) وقال يجتمع فيها من العدد على حساب أبى جاد تسعمائة وثلاثة وليس يبعد ان يكون من مقتضاها اشارة الى الالف الذى بعث النبى عليه الصلاة والسلام فيه الذى هو السابع من الآلاف غير انه يحتمل ان يكون من مبعثه أو من هجرته أو من وفاته وقد روى ان المتوكل سأل جعفر بن عبد الواحد عما بقى من الدنيا فحدثه بحديث رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان أحسنت أمتى فبقاؤها يوم من أيام الآخرة وان أساءت فنصف يوم وفى حديث آخر ان يعجز الله ان يؤخر هذه الامة نصف يوم يعنى خمسمائة عام وفى حديث زمل الخزاعى حين قص على رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤياه وقال فيها رأيتك يا رسول الله على منبر له سبع درجات والى جنبك ناقة عجفاء كأنك تبعثها ففسر الناقة بقيام الساعة ودرجات المنبر بسبعة آلاف سنة أنا فى آخرها ألفا * وقال ابن عباس الدنيا سبعة أيام كل يوم ألف سنة ومع هذا كله فقد قرب الله أمر الساعة بقوله تعالى وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ان الله على كل شئ قدير * وخرج أبو داود عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال تدور رحى الاسلام بخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين فان يهلكوا فسبيل من هلك وان يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاما قال قلت أمما بقى أو مما مضى قال مما مضى * قال الهروى فى تفسير هذا الحديث قال الحميدى ويروى تزول وكان تزول أقرب لانها تزول عن ثبوتها واستقرارها وتدور ربما يكرهون فان كان الصحيح سنة خمس فان فيها قدم اهل مصر وحصروا عثمان وان كانت الرواية سنة ست ففيها خرج طلحة والزبير الى الجمل وان كانت سنة سبع ففيها كانت صفين وقال الخطابى يريد عليه الصلاة والسلام ان هذه المدة اذا انقضت حدث فى الاسلام أمر عظيم يخاف لذلك على أهله الهلاك يقال للامر اذا تغير واستحال دارت رحاه وهذا والله أعلم اشارة الى انقضاء مدة الخلافة وقوله يقم لهم دينهم أى ملكهم وسلطانهم وذلك من لدن بايع الحسن معاوية الى انقضاء أيام بنى أمية من المشرق نحو من سبعين سنة كذا وقع الحديث هنا وخرج أبو القاسم على بن محمد بن عبدوس الكافى رحمه الله فى كتاب التسلى عن الدنيا قال روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الخلافة بعدى

ثلاثون سنة ثم يكون الملك قال وجدت في بعض التواريخ أيام أبي بكر رضي الله عنه سنتان وثلاثة أشهر وثمانية أيام وأيام عمر رضي الله عنه عشر سنين وستة أشهر وثمانية عشر يوما وأيام عثمان رضي الله عنه احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وثلاثة وعشرون يوما وأيام علي رضوان الله عليه أربع سنين وسبعة أشهر ويوم واحد وأيام الحسن رضي الله عنه خمسة أشهر وعشرة أيام قال فجمعت ذلك كله فكان ثلاثين سنة لا تزيد يوما ولا تنقص آخر فلو خرج هذا في دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم لكان يصلح لذلك وبالله التوفيق تقدم ذكر الحسن وهو ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أحد وولدت الحسين رضي الله عنه بعده في العام الثاني وكان له منها سواهما محسن وأم كلثوم الكبرى وزينب الكبرى * ذكر أبو عمر رضي الله عنه عن علي رضي الله عنه قال لما ولد الحسن جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أروني ابني ما سميتموه قلت سميته حربا فقال بل هو حسن فلما ولد الحسين قال أروني ابني ما سميتموه قلت سميته حربا قال بل هو حسين فلما ولد الثالث جاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال أروني ابني ما سميتموه قلت حربا قال بل هو محسن وفي رواية ثم قال اني سميتهم بأسماء ولد هارون شبر وشبير ومشبر ووقع في كتاب تاريخ الرقي أن عليا سمى ابنه الاكبر حمزة وسمى حسينا جعفرا فسماهما النبي صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين قال علي رضي الله عنه كان الحسن أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الصدر الى الرأس والحسين أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أسفل من ذلك انتهى كلامه تزوج أم كلثوم التي من فاطمة رضي الله عنها عمر بن الخطاب رضي الله عنه زوجها منه أبوها علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولما خطبها اليه قال له انها صغيرة فقال له عمر زوجنيها يا أبا الحسن فاني أرصد من كرامتها ما لا يرصده أحد فقال له علي رضي الله عنه أنا أبعثها اليك فان رضيتها فقد زوجتكها فبعثها اليه ببرد وقال لها قولي له هذا البرد الذي سقت لك فقالت ذلك لعمر فقال قولي له قد رضيت رضي الله عنك ووضع يده على ساقها فكشفها فقالت له أتفعل هذا لولا انك أمير المؤمنين لكسرت أنفك ثم خرجت حتى جاءت أباها فأخبرته الخبر وقالت بعثتني الى شيخ سوء قال يا بنية انه زوجك فجاء عمر الى مجلس المهاجرين فقال لهم رفئوني فقالوا بماذا يا أمير

المؤمنين

المؤمنين قال تزوجت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل نسب وسبب وصهر ينقطع يوم القيامة الا نسبي وسببي وصهري فكان لي به عليه الصلاة والسلام النسب والسبب وأردت ان أجمع اليه الصهر فرفؤه وتزوجها على مهر أربعين ألفا فولدت له زيد بن عمر وتوفي هو وأمه في يوم واحد وفي ساعة واحدة ولم يورث واحد منهما من صاحبه لانه لم يدر من مات قبل صاحبه وولدت لعمر أيضا رقية وكان لعلي من خولة بنت اياس وهي الحنفية محمد بن علي وله من أسماء بنت عميس يحيي ومن سوى هؤلاء عشرون ولدا بين ذكور واناث من أمهات شتى رضوان الله تعالى عليهم وذكر أبو ابراهيم عبيد الله بن محمد الجندي رحمه الله ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه قبض عن تسعة وعشرين ولدا أربعة عشر ذكرا وخمسة عشر أنثى الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم من فاطمة رضي الله عنها ومحمد الاكبر وعباس الاكبر وعمر وأبو بكر وعبد الله وعثمان وجعفر ومحمد الاصغر وعباس ويحيي وزينب الصغرى وأم كلثوم الصغرى ورقية الكبرى ورقية الصغرى وأم الكرام وخديجة وجمانة وأم هانئ وميمونة وأم سلمة وأمامة ونفيسة ورملة انتهى كلامه توفي محسن وهو صغير وتوفي الحسن بالمدينة بعد أن صالح معاوية وكفى الله المؤمنين القتال وصدق رسوله بقوله صلى الله عليه وسلم ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كما قال عليه الصلاة والسلام ثم أتى المدينة فمات بها رضي الله عنه يقال ان امرأته سمته وأما الحسين فلا خفاء بقتله بكربلاء وأما زينب فتزوجها عبد الله بن جعفر وولدت له وأما أم كلثوم فتزوجها عمر بن الخطاب وولدت له كما تقدم ثم تزوجت بعده أزواجا رضي الله عنهم أجمعين (رجع الكلام الى الحروف * بعد ما نفدت الظروف)

(فصل) والحساب بهذه الحروف أولى من الحساب بالاشكال المصطلح عليها عند الحساب لمعان منها أن بهذه الحروف كانت العرب تحسب ونحن عرب فلا نتعداها الى سواها ومنها انك ان احتجت الى رسمها حروفا وقرأتها تحصل لك منها علم الفن الذي تقصد اليه وقد وجدنا ذلك في كلمات تتضمن معان من الحساب لا تقدر على رسمها بغيرها من ذلك قولهم اد د ز ب ه ز ج و ح د * وهذا كلام يقرأ ويحفظ نعم وهو موزون وضع ليعرف به أي يوم يدخل

الحساب بالحروف

الشهر العجمي من الايام وهي اثنا عشر حرفا الاثني عشر شهرا امثاله الالف واحد في حساب أبي جاد كما تقدم لاول شهر من السنة الشمسية وهو ينير ان دخل مثلا يوم السبت عرفته ثم تبني عليه وتقول على التوالي الدال لفبراير وهو أربعة فتقول يدخل فبراير يوم الثلاثا وهو اليوم الرابع والدال أيضا أربعة لمارس فتحسب من السبت أربعة فيدخل مارس يوم الثلاثا كذلك والزاي سبعة لابريل فتحسب سبعة أيام بالسبت يدخل ابريل الجمعة والباء لمايه وهي اثنان يدخل يوم الاحد وكذلك تفعل بسائر الشهور الى آخرها وهذا لا تعلمه بالحساب الرومي ولا بحساب الغبار لانه لا يقرأ ولعلك أن تقول فررت من العجمي بالحساب ورجعت الى أسماء الشهور الاعجمية فأقول ذلك لان الله تعالى قد قدر جريان الشمس على خلاف جريان القمر والاعتماد في القمر على الرؤية والاعتماد في الشمس على الحساب لان السنة الشمسية أيامها لا تزيد ولا تنقص الا نقصا يسيرا وزيادة قليلة على اختلاف في ذلك عند الحساب ويعلم ذلك بدورانها وقطعها المشارق والمغارب كل سنة على ترتيب واحد لا زيادة فيه ولا نقصان ذلك تقدير العزيز العليم والشهر القمري كما تراه مرة ثلاثين ومرة تسعا وعشرين كما شاء الله وقدره لحكمة بالغة وتدبير عجيب وأيضا فان العرب لم تكن تجهل تسمية هذه الشهور الاعجمية وان كانت لها أسماء سوى ينير وفبراير فقد كانوا يعرفون أسماءها بالسريانية ويسمونها بها كما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان يقول من بشرني بخروج اذار فله دينار أو كما قال وكما تقول العرب مطرة في نيسان خير من ألف سان واذار هو مارس ونيسان هو ابريل يعنون المطر فيه أنفع للنبات والزرع من ألف دابة سانية تسنو بالماء من الارض فهذا عندهم معلوم لانهم يحتاجون الى معرفة ذلك بسبب الزراعة والحصاد والابار والجذاذ وغير ذلك مما جعل الله له من السنة أوقاتا معلومة لا تتعداها وكما كان عندنا ينير وفبراير ومارس وابريل ومايه ويونيه ويوليه واغشت وشتنبر واكتوبر ونونبر ودجنبر كذلك عندهم كانون الآخر وشباط واذار ونيسان وايار وحزيران وتموز وآب وايلول وتشرين الاول وتشرين الآخر وكانون الاول وهذه التسمية على مقابلة شهورنا واما أول سنتهم فتشرين الاول وعدد أيام سنتهم مثل عدد السنة الاعجمية سواء الا ان شهورهم كلها ثلاثين ثلاثين وشهور الاعجمية سبعة منها من أحد

وثلاثين

وثلاثين وأربعة من ثلاثين وفبراير من ثمانية وعشرين يوما وربع يوم وتعرف الذى هو من أحد وثلاثين بحروف أيضا جعلوها لذلك وهى قولك (فازرجل ختم بحج) أو (يعقوب بن عياض) تبدأ بينيرله أول حرف من احدى الكلمتين كل منقوط من أحد وثلاثين وكل معرى من ثلاثين وقد تقدم أن فبراير من ثمانية وعشرين وكان تسمية الشهور العربية المستعملة المحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجمادى الاولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة وكذلك كان فى الجاهلية من يسمى المحرم مؤتمرا وصفر ناجرا وربيعا الاول خوانا وربيعا الآخر بصانا وبصانا وجمادى الاولى الحنين وجمادى الآخر رنة وقيل ربى مثل رنى ورجبا الاصم وشعبانا وعلا ورمضان ناتقا وشوالا عاذلا قال الفراء ومنهم من يقول وعلان وذا القعدة هواعا وذا الحجة بركا وقد عدوا مؤتمرا من أيام العجوز وهى سبعة أيام نظمها بعضهم فقال

كسع الشتاء بسبعة غبر * أيام شهلتنا من الشهر

فاذا انقضت أيامها ومضت * صن وصنبر مع الوبر

وبآمر وأخيه مؤتمر * ومعلل ومطفئ الجمر

ذهب الشتاء موليا عجلا * وأتتك وافدة من البحر

يقال هذه الابيات لأبى شبل الاعرابى والشهلة العجوز فان قيل لم سميت الشهور بهذه الاسامى أعنى جمادى وربيعا ورمضان قيل لانهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التى وقعت فيها فوافق خوان زمن الربيع فسمى ربيعا وكذلك رمضان وافق زمن الحر وجمادى زمن البرد فسمى به وكذلك سائرها والله أعلم وكذلك تسمية الايام عندهم بغير التسمية المعلومة عندنا فيسمون يوم الاحد أول ويوم الاثنين أهون وسيأتى ذكرها منظومة الى آخر الايام ان شاء الله تعالى * تقدم ذكر كانون ووقع ذكره فى الحديث الذى خرجه مسلم عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول غطوا الاناء وأوكوا السقاء فان فى السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر باناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء الا نزل فيه من ذلك الوباء قال الليث بن سعد الاعاجم عندنا يتقون ذلك فى كانون الاول وفى الحاشية كانون الاول هو دجنبر وفى كتب اللغة الكانون والكانونة موقد النار وقد يقال للرجل الثقيل كانون قال الحطيئة

قوله بصانا كغراب ورمان وبصان كبحيان ونعمان اهـ

أغر بالا اذا استودعت سرا * وكونا على المتحدثينا

معرفة حلول الشمس في منازل الفجر لاشهر المغاربة

﴿فصل﴾ وأذكر لك هنا من الحساب فائدة أخرى أفادنيها بعض الحجاج استفادها بدمشق وذلك ان أحد علماء هذه الطريقة اختصر معرفة ترحيل الشمس الذى صنع فيه الهاشمى قصيدته التى اشتهرت عند من له عناية بالنجوم التى منها

اذا ما ثلاث بعد عشرين وفيت * لمرس فان الشمس بالنطح تطلع

ومنزلة الشمس البطين اذا خلت * لابريل خمس ليس فى ذاك مدفع

كذلك الى آخر المنازل وآخر العام فاختصر هذا الدمشقى ذلك وجعل معرفة ذلك بالحروف أخذ أول حرف من شهر ينير وهو الياء وأضاف اليه حرف الدال وهو أربعة وأخذ أول حرف من المنزلة وهو الباء من بلع فجاء منه يدب يقول اذا مضى من ينير أربعة أيام حلت الشمس فى سعد بلع كما قال الهاشمى

وفى رابع النيروز للشمس منزل * قد اغتال سعد نجمه فهو بلع

فهذه ثلاثة أحرف أقامها مقام البيت وقال الهاشمى

وان شرع النيروز فى سبع عشرة * فللشمس باب فى السعود ومطلع

وقال الدمشقى عوض هذا البيت يبزس الياء الاولى اسم ينير والثانية منه بعشر والزاى بسبعة فذلك سبعة عشر يوما وحلت الشمس فى سعد السعود الذى جعل له الدمشقى السين من السعود لا من سعد كما جعل الباء لبلع والذال للذابح ثم مضى على ذلك الى آخر العدد وآخر العام بشئ مختصر قريب عجيب غريب وهو

يدب يبزس يلخ فبيم فكهر مبب مكجن أهب ابحت مأد ميده مكزه يطذ يكبن يهط يجج غاخ غيدص غكزع شطس شكبغ أهز ابحد الق نحش نكون دطب دكبس وقيل فى هذا دكبذ يكون حرف الذال من سعد الذابح وان قلت دكبس تكون السين من سعد بالسين كتبه لى رحمه الله وبالذال رأيته أولى لانه جعل الباء فى يدب المذكور أولا من بلع وجعل فى يبزس من سعد السعود وقس على هذا ما ذكرته لك انما جعل أول حرف من الكلمات لاول حرف من اسم الشهر وآخر حرف منها لاسم المنزلة وما بينهما للاعداد وابدأ كما ذكر من ينير واختم بدجنبر تجده صحيحا ان شاء الله تعالى وانما أردت بهذا كله أن تعرف أن هذا الحساب بحروف المعجم أولى وأعز وأعلى ولا حول ولا قوة الا بالله وحده (ودونك فائدة أخرى) قلت وكما دلت هذه الحروف على العدد كذلك يدل العدد على

الحروف

الحروف كما قال الشاعر

اذا ما شئت أن تدري الذي حار الورى فيه
أضف خمسا الأربعة * وأعط الثوب رافيه

ألغز هذا الشاعر بقوله أضف خمسا الأربعة يريد بخمسة حرف الهاء وبأربعة حرف الدال يعني من هذا (ده) ثم قال رافيه يريد راء فيه فجاء من مجموعه دهر وهو الذي حار الورى فيه وسيأتي قول هشام بن عبد الملك لاعرابي وقد مر على ميل عليه مكتوب بخمسة فسأله ما عليه فقال الاعرابي محجن صورة الحاء وحلقة صفة الميم وثلاث كأنها اظباء صفة السين وهامة كأنها منقار طائر صفة الهاء فقال هشام خمسة * ودونك فائدة يا ابن الوالدة الدهر قالوا مدة الاشياء الساكنة والزمان مدة الاشياء المتحركة

سني أهل الكهف

(فصل) ومن معنى ما تقدم قوله تعالى ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا أي انها ثلثمائة بحساب الشمسية وان حسبت بالاهلة زادت تسعا لأن أصحاب الكهف من أمة عجمية والنصارى يعرفون حديثهم ويؤرخون به فجاء اللفظ في القرآن بذكر السنين الموافقة لحسابهم وتم الفائدة بقوله وازدادوا تسعا ليوافق حساب العرب فان حسابهم بالشهور القمرية كالمحرم وصفر واشتقاق السنة من قولهم سنا يسنو اذا دار حول البئر والدابة هي السانية فكذلك السنة دورة من دورات الشمس وقد تسمى دارا ففي الخبر ان بين آدم ونوح ألف دار أي ألف سنة ومن هذا قول الحريري رحمه الله

ولا تضع فرصة السرور فما * تدري أيوما تعيش أم دارا

يريد أم عاما أو سنة والله أعلم ثم قد تسمي العرب السنة عاما والعام سنة اتساعا ولكن بينهما في حكم البلاغة والعلم بتنزيل الكلام فرقا ولا كلام أفصح من القرآن فقد جاء فيه ما هو من هذا الغرض قال الله تعالى تزرعون سبع سنين دأبا ولم يقل أعواما لان رؤيا يوسف عليه السلام دلت على سبع سنين شداد والعرب تعبر عن الشدة والجوع باسم السنة تقول أكلتهم السنون كما قال الله تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات وكما قال الشاعر (راعى سنين تتابعت جدبا) ومن ثم قالوا أسنت القوم اذا قحطوا ويعبرون بالعام عن الرخاء والخصب والقرآن نزل على مذاهبهم قال تعالى بعد ذكره السنين التي تدل على الشدة ثم يأتي

من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون قال قتادة العنب والزيتون فاتسق الكلام والتأم أحسن التئام بتنزيل الحكيم العلام وان كان قال تعالى تزرعون سبع سنين دأبا ومعلوم ان تلك السنين كانت خصبة مباركة لانه أفاء الله فيها من الرزق ما أكل فيها وفي السبع بعدها ولكن اتماذكر لفظ العام بعد السبع الشداد لانه ليس بعد الشدة الا الرخاء * و ينظر الى هذا المعنى قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما قيل انما ذكر أولا السنين لانه كان في شدائد في مدته كلها الا الخمسين عاما منذ جاءه الفرج وأتاه الغوث و يجوز أن يكون الله سبحانه علم ان عمره كان ألفا الا ان الخمسين منها كانت أعواما فيكون عمره ألف سنة ينقص منها ما بين السنين الشمسية والقمرية في الخمسين خاصة لانه ينقص ما بينهما مقدار عام ونصف أو نحوه والله أعلم بما أراد من ذلك والذي ورد في القرآن أيضا من ذكر السنة والعام ينظر الى هذا ألا ترى قوله تعالى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وقوله ألف سنة مما تعدون لما كان في معرض التكثير والتفخيم لطول ذلك اليوم وهول ذلك المقام جاء بلفظ السنة التي هي أطول من العام وكذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ أشده و بلغ أربعين سنة لفظ السنة هنا أولى من لفظ العام لانه مخبر عن اكتهال الانسان وتمام قوته واستوائه ولفائدة أخرى وذلك انه خبر عن السن والسن يعتبر بالسنين واصل ذلك في الحيوان لأن النتاج والحمل يكون بالربيع والصيف المعتبر بالسنة الشمسية ألا تراهم يقولون ربعي للكبير وصيفي للمؤخر كما قال الراجز

ان بني صبية صيفيون * أفلح من كان له ربعيون

واستعمل ذلك في الآدميين اتساعا وان كان أصله في الحيوان يقال ابن سنة وابن سنتين كما يقولون ابن مخاض وابن لبون وأما قوله تعالى وحمله وفصاله في عامين فذلك لان الرضاع من الاحكام الشرعية التي تعبدنا بها كالصيام والحج وذلك بالاهلة كما قال تعالى قل هي مواقيت للناس والحج وكذلك قوله تعالى يحلونه عاما ويحرمونه عاما ولم يقل سنة لانه يعني شهر المحرم وصفر وربيع الى آخر العام ولم تكن العبادة ولا الشرع بأيلول ولا بتشرين ولا بينير ولا فبراير ولكل مقام مقال فسبحان الكبير المتعال * نقلت أكثر هذا الفصل من كتاب الاستاذ رحمه الله الا يسيرا أدخلته فيه من غيره والله المخلص و بقي من مشكل الآية قوله تعالى ولبثوا في كهفهم

قيل

قيل معناه سيقولون ذلك وعلى هذا القول قراءة ابن مسعود وقالوا لبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين بزيادة قالوا وقيل غير ذلك والله أعلم بمكانه * تقدم ذكر الكهف وأهل الاندلس يزعمون انه في بلادهم وذلك باطل والكهف انما هو في الاقليم الخامس بين عمورية وأنقره وهو جبل عظيم فيه كهف تحت الارض وهو على أساطين وله باب من حجارة وفي داخله قوم أموات كأنهم أحياء مفتوحة أعينهم في ظلمة لا تستبان وجوههم الا بالمصابيح وأجسامهم قد يبست وجلودهم لاصقة بالعظام وشعورهم باقية ولا يدخل أحد اليهم الا أخذته هيبة عظيمة وفزع من هول منظرهم وعليهم موكلون يحفظون المكان لا يحدث عليهم حادث ذكر ذلك اسحاق بن الحسن في بعض التواريخ ورأيت في كتاب آخر أن الكهف المذكور في مدينة يقال لها أفسوس وهي من القسطنطينية على ستة فراسخ والله أعلم وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال غزونا مع معاوية غزوة المضيق فررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف الذين ذكرهم الله في القرآن فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال ابن عباس ليس ذلك لك قد منع الله من ذلك من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا فقال معاوية لا أنتهي حتى أعلم علمهم فبعث ناسا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأخرجتهم

(فصل) قد تقدم الكلام في ذكر أدار في أسماء الشهور قال بعض العلماء ان القيامة تقوم في شهر مارس وهو ادار الذي كان عمر بن الخطاب يستبشر بخروجه كما تقدم واستدل على ذلك أيضا بقول الله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء الى قوله حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت قال وانما تكون كذلك في هذا الشهر المذكور ثم قال تعالى أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس والله أعلم بما أراده من ذلك لا اله الا هو (قلت) ولا نقول ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يعلم بأشراط الساعة ومقدماتها الكائنة قبلها التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم خرجه مسلم رحمه الله وفي بعض الروايات تنزل معهم اذا نزلوا وتقيل معهم اذا قالوا وفي رواية

من قول الصاحب وربح تلقى الناس فى البحر فان صح ذلك القول عن عمر فى ادار فانما قاله على وجه الشفقة والحذار وعلى تقريب مايخاف ويتوقع اذ الشفيق بسوء ظن مولع وقد قلت فى ذلك

ماقاله عمر هزلا ولا هذرا * حاشاه حاشاه من هزل ومن هذر
لكن مقالته ان صح ذلكم * عنه على جهة الاشفاق والحذر
هذا هو الظن بالفاروق ياسندى * فقل مقالته ان شئت أو فذر
وكن بقول رسول الله متعظا * والعشر الايات يا مغرور فانتظر
وكن على حذر من فجأة موتك ان الموت مدرك من فى البدو والحضر
وماعليك من الآيات ان نزلت * والموت ينزل بالآصال والبكر
من مات منا فقد قامت قيامته * ومن يعش فهو للاموات بالاثر

تقدم ذكر العشر الآيات وفيها الدخان وفى القرآن العزيز فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين قال المهدوى رحمه الله قال على رضى الله عنه لم يأت الدخان بعد وسيأتى دخان يصيب المسلمين منه مثل الزكام وينفذ الكافر * وروى عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه من آيات الساعة وقال ابن مسعود رحمه الله قد مضى الدخان وهو ما أصاب المشركين من الجوع بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم حتى كان الرجل يرى بين السماء الارض دخانا وقد كشفه الله تعالى عنهم ولو كان يوم القيامة لم يكشفه عنهم وكان دعاء النبى صلى الله عليه وسلم على قريش حين أبطؤا عن الاسلام قال اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف فأصابهم الجوع حتى أكلوا الميتة والعظام حتى كان أحدهم يرى بينه وبين السماء دخانا من الجهد قال ابن أبى زمنين قيل للجوع دخان ليبس الارض فى سنة الجدب وانقطاع النبات وارتفاع الغبار ومن كلامهم جوع أغبر وسنة غبراء لسنة المجاعة * وأما الدابة فان ابن عباس رضى الله عنهما قال هى دابة ذات زغب وريش لها أربع قوائم تخرج من بعض أودية تهامة تسم كل انسان على مسجده فأما المؤمن فتكون نكتة بيضاء فتفشو فى وجهه حتى يبيض لها وجهه وأما الكافر فتكون نكتة سوداء فتفشو فى وجهه حتى يسود لها وجهه حتى انهم يتبايعون فى أسواقهم يقول كيف تبيع هذا يامؤمن ويقول كيف تأخذ هذا ياكافر فما يرد بعضهم على بعض * وعن خالد بن معدان لتخرجن الدابة حتى يدخل الناس فى بيوتهم فتخبرهم بأعمالهم حتى تقول أنت من أهل النار دابة الارض

وانت

وأنت من أهل الجنة * وعن أنس ان فيها من كل أمة سيماء وان سيماها من هذه الامة انها تتكلم بلسان عربي وقال ابن سلام وفي بعض القرآآت تحدثهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون وجاء من ذكرها في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بئس الشعب جياد قالوا وفيم ذلك يارسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات فيسمعها من بين الخافقين وسيأتي حديث الدجال

(فصل يرجع الكلام الى الحروف) قال الكندي لا أعلم كتابا يحتمل من تحليل الحروف وتدقيقها ما تحتمله العربية (قلت) يريد والله أعلم ان الكلمة تحتمل أن تكون كثيرة الحروف ويكون لها معنى فان نقصت حرفا صارت بمعنى آخر فان نقصت آخر صارت كذلك أي بمعنى آخر حتى تصير الى حرف واحد فيدل أيضا على معنى وكذلك تبنيها كما هدمتها وتعقدها كما حللتها فتزيد حرفا فيحدث معنى ثم كذلك فكذلك الى تمامها وأعلى ما تنتهي اليه الكلمة بالحروف الزوائد سبعة ثم قد تكون الكلمة مغلقة من النقط أو الشكل فتقررها على وجوه * مثال ذلك زيد وعمرو لهذين الاسمين العلمين أليس لفظة زيد ان لم تنقطها تقول زند لهذا الذي يقدح به أو للذي في الذراع وزبد للرغوة التي تعلو الماء واللبن كما قال الشاعر *وتحت الرغوة اللبن الصريح* وفي القرآن العزيز فاحتمل السيل زبدا رابيا وربد جمع أربد وزبد وهو ما أهداه الكافر للمسلم وزبد معلوم ورند وهو العود وقيل الآس وتقول زيد في السعر كذا وهذا زيد على هذا أي زيادة عليه وفيه لغات غير ذلك ثم اذا تتبع الكلام في هذه الالفاظ بالقلب والعكس تشعب وتسلسل وتولد وتنسل والمدار أن يكون عندك دقيق وتكون في الصنعة ذا تشقيق وتدقيق فان صحت ذلك وكان فقد ساعدك الامكان على أن تصنع من الاطعمة ما تريد كذا وكذا وأعلاها الثريد وكذلك ان كنت ذا علم وذكاء وفهم أحرزت من الكلمة الواحدة عشرا وأبرزت لها ابابا وقشرا وطويتها طيا ونشرتها نشرا حتى يحدلها الفطن الكيس عرفا ونشرا ويعلم الأديب الأريب والنبيل اللبيب ان الله مولاك قد أولاك في العلم سعه وما ضيق على غيرك فعليك وسعه وهذه درجة العلماء وأهل اللغة القدماء رضي الله عن جميعهم وجزاهم خيرا على صنيعهم وأما أنا فما أعملت فيه يراعتي فليس من براعتي ولا أدعي ان تلك صناعتي انما أنا متطفل وبكلامهم متكفل من تآليفهم أستقي ومن تصانيفهم أنتقي وأضع ذلك كله في كتابي والى الله

مطلب ما يخرج من زيد

مثابى وعليه ثوابى واليه ابابى وان أردت ان أضرب لك مثلا فيما تقدم فتأهب لجيوش عليك تقدم أليس قد ذكرت لك ان شكل زبد زند وفسرته انه الآس أو العود فيما ذكر * ومعكوس رند دنر قال صاحب كتاب العين دنر وجهه اذا أشرق كالدينار وفرس مدنر أشهب فيه تدنير سواد تخالطه شهبة * ومقلوبه ردن وهو مقدم كم القميص وجمعه أردان وليل مردن مظلم وعرق مردن أى يمس الجلد كله وجمل رادنى جعد الوبر كريم والردن الحرير قال الاعشى دنر ردن

* على محصم ككساء الردن * ويقال الخز والرواد النساء اللواتى ينسجن الحرير وأنشد عجبت لكهل قاعد بين نسوة * يقات بما اردت عليه الروادن *

ومعنى يقات يقتات من القوت وسيأتى شرح ذلك ان شاء الله تعالى وردينة اسم امرأة تنسب اليها الرماح الردينية والاردن اسم كورة بالشام ومقلوبه أيضا ندر ندر الشئ سقط من جوف شئ ومنه قول سلمة بن الاكوع فضربت رأس الرجل فندر فخرجه مسلم رحمه الله وكذلك نوادر الكلام تندر وهو ما يأتى بالندرة وسيأتى تفسير الندرة ان شاء الله تعالى والاندر البيدر لغة شامية * ومقلوبه أيضا نرد وهو شئ يلعب به فارسى وقد جاء فى الحديث النهى عنه * ومقلوبه أيضا درن وهو الوسخ ومنه الحديث فما ترون ذلك يبقى من درنه يقال درن الثوب والدرين والدرانة الحشيش وأهل الكوفة يسمون الاحمق درينة ودرانة من أسماء النساء * ومن شكل زبد زبيد بفتح الزاى وكسر الباء موضع بالشام وزبيد بزيادة ياء بلد باليمن كبير معروف * ومن شكله أيضا ربد جمع أربد وأربداء والربدة فى لون النعام سواد مختلط بغبرة وفى الحديث تربد وجهه أى تغير والأربد ضرب من الحيات وأربد اسم رجل معروف وربد السيف فرنده وهو الذى تراه فيه شبه الغبار أو مدب النمل ندر نرد درن زبد ربد

* ومعكوسه دبر دبر الشئ خلاف قبله وأدبر الشئ ولى وفى القرآن من هذا ويولون الدبر وقيل الدبر هنا الظهر والليل اذا دبر ويقرأ والليل اذا أدبر ويقال دبر يدبر دبورا اتبع الاثر وفى الحديث من هذا قول عمر رضى الله عنه ظننت انه سيدبرنا يعنى النبى صلى الله عليه وسلم يريد انهم يموتون ويكون النبى صلى الله عليه وسلم يدبرهم أى يموت بعدهم قال هذا حين مات النبى صلى الله عليه وسلم وتقول جعلته دبر أذنى أى خلفها اذ لم تلتفت اليه وتصاممت عنه ودابر الشئ آخره وفى التنزيل فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ويقال جعل الله الدبرة عليه اى الهزيمة دبر

والدبرة له أي النصرة والظفر ومنه قول أبي جهل لعنه الله يوم قتل وهو بآخر رمق لمن الدبرة اليوم فقال له ابن مسعود رضي الله عنه لله ولرسوله ثم حز رأسه ودابرت الرجل عاديته وأصله ان المتهاجرين يولي كل واحد منهما لصاحبه دبره ويعرض عنه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تدابروا والدبور ريح من قبل المغرب والجمع الدبر والدبابير ودابرة الطائر الاصبع التي من خلف ومنه في الحديث يأتون الصلاة دبارا وهو الذي يأتيها بعد أن تفوته ويقال فلان لا يعرف قبيلا من دبير والقبيل ماوليك والدبير ماخالفك ويقال القبيل فتل القطن والدبير فتل الكتان والصوف وقد فسره ابن قتيبة بغير هذا أنظره في أدب الكاتب ودبار اسم ليلة الاربعاء ويقال دبر القوم يدبرون دبارا اهلكوا ودبرت الدابة فهي دبرة والدبرة واحدة الدبر والدبرة الساقية بين المزارع والجمع دبار ودبرت الامر نظرت في عاقبته ودبرت المملوك أوجبت عتقه بعد الموت والرأي الدبري الذي يكون من غير روية وكذلك الجواب الدبري ودبرت الحديث اذا حدثت به عن غيرك وهو يدبر حديث فلان أي يرويه وكانوا يقولون نعوذ بالله من الرأي الدبري والدبر اسم النحل واحدته دبرة وتجمع أيضا على دبور ويقال أيضا للزنابير دبر واحدته دبرة كذلك ومن أسماء النحل أيضا الخشرم واحدته خشرمة ومنهم من يقول لا واحد له من لفظه ومن الخشرم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركبن سنن من قبلكم ذراعا بذراع وباعا بباع حتى لو سلكوا خشرم دبر لسلكتموه خرجه ثابت رحمه الله وقال الخشرم هنا مأوى الزنابير والنحل وقد يجيء في الشعر الخشرم اسما لجماعة الزنابير قال طفيل

فقلت ألا ياهؤلاء وقد بدت * سوابقها كالخشرم المتحدب

ومن أسماء النحل أيضا الشول والنوب واللوب وسيأتي الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى ووقع في السير من قول النجاشي رضي الله عنه دبرا من ذهب ويروى دبر وفسره الدبر الجبل بلسان الحبشة وقال صاحب العين الدبر المال الكثير ويكون للواحد والاثنين والجمع والدبر أيضا صغار الجراد ومنه يقال مال دبر قاله أبو حنيفة والدبران نجم يدبر الثريا أي يتبعها * ومقلوب دبر بدر البدر ليلة أربع عشرة وتقول بدر فلان اذا سبق اليه وكذلك ابتدره وفي صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يبدر من لقيه بالسلام والبادرة ما يبدر من حدة الرجل والبادرتان جانبا الكركرتين وفي الحديث ترجف بوادره قال ابن قتيبة هي جمع بادرة وهي لحمة بين المنكب

برد والعنق وكذلك هي من الفرس وغيره * ومن مقلوبه برد من قوله تعالى لا يذوقون
فيها بردا ولا شرابا فسرها هنا بالنوم ويقال في مثل (منع البرد البرد) فالاول هو
البرد المعلوم والثاني النوم ومن البرد المعلوم قوله تعالى كوني بردا وسلاما على ابراهيم
ومن شكله برد من قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد وبرد واحد
البرود العصب وهي نوع من الاردية رقاق والبردة أيضا كساء يلتحف به ومن
هذا في الحديث كثير والبرد جمع بريد والبريد أربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة
أميال والبريد أيضا الرسول على دواب البريد ويجمع أيضا على برد ومنه الحديث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أخيس بالعهد ولا أحبس البرد وتقول ضربته حتى
برد أي مات وفي حديث أبي جهل فضربه ابنا عفراء حتى برد وبرد الشيء يبرد وبردته
أنا وبرد الحديد سحله بالمبرد وبرد عينه بالكحل يبردها واسم الكحل البرود وسحاب برد
ذو قر وبرد القوم أصابهم البرد وبرد عليه كذا لزمه وأبرد القوم ساروا في آخر النهار
ومنه الابراد بصلاة الظهر في شدة الحر والابردان الغداة والعشي ومن شكل
برد تردى أعني في الصورة لا في الوزن وكذا أفعل بمثله مهما أذكره فلا تنكره من
درب قوله تعالى وما يغني عنه ماله اذا تردى * ومعكوس برد درب وهو باب السكة الواسع
وكل مدخل الى الروم درب وتقول فلان درب بكذا اذا كان حاذقا كيسا والدربة
ذرب العادة * ومن شكل درب ذرب والذرب الحاد من كل شيء يقال لسان ذرب وسنان
ذرب ومذروب ومذرب وقد ذرب ذربا وذرابة وقوم ذرب وامرأة ذربة سليطة
وتذريب السيف أن ينقع في السم ثم يشحذ وسم ذرب وذرب الجرح اتسع ولم يقبل
البرء والذرب من الامراض التي لا تبرأ وذربت معدته ذربا اذا فسدت * ومن مقلوب
ذبر هذه اللفظة ويشبه نحو ما تقدم ذبر تقول ذبر يذبر ذبرا كتب ويقال قرأ ويقال الذبور
الفقه بالشيء ومن شكله ذبر الكتاب مثل زبر يزبر بالضم ويزبر بالكسر قال
الاصمعي سمعت اعرابيا يقول أنا أعرف بزبرتي أي بخطي وكتابتي والزبر الكتاب
والجمع زبر وزبور وقرأ بعضهم وآتينا داود زبورا بضم الزاي ومن قرأ زبورا
فهو كتابه صلى الله عليه وسلم هذا بالزاي ويقال بالذال ذبرت الكتاب كما تقدم أذبره
وأذبره بالضم والكسر ذبرا قال أبو ذؤيب

عرفت الديار كرقم الدواة يذبرها الكاتب الحميري

ربذ يذبرها بالذال وبكسر الباء وضمها * ومعكوس هذه اللفظة ربذ الربذ خفة

الرجل والبد في المشي والعمل يقال انه لربذ والربذة صوفة يهنأ بها البعير والربذة خرقة الحائض وربذة الصائغ خرقة يمسح بها ويقال رجل ربذة لا خير عنده والربذة عهنة تعلق على البعير والربذة أيضا موضع معلوم فيه كان يسكن أبو ذر رحمه الله * ومن مقلوبه بذر الحب يبذره بذرا زرعه والبذر ما زرع والجمع بذور بذر
والبذر النسل ورجل بذور وبذير وقد بذر بذارة اذا لم يمسك سرا وبذر اذا أفسد ماله وأنفقه في السرف وبذر اسم بئر من بئار مكة شرفها الله تعالى حفرها هاشم بن عبد مناف * ومن شكل بذر نذر النذر ما ينذره الانسان على نفسه والمصدر نذر
النذر ومنه الحديث ولا نذر فيما لا يملك والنذيرة اسم الذي يعطى والنذر اسم للانذار يقال أنذر بكذا أي أعلم وأنذرتهم فنذروا أي علموا والنذر جماعة النذير وفي التنزيل كذبت ثمود بالنذر وفي هذه السورة فكيف كان عذابي ونذر وهو بمعنى انذاري والله أعلم * ومن شكله ذئر ذئر الرجل يذأر ذأرا اغتاظ وامرأة ذئر
ذائر أي ناشز ومنه الحديث ذئر النساء على أزواجهن قال الاصمعي نفرن ونشزن واجترأن يقال منه امرأة ذائر على فاعل مثل الرجل قال عبيد

ولقد أتاني عن تميم انهم * ذئروا لقتل عامر وتعصبوا

يعني نفروا من ذلك وأنكروه ويقال ذئر الرجل فزع وأذأرته ألجأته ومن شكل زند
زبد الاول زئد الرجل اذا فزع فهو مزؤد ومنه قول الشاعر

حملت به في ليلة مزؤدة * كرها وعقد نطاقها لم يحلل

وريد بالراء قال صاحب العين الريد الحيد في الجبل وهو الحرف الناتئ فيه والجمع ريد
ريود * ومعكوس هذه اللفظة دير وهو معروف دار الخمار وساكنه ديراني وديار دير
ومقلوبه ردي الرجل يردى فهو رد اذا هلك وأرداه الله ومنه قوله تعالى واتبع ردى
هواه فتردى وتردى في هوة تهور فيها وتردى بالرداء وارتدى به والردى مصدر قولك ردت الخيل رديا وردیانا والرديان مشي الحمار من آريه الى متمعكه ورديت الشئ بالمرداة كسرته والمرداة الصخرة وهو مردى حرب وتقول أردى الشئ على غيره أربى عليه والمرادى المرامي والردىء بالهمز ضد الجيد وفعله بالواو وتقول ردؤ الشئ رداءة فهو ردىء ورجل مردى اذا فعل فعلا رديئا وردأت الرجل بكذا جعلت له قوة والاسم الردء من قوله تعالى ردأ يصدقني وتقول أردأته أعنته * ومن رئد
شكل زبد رئد يقال رئدت المتاع رئدا نضدته ورئد البيت اسقاطه ومرئد اسم رجل

دثر والمرثد أيضا من أسماء الأسد * ومعكوس هذا دثر الشئ درس والدثار ما يتدثر به

ثرد * ومن مقلوب رثد ثرد يقال ثردت الذبيحة بالتشديد قتلتها من غير أن تفرى أوداجها والثرد الفت والثريدة معروفة ويقال أيضا ثريد ومنه الحديث فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام فهذه جملة علم خرجت من لفظة زيد وقيدت لك فى هذا الكتاب بقيد بدأت لك فيها أيها الطالب المريد بالثريد وبه ختمت هذا الفصل اذ هو الاصل وجاء فى الحديث تفضيله وسيأتيك تفصيله فهو اذا أول ما يجب تحصيله فان عدمت ثريد الطعام فدونك ثريد الكلام اجتز بحولك القصيد عن لوك العصيد وبعجائب العلوم عن صحاف الطعوم وبتعريف صفات الاعراب وتصريف لغات الأعراب عن الطعام والشراب

قنوت الروح أرواح المعانى * وليس بأن طعمت وأن شربتا

وكن فى العلم طويل الباع وفى الطعم قليل الاتساع اكتف بالكف من الصاع وبالظلف من الذراع فان الحر يجزأ بالكراع

هذا الكلام قد أتى كما ترى * جميعه حق وليس مفترى
ممسكا مسوكا معطرا * ملخصا مخلصا محبرا
مرصعا مسجعا مفقرا * فاقرأه فهو ممتع لمن قرا
فيه قرى للضيف يوما ان عرا * كما أتى فى مثل قبل جرى
يحفظه أهل البوادى والقرى * ان الحديث طرف من القرى

وها أنا أصنع بعمرو ما صنعت بزيد فليهنك الصيد لكن على ايثار التقليل على الاكثار وحذر التثقيل فى القيل خشية العثار فأقول عمرو اسم لرجل فيكون

مطلب ما يخرج من عمرو مأخوذا من العمر الذى هو الكم يقال سجد على عمره أى على كمه أو من العمر الذى هو احد عمور الاسنان وهو ما بدا من اللثة وقد جاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم فى شأن السواك مازال جبريل يوصينى به حتى خشيت على عمورى وهو اللحم الذى بين الاسنان كما تقدم أو يكون من العمر الذى هو القرط أو الشنف كما قال التنوخى وهو المعرى

وعمر هند كأن الله صوره * عمرو بن هند يسوم الناس تعنيتا

يقول قرط هذه المرأة يعنت القلوب ويعذبها كما يفعل عمرو بن هند بقومه وله خبر يطول أو يكون أخذ من العمر أعنى عمر الانسان يقال فيه عمر وعمر وعمر

فهذه أربعة أوجه ذكرها الاستاذ رحمه الله قال وزاد صاحب كتاب العين وجها خامسا فقال العمر ضرب من النخل طويل ويقال فيه عمر أيضا قال وكان ابن أبي ليلى يستاك بعسيب العمر فان صرفت من هذه اللفظة فعلا خرجت الى معنى غيره مثل عمر فلان داره وعمر أرضه وعمره الله فيها وعمر طويلا وغير ذلك وتخرج الى معنى آخر تقول عمرت الارض عمارة فهي عامرة ومعمورة والعمارة أجر العمارة والعمرة في الحج معروفة والعمار كل شئ على الرأس من قلنسوة أوتاج ويقال العمار الريحان والمعتمر في الحج من العمرة كما تقدم والمعتمر أيضا المعمر والمعتمر الزائر كما قال (وراكب جاء من تثليث معتمر) والعمارة والعمارة أصغر من القبيلة والعمرى أن تجعل للرجل الشئ عمرك أوعمره وأعمرت الارض وجدتها عامرة وكنت بمعمر ترضاه أي بمنزل ومنه قول الشاعر العمارة

يالك من قنبرة بمعمر * خلالك الجو فبيضي واصفري
ونقري ماشئت أن تنقري

وعمر وكثير في الصحابة وكذلك عمرو وأعلاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفضله كثير وشرفه كبير رضي الله عنه وعن جميع أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (فائدة زائدة) الذي قال يالك من قنبرة هو كليب بن وائل كان له حمى يرعى فيه ابله وابل صهره جساس فنزل رجل من جرهم على البسوس وهي خالة جساس وكانت له ناقة فكان يرسلها في الحمى مع ابل جساس فطاف كليب يوما في حماه مع جساس فرأى قنبرة قد عششت في الحمى وباضت فطارت ورفرفت على العش وصرصرت فقال كليب الابيات وله خبر طويل من أنه كيف عقرت الناقة وقتل عاقرها وهاجت حرب البسوس الذي يضرب به المثل فان عكست لفظة عمرو جاء منه رمع تقول رمع الرجل رمعانا اذا تحرك والرماعة ماتحرك من رأس الصبي الصغير والرماعة الاست واليرامع الحصى البيض واحدها يرمع ويقال الحجارة الرخوة ورمع منزل بعينه ذكر ذلك صاحب العين وفي الطرة في المصنف رمع أنف الرجل يرمع رمعانا اذا تحرك من غضب فان قلبت جاء منه مرع يمرع مرعا وهو الكلأ وقد أمرع القوم أصابوا الكلأ وأمرع الوادي ومرع اذا أكلأ فهو ممرع والمريع الخصيب ومن أمثالهم (أمرعت فانزل) والمرع الاسم والمرعة طائر صغير والجمع المرع وتقلبه أيضا فيجيء منه معر الظفر يمعر اذا نصل من شئ أصابه ومعر رأس الرجل رمع مرع معر

وأمعر ذهب شعره وأمعرت الارض اذا لم يكن فيها نبات وأمعر الرجل افتقر وتمعر وجهه وفى الحديث فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم معناه تغير وتقلبه

عرم أيضا فتقول عرم الانسان يعرم فهو عارم وعرم والعرم المسناة وفى التنزيل سيل العرم وفسر كذا بالمسناة وهى السد والعرمة السكر وهى السد أيضا وجمعها عرم وقيل اسم للوادى قاله عطاء وقيل هو الجرذ الذى خرب السد وقيل هو صفة للسيل من العرامة وقيل غير ذلك والله أعلم وسيأتى والعرم الحيات المنقطة بالحمرة والسواد والعرمة الكدس المدوس ليذرى والعرمرم الجيش الكثير والعرمرم الشديد الجمة وقد تقدم العمر والعمر والكلام عليهما وتقلبه أيضا فتقول

رعم رعم الشمس يرعمها اذا راقب غيوبتها ورعمت الشاة ترعم اذا سال من أنفها الرعام فهى رعوم وفى الحديث نظفوا مراحها يعنى الغنم وامسح الرعام ويروى فى هذا الموضع وامسح الرغام بالغين المنقوطة وفتح الراء وهو التراب اللين والثرى وسيأتى ورعوم اسم امرأة وكذلك رعمى ومرعم اسم بلدة قاله البكرى

غمر فى المعجم فان نقطت العين من عمر جاء منه غمر وهو الماء الكثير والجمع غمار والاغتمار الاغتماس وفى الحديث انما مثل الصلاة كمثل نهر عذب غمر الحديث وفرس غمر سريع والغمر السيد الجواد والغمر موضع بحيرتيماء قال حميد بن ثور * نظرت بوادى الغمر والليل مقبل * والغمر أيضا بئر بمكة لبنى سليم وغمير وغمرة موضعان وغمازة بضم أوله وبزاى بئر معروفة بين البصرة والبحرين قاله البكرى والغمرة غمرة الحرب وغمرة الماء وغيرها والمغامر الذى يرمى بنفسه فى الغمرة وغمار الناس جماعتهم والغمر بضم الغين الذى لم يجرب الامور وبكسرها الحقد وقال ابن السيد يقال فى هذا غمر للرجل الذى لم يجرب الامور وغمر بضم الغين والميم وغمر بفتحهما والغمر بفتح الغين والميم ريح اللحم والغمر بضم الغين وفتح الميم قدح صغير وكذلك التغمر أقل الشرب ويقال دار غامرة أى خراب

غرم وكذلك الارض وهى ضد العامرة وتقلب هذه اللفظة فتقول غرم غرما ومغرما وفى التنزيل فهم من مغرم مثقلون والغريم الغارم والغرام العذاب اللازم قاله صاحب العين والمراغمة الهجران والمراغم المتسع وفى التنزيل يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة وفى التفسير المراغم والمهاجر واحد يقال راغمت وهاجرت وأصله أن الرجل كان اذا أسلم خرج من قومه مراغما أى مغاضبا مقاطعا ومن

مقلوبها

مغرة مقلوب بها المغرة طين أحمر وثوب ممغر والامغر الاحمر الوجه والشعر ومن مقلوبها
مرغ المرغ الاسباغ بالدهن وقد مرغ عرضه ومراغ الابل متمرغها وفى الحديث من
هذا قول عمار حين أجنب فتمرغت فى الصعيد كما تمرغ الدابة وفى لفظ آخر فتمعكت
فى التراب ثم صليت ومراغة اسم بلدة واليها ينسب المراغى أنشدنى الحافظ
رحمه الله قال أنشدنى أبو المظفر لنفسه فى أبى النجيب المراغى

شعر المراغى وحوشيته * كعله أسله أسقمه
يلزم ماليس له لازما * لكنه يترك ما يلزمه

غمز فان جعلت الراء زايا قلت غمز والغمز الاشارة بالجفن وفى التنزيل واذا مروا بهم
يتغامزون والغمز العصر باليد ومنه فى الحديث فيغمزنى فأفتح عليه ونحن نصلى
وكذلك فغمزه رجل الى جنبه هذا كله باليد لا بالجفن والغميزة ضعف فى العمل
والمغمز المطعن قال الاخطل

أأكلت القطائط فأفنيتها * فهل فى الخنانص من مغمز

يقوله فى رجل يهجوه ويهزأ به ومنه قولهم ليس فى فلان غميزة أى مطعن والمغموز
المتهم والغمز فى الدابة أن تغمز من رجلها يريد تعرج والغمز بالتحريك رذل
المال قاله الاصمعى ورجل غمز أيضا ضعيف وقد تقدم غمازة اسم بئر ومن مقلوبه
رغم رغم بغين منقوطة والترغم التكذب والتغضب أيضا مع كلام والترغم حنين خفى
كما يترغم الفصيل فان صحفت لفظة عمرو وجعلت منه مكان الراء زايا جاء منه
معز معز وذلك معلوم ويقال لها المعزى والمعزاة والمعز والامعوز جماعة التيوس من
زعم الظباء ويأتى من معكوس هذه اللفظة زعم ومعناه قال والزعم والزعم القول وهو
الظن أيضا وقرأ الكسائى هذا لله بزعمهم بضم الزاى والزعيم الكفيل وفى القرآن
وأنا به زعيم وفى الحديث الزعيم غارم والزعيم ايضا السيد والزعامة السيادة
عزم وسيأتى قول لبيد والزعامة للغلام ويأتى من هذه اللفظة عزم وفى القرآن فاذا عزم
الامر وفى مثل (قد أحزم لو أعزم) ويقال فلان ذو عزم وذو عزيمة وذو عزيم ومن
زمع مقلوبها زمع هنة شبه أظفار الغنم فى الرسغ ويقال الزمع الشعرات التى خلف الثنة
والزمع رذال الناس وأتباعهم والجمع أزماع والزميع الشجاع والزميع السريع
وأزمعت السير عزمت عليه وفى الحديث من هذا اذا أزمع السير وهو الزماع وأزمع
النبت اذا كان قطعا متفرقة وزمعة اسم رجل والداحدى نسوة النبى صلى الله

عليه وسلم سودة بنت زمعة قال أبو عبيد البكري زمعسا كثة الميم من منازل حمير باليمن ومن مقلوبها فزع الفرس والظبي فزعا اذا أسرعا والمرأة تمزع القطن اذا قطعته ثم ألقته والمزعة قطعة من لحم وتكون من الريش والقطن ومزعت اللحم فرقته ويقال فلان يتمزع غيظا أي يتقطع والمزعة بقية من دسم انتهى الكلام في عمرو كما انتهى في زيد يعون من به القوة والايد وذلك على حد الاقتصار على الاختصار وان أردت التطويل والتكثير بالتذييل لما وقع في الفصلين من القال والقيل فدونك فصلا جزلا في تذييل بعض اللغات بما جاء منها في القرآن العزيز من الآيات وايصالها بالحديث والحكايات لكن أيضا على نوع من التفصي عن التقصي اذ لو تتبع ما فيها من الكلام الى التمام لآل الى الملال لكن اقنع بما أوتيته باغلام والسلام وانما أكتب ما قضى لي ان أكتب فلا تلم ولا تعتب

مزع

قصة زيد بن حارثة

(فصل) تقدم في الباب الاول ذكر زيد وفيه انك كما ذكرت بقيد جاء في القرآن العزيز هذا الاسم منصوصا وخص به صاحبه دون الناس خصوصا ولا أعلم في القرآن من جاء اسمه مصرحا به وليس بني غيره وهذه فضيلة في حقه رضي الله عنه قال تعالى في حقه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها هو زيد بن حارثة بن شرحبيل مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم به حكيم بن حزام بن خويلد من الشام في جملة رقيق فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد امرأة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها ياعمة اختاري أي هؤلاء الغلمان شئت فهو لك فاختارت زيدا فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها فاستوهبه منها فوهبته له فأعتقه وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعا شديدا وبكى عليه حين فقده فقال

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل * أحي فيرجى أم أتى دونه الاجل
فوالله ما أدري واني لسائل * أغالك بعدي السهل أم غالك الجبل
ويا ليت شعري هل لك الدهر أوبة * فحسبي من الدنيا رجوعك لي علل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها * وتعرض ذكراه اذا قارب الطفل
وان هبت الارياح هيجن ذكره * فيا طول ما حزني عليه وما وجل
سأعمل نص العيس في الارض جاهدا * ولا أسأم التطواف أو تسأم الابل
حياتي أو تأتي علي منيتي * فكل امرئ فان وان غره الأمل

ثم قدم عليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسلم وصلى معه وكان أول

من أسلم من الصبيان علي بن أبي طالب أسلم وهو ابن عشر سنين وزيد هذا أسلم بعد علي وهو أيضا صغير وأول من أسلم من النساء خديجة ومن الرجال الكبار أبو بكر الصديق رضي الله عنه وبلال مولاه رضي الله عنهم فلما قدم حارثة هذا على ابنه زيد خيره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ان شئت فأقم عندي وان شئت فانطلق مع أبيك فقال بل أقيم عندك فتبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يدعى زيد بن محمد فلما أنزل الله تعالى أدعوهم لآبائهم قال أنا زيد بن حارثة وهو زوج زينب التي قال الله تعالى فيها فلما قضى زيد منها وطرا الآية تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده وسيأتي طرف من خبرها وتزوج هو أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمها بركة ولدت له أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل زيد يوم مؤتة أميرا مع جعفر وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم ذكر معنى هذا الكلام محمد بن اسحاق وفي زيد قال عليه الصلاة والسلام وايم الله ان كان لأحب الناس الي وايم الله ان هذا يعني أسامة لأحبهم الي من بعده وأوصيكم به فانه من صالحيكم ولذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفضله في العطاء على ابنه عبد الله بن عمر فكان يعطيه خمسة آلاف ولابنه عبد الله بن عمر ألفين فقال له ابن عمر فضلت علي أسامة وقد شهدت مالم يشهد فقال ان أسامة كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك وأبوه كان أحب اليه من أبيك وسيأتي طرف من ذكره وذكر أبيه في باب الفاء ان شاء الله تعالى رضي الله عنهم أجمعين وجزاهم خيرا على صنيعهم * تقدم ان زيدا قتل يوم مؤتة شهيدا وكان قد نجاه الله قبل ذلك من القتل جاء في فضائله رضي الله عنه انه اكترى من رجل بغلا من الطائف واشترط عليه المكاري أن ينزله حيث شاء فمال به الى خربة فقال له انزل فنزل فاذا في الخربة قتلى كثيرة قال فلما أراد أن يقتله قال دعني أصل ركعتين قال صل فقد صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئا قال فلما صليت أتاني ليقتلني فقلت يا أرحم الراحمين قال فسمع صوتا لا تقتله قال فهاب ذلك فخرج فطلب فلم ير شيئا فرجع الي فناديت يا أرحم الراحمين ففعل ذلك ثلاثا فاذا أنا بفارس على فرس بيده حربة حديد في رأسها شعلة نار فطعنه بها فأنفذها من ظهره فوقع ميتا ثم قال لما دعوت المرة الاولى يا أرحم الراحمين كنت في السماء السابعة فلما دعوت المرة الثانية يا أرحم الراحمين كنت في السماء الدنيا فلما دعوت الثالثة أتيتك (قلت) وكما كان زيد حب

حكاية زيد مع اللص

رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حبه (بلغه ان أم قرفة) كانت تسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أمكنه الله منها قتلها قتلا عنيفا كذا قال ابن اسحاق وفسر غيره القتل العنيف قال ربطها بفرسين ثم أجريا بها حتى ماتت وذكر أبو عبيد فى كتاب الاموال ان أم قرفة ارتدت فقتلها أبو بكر رضى الله عنه وقيل لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت وجمعت النساء يضربن بالدفوف لعنها الله (قلت) خلاف المرزبانة رضى الله عنها لما بلغها موته صلى الله عليه وسلم بصنعاء اجتمعت مع نساء الابناء فشققن الجيوب وضربن الخدود وأما المرزبانة فشقت درعها من بين يديها ومن خلفها رضى الله عنهن أجمع ولم يرتد من الابناء أحد والحمد لله رب العالمين وتنبأ فيهم الاسود العنسى لعنه الله وغلب على المرزبانة فاحتالت فى قتله على ما يأتى فى باب اللام ان شاء الله تعالى وأم قرفة هذه التى ضرب بها المثل فى الامتناع فيقال (امنع من أم قرفة) كان يعلق فى بيتها خمسون سيفا كلهم لها ذو محرم واسمها فاطمة بنت بدر وكنيت بابنها قرفة الذى قتله النبى صلى الله عليه وسلم وكان لها سواه بنون تسعة قتلوا مع طليحة يوم بزاخة وبنتها هى التى خرجت فى سهم سلمة بن الاكوع فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها فقال هى لك يا رسول الله ففدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيرا كان فى قريش من المسلمين خرج حديث هذه المرأة أبو داود رحمه الله وفى السير انه صلى الله عليه وسلم أهداها لخاله حزن بن وهب فولدت له عبد الرحمن والحمد لله وممن كان لها منعة وعز فى قومها عجوز لبنى رئام تسمى خويلة كان يدخل عليها أربعون رجلا كلهم لها محرم بنو اخوة وبنو أخوات وكانت مع ذلك عقيما وكانت هند بنت صعصعة عمة الفرزدق تقول من جاءت من نساء العرب بأربعة كأربعتى يحل لها أن تضع عندهم خمارها فصرمتى لها أبى صعصعة وأخى غالب وخالى الاقرع بن حابس وزوجى الزبرقان بن بدر فسميت ذات الخمار وتقدم ريد وفسر أنه الريحان وفى القرآن ذكر الريحان قال الله تعالى والحب ذو العصف والريحان والعصف ورق الزرع والريحان الرزق وكذلك فروح وريحان قيل فيه الرزق وقيل الاستراحة وقال الحسن ريحانكم هذا وقال أبو العالية لم يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم يقبض وقال الحسن يقبض الملك نفس المؤمن فى ريحانة وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قتل أم قرفة

الابناء قوم من العجم سكنوا اليمن ومن أراد معرفتهم فليرجع الى تاريخ الخميس ص ١٩٣ من الجزء الاول

قال من عرض عليه ريحان فلا يردّه فانه طيب الريح خفيف المحمل وفى التفسير ان عصا موسى عليه السلام كانت من ورق آس الجنة من أحد الخيوط المستطيلة فى وسط الورقة وان طولها اثنا عشر ذراعا بذراع موسى عليه السلام وفى الشعر من قول الهذلى تالله يبقى على الايام ذو حيد * بمشمخر به الظيان والآس

وتقدّم زند العظم الذى فى الذراع وجاء منه فى الحديث عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال انكسر احد زندى فأمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمسح على الجبائر ذكره الدارقطنى وذكر علته وفى صفته صلى الله عليه وسلم طويل الزندين والزند هو طرف الذراع من الكف وهما زندان الكوع وهو الذى يلى الابهام والكرسوع وهو الذى يلى الخنصر والزند الذى يقدح به النار هو الاعلى والزندة هى السفلى وفيها ثقب فاذا اجتمعا قيل زندان وتقدّم أربد وربد وهو لون الى الدبسة والغبرة وفى الحديث عليهم ثياب ربد ويروى رمد وهو لون الرماد والباء تبدل من الميم وسيأتى ذكرها ان شاء الله تعالى وتقدّم الزبد وهو الرفد وتقدّم الحديث فيه أنه عليه الصلاة والسلام قال ونهيت عن زبد المشركين يقال زبدته زبدا أعطيته والزبد بضم الزاى معلوم وهو خلاصة السمن وفى الحديث دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقربنا اليه تمرا وزبدا وكان يحب التمر والزبد صلى الله عليه وسلم وتقدّم دنر وجهه اذا أشرق كالدينار وأصل دينار دنّار بالتشديد أبدل من أحد حرفى تضعيفه ياء وبنو دينار قوم معرفون والوجه يوصف بالدينار لا للاصفرار ولا للاحمرار لكن للاشراق وعلو المقدار وفى رسالة الفقيه الخطيب أبى محمد عبد الوهاب بن على رضى الله عنه يا أوجه الدنانير هل عندكم سنانير وسيأتى ذكرها ان شاء الله تعالى وقد تكلم الناس فى الدينار الذى هو سبب دخول الجنة أو صلى النار فنهم من ذمه فوهبه ومنهم من ضمه وكان مذهبه ومنهم من جمع بين الصفتين لمعنى به معنيين ويكفيك فى ذلك قول الحريرى رحمه الله مدح وقدح وجذب وحرب قال فى مدحه (أكرم به أصفر راقت صفرته) وقال فى ذمه

تباله من خادع مماذق * أصفر ذى وجهين كالمنافق

الى آخرها وقال غيره بذمه

النار آخر دينار نطقت به * والهم آخر هذا الدرهم الجارى
والمرء بينهما ان لم يكن ورعا * معذب القلب بين الهم والنار

ذكر الدينار

وأنشدني بعض الاصحاب

يختبر الدينار في يدق * والدرهم الزائف اذ يتهم
والمرء ان رمت اختبارا له * بيدقه الدينار والدرهم
من عف عن هذا وهذا معا * فهو التقي الورع المسلم

وله رضي الله عنه

ان المذمة والحساب كلاهما * قرنا بهذا الدرهم المذموم
شغف الانام بذمه وبضمه * فلتجتبوا المذم مضموم

وفي هذا المعنى

كلام الناس أراذ أرادوا * عطاء شاع فيهم واستمرا
ولكن ذا لكم في غير دين * وفي الدينار نص الدين أريا
كما في درهم قل درهم * وذا قال فأقدم أو فمرا
ومهردعكسه والهرد قطع * وكمر فاجتنب قطعا وكسرا
فكم قوم أرادوا ضم هذا * الى هذا فأمسى الكل أسرى

ولي من قطعة

وقد يحسب المرء أن الغنى * اكتساب الحطام وجمع النشب
وهيهات والله ان الغنى * غنى النفس لا رقة أو ذهب
ولو علم الناس ما فيهما * من الشوم فروا فرار السحب
ولو لم يكن غير لفظيهما * كفى من له مسكة من أدب
ففي الرقة الرق حكما كما * ترى في هجاء الذهاب الذهب
ودينار ان قلت فالنار فيه وفي الدرهم الهم فاطلب تصب
وما سمي المال الا لما * يميل لذا ولذا ينقلب

قلت ان الغنى غنى النفس أخذته من قول الرسول عليه الصلاة والسلام ليس الغنى من كثرة العرض ولكن انما الغنى غنى النفس فان بغنى النفس يستريح الانسان وبغنى العرض يقع في الطغيان كما قال الله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى وأحسن ما رأيت في هذا المعنى قول من نسبه صديقه من أهل الغنى

أظنك أطغاك الغنى فنسيتني * ونفسك والدنيا الدنية قد تنسى
فان كنت تعلو عند نفسك بالغنى * فاني سيعليني عليك غنى نفسي

(وقلت هذا أيضا) قبل أن أرى شعر المعرى ثم رأيته فاذا فيه هذا الغرض قال رحمه الله وماقلت مالاقط الاومال بى * ولادرهما الاودّ لى الهمّ

ولذلك قالوا مازاد على الكفاف فهو فقر لانك تفتقر الى حفظه والى تثميره والغنى على الحقيقة هو الكفاف ألم تسمع قوله عليه الصلاة والسلام اللهم انى أسألك غناى وغنى مولاى قال الشاعر

غنى النفس مايكفيك من سد خلة * فان زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

ولى أيضا من قطعة أخرى مطوّلة كذلك وقد رأيت رجلا اهتم بدرهم أعطى من داره لاناس فى ختان أونفاس

درّهم ان منك أخرج درهم * فى سرور فكيف تصنع فى الهم

ولى أيضا من نوع ماتقدم

درّهم ياصاح تصحيف درهم * فاكتسبه ان كنت تحتمل الهم
ثم معكوسه مهرد فاعلم * وهو فأل فسر عليه أواجم
هبك تقوى على احتمالك للهم * أمهرد يأتى عليك وتسلم
ياأخى اسمع وصاة خلك وافهم * ثمت اختر لنفسك الامر الاقوم
اجتلبه تقدم على ماتقدّم * اجتنبه تسلم وتظفر وتغنم

وسئلت تذييل هذين البيتين

اذا ماشئت أن تنعم * بلا همّ ولا مأثم
فلاتجنح على حال * الى الدينار والدرهم

فقلت

وخل الناس لاتعنى * بأمرهم ولاتهتم
ولاتشغل بذكرهم * بمدح فيهم أوذم
فكل مضرة تأتى * فمن قبل الذى تعلم
تجنب كل من تدرى * لعلك منه أن تسلم
فصحبته أضر عليك ياهذا من الابهم

وأنشدنى الشيخ الفقيه أبو محمد العثمانى رحمه الله لبعض الشعراء يمدح أحد الملوك وكان يرمى عدوه فى حال القتال بسهام من ذهب

وقد صاغ من ذهب نصله * فأبدى من المنّ مالم يعن
يداوى الجريح به جرحه * ويشرى به للقتيل الكفن

ولى فى مدحه فى غرض أعرض بعد سلام وكلام

فما لوا ان تشا تغلبه وجه * له من وجهه أبدا جميل
ومن ان جاء والابواب سدّت * اذا فتحت وكان له دخول
ومن فى صفحتيه غدت نقوش * اذا لاحت فقد راحت عقول
ومن ان تلق ذا وجه عبوس * به يشرق وكان له قبول
ومن يقضى الحوائج كل وقت * وفى أفنانه ظل ظليل
ومن عظمت منافعه وجلت * ومالكه به أضحى يصول
وأصبح من حواه عزيز قوم * ولولاه لقيل هو الذليل
به تمتاز قيمة كل شئ * وتبتاع الفروع بل الاصول
ولولاه لما وليت ولاة * ولولاه لما قالت قبول
ولولاه استوى جود وبخل * ولم يدر الجواد ولا البخيل
هو الدينار يدرك كل أمر * به وينال مأمول وسول

الى آخر الشعر وهو ستون بيتا انظرها فى التكميل * وقع فى الشعر (قالت) ومعناه ملكت ومنه القيل وسيأتى سبحان الذى تعطف بالعز وقال به يعنى ملك وتقدم بيتان فى الكلام على الشعر وفضله وهذا موضعهما أيضا لان فيهما منفعة الدراهم وهما

اذا شئت أن تلقى أخاك معبسا * وجداه فى الماضين كعب وحاتم
فكشفه عما فى يديه فانما * تكشف أخلاق الرجال الدراهم

فضل الغنى (قلت) وما أحسن الدينار اذا وقى المرء به نفسه من النار وقدمه أمامه ولم يتخذه كنزا يكوى به جنبه وجبهته وظهره يوم القيامه ألم تسمع قول الرسول عليه الصلاة والسلام نعما بالمال الصالح للرجل الصالح يريد الذى ينفقه فى سبيل الله والله أعلم كما كان لسعد بن عبادة جفنة كل يوم مملوءة طعاما يبعث بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تدور معه حيث دار من نسائه ويقول اللهم ارزقنى مالا فانه لا تصلح الفعال الا بالمال (وقال بعضهم) انه ليس بكسب المال باس اذا كان من وجهه وصان به وجهه عن الناس ألم تسمع قول بعض الحكماء خصلتان لا تزال بخير ما حفظتهما درهمك لمعاشك ودينك لمعادك (وقال سعيد بن المسيب) رضى الله عنه لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله يعطى منه حقه ويكف به وجهه عن الناس وكان سعيد هذا أحد العباد والزهاد وسيأتى حديثه وكيف كان لا يأخذ

من أحد شيئا لا دينارا ولا درهما وكيف آتي بنيف وثلاثين ألفا فلم يأخذها وخرج أبو أحمد بن عدي، عن محمد بن المنكدر عن جابر (قال قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وما أنفق الرجل على نفسه وعلى أهله كتب له صدقة وما وقى الرجل به عرضه فهو صدقة وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها الا ما كان من نفقة في بنيان أو معصية (قيل لابن المنكدر) ما الذي وقى الرجل به عرضه قال يعطي الشاعر أو ذا اللسان وخرج مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمه أجرا الذي أنفقته على أهلك (وعن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال) ما أحب عندي مثل أحد ذهبا فأنفقه في سبيل الله وتمسي ثالثة وعندي منه دينار الا دينارا أرصده لدين الا أن أقول به في عباد الله هكذا احثا بين يديه وهكذا احثا عن يمينه وهكذا عن شماله (وذكر الحديث وفي حديث آخر) تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم (وقالت عائشة رضي الله عنها) ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما وكذلك قال في حياته صلى الله عليه وسلم لا تقسم ورثتي دينارا ولا درهما (وخرج أبو طالب في القوت) روينا في الخبر لكل أمة عجل وعجل هذه الامة الدينار والدرهم وأنشد ثعلب رحمه الله

اذا كنت ذا مال ولم تك منفقا * فأنت اذا والمقترون سواء
على ان للاموال يوما تباعة * على أهلها والمقترون براء

(قلت) التباعة المذكورة في هذا البيت هي على الذي يكنزه ولا يؤدي زكاته فتكوى به جبهته وجنبه والفقير بريء من هذا كما قال الشاعر

ما ان سمعت بعائل تكوى غدا * في النار جبهته على الاقلال
واذا أردت صحيح من يكوى بها * فاقرأ عقيب سورة الانفال

ولما مات الاسكندر جعل في تابوت من ذهب فاجتمع الحكماء لموته فقال أحدهم كان الاسكندر يخبأ الذهب فأصبح الذهب يخبأ الاسكندر (وقال آخر) ان الذهب كان كنز الاسكندر وان الاسكندر قد أصبح كنز الذهب وجاء من ذكر الكنز في الحديث يجيء كنز أحدكم يوم القيامة شجاعا أقرع وجاء من كان له مال لم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطلبه حتى يمكنه يقول أنا

كنزك وجاء خير ما يكنز المرء المرأة الصالحة وسيأتي عند ذكر النساء (وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم) من استطاع منكم أن يجعل كنزه في السماء حيث لا تأكله السوس ولا تناله السراق فليفعل فان قلب الرجل مع كنزه وأنشدني الحافظ رحمه الله لنفسه

تبا لمن آتاه رب العلى * مالا ولم يرزقه انفاقه
فالمال كالآل متى لم يكن * يبين الانفاق اشراقه

وكان الحسن رضي الله عنه يقول بئس الرفيقان الدينار والدرهم لا ينفعانك حتى يفارقانك وكان يحلف بالله ما أعز أحد الدرهم الا أذله الله (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم أهلك من كان قبلكم الدينار والدرهم وهما مهلكاكم (وأنشدني العثماني) رضي الله عنه قال أنشدنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الله الهاشمي الشريف الرضي رضي الله عنه

خذ من زمانك ما استطعت فانما * شركاؤك الايام والوراث
لم يقض حق المال الا معشر * وجدوا الزمان يعيث فيه فعاثوا
المال مال المرء ما بلغت به الشهوات أو دفعت به الاحداث
ما كان منه فاضلا عن قوته * فليوقنن بأنه ميراث
انى لأعجب من أناس أمسكوا * بعلائق الدنيا وهن رثاث
كنزوا الكنوز وأغفلوا شهواتهم * فالارض تشبع والبطون غراث
مالى وللدنيا الخؤونة حاجة * فليخش ساحر كيدها النفاث
عاراتها منقوضة وعهودها * منكوثة وحبالها أنكاث
طلقتها ألفا لأحسم داءها * وطلاق من عزم الطلاق ثلاث

ما ورد من الحكايات في الدراهم

(قلت) والشئ يذكر بضده من أغرب ما رأيت في حب الدراهم ما يروى عن الحجاج أن عنبسة بن سعيد بن العاصي وكان عنبسة من خلصاء الحجاج بن يوسف فطلع له ابن فسماه الحجاج باسمه ودخل به على الحجاج يوما وهو طفل فأعطاه دراهم فسأله أن يشدها بخيط فلما شدها سأله المبالغة في الشد حتى عقد اثنتي عشرة عقدة فتعجب الناس من شأنه ثم دخل عنبسة على الحجاج فأخبره بشأنه فقال له ان رأيته أيها الامير فاسأله ما صنع بالدراهم فأرسل اليه الحجاج وقال له ما صنعت بالدراهم التي أعطيتك قال عمدت الى أغمض بيت في الدار فحفرت فيه حفرة ثم دفنت

الدراهم فيها وملأت البيت تبنا وقلت لها هذا آخر عهدك بالدنيا قال فما أردت بملأ البيت تبنا قال ان أرادها اللصوص لم يفرغوا من اخراج التبن حتى يدركهم الصباح فيفضحهم فازداد الحجاج عجبا من ضبطه وسرّ به ووهب له مالا (وقال اعرابي) لرجل هب لي درهما فقال لقد سألت مزيدا الدرهم عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف عشر ديتك خرجه الخطابي وقال المزيد الكثير ومنه قولهم اذا كان المال ذا مزيد ففرقه في الاصناف الثمانية يعني الصدقة واذا كان قليلا فأعطه صنفا واحدا * ووقع في عيون الاخبار قال كان فلان بخيلا فكان اذا وقع في يده الدرهم نقره باصبعه ثم أخذه براحته ثم يقول كم مدينة قد دخلتها ودورقد وقعت فيها فالآن استقرّ بك القرار واطمأنت بك الدار ثم يرمي به في صندوق له فيكون آخر العهد به وذكر عن آخر أنه نظر الى درهم فاذا في شق لا اله الا الله وفي شق محمد رسول الله وفي وجه آخر الله لا اله الا هو الحي القيوم فقال ما ينبغي أن يكون هذا الا معاذة وقذفه في الصندوق فكان آخر العهد به وكان آخر اذا صار الدرهم في يده خاطبه وناجاه واستبطأه وفدّاه وكان يقول بأبي أنت وأمي كم من أرض قطعت وكم من كيس دخلت وكم من خامل رفعت لك عندي أن لا تعرى ولا تضحى ثم يلقيه في كيسه ويقول اسكن على اسم الله في مكان لا تزال فيه ولا تزعج عنه ويذكر أن ابليس لعنه الله أخذ أول دينار ضرب في الارض ووضعه على وجهه وقال بهذا أصطاد قلوب بني آدم (وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال) لما ضرب الدينار والدرهم أخذه ابليس فوضعه على عينيه وقال أنت ثمرة قلبي وقرّة عيني بك أطغى وبك أكفر وبك أدخل النار رضيت من ابن آدم بحب الدينار أن يعبدني (قلت) نعوذ بالله من شرّ الذهب وشرّ ابليس الذي ذكره ذهب وجاء في الذهب (من قول أبي هريرة رضي الله عنه) لابنته قولي أبي أبى أن يحليني الذهب يخشى على حرّ اللهب (وقال يحيى) بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيتها فلا تأخذها فانها ان لدغتك قتلك سمها قيل ما رقيتها قال أخذها من حلها ووضعها في حقها (قلت) قوله ووضعها في حقها يريد أن لا تنفق الا في الواجبات لا في المنهيات ولا في المحرمات ولا في الملاهي والتنزهات كما يصنع أهل الدنيا يتخذون الاواني من الذهب والفضة ويقطعونهما الغزل والنسج في الستور وغيرها لكسوة الحيطان (وقد جاء النهي في ذلك) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول

قطع الذهب والفضة من الفساد فى الارض قيل معناه ما تقدم وقيل قطعه قرضه للانفاق اذا ضاق الصرف والاول أليق بالمعنى والله أعلم (وقد جاء فى الحديث) أنه نهى عليه الصلاة والسلام أن تكسر سكة المسلمين الجائزة بينهم الا من بأس ذكره أبو داود وذكر ضعف اسناده وجاء فى الشرب فى آنية الذهب والفضة انما يجرجر فى بطنه نار جهنم أعاذنا الله منها (وجاء فى الاثر) انه لما أخرج آدم عليه السلام من الجنة بكى عليه كل ما كان فى الجنة الا الذهب والفضة فقيل لهما فى ذلك فقالا لا نبكى على من عصى الله تعالى فقيل لهما أنتما الحكام فى الارض أو كما ورد الخبر والله أعلم (وقال أبو حامد رحمه الله) انما الذهب والفضة فى الارض بمنزلة الحكام بين الناس فاذا صنع من الذهب والفضة اناء فقد عطل الحكم عن حكمه بمنزلة من أخذ القاضى من الناس وصرفه فى مهنته وعطل الناس عن الوصول الى حقوقهم وقد كان يمكنه أن يصرف غيره فى ذلك كما كان يمكنه أن يتخذ اناء من فخار وهذا من قطع الذهب المنهى عنه فى الشرع أو كما قال رحمه الله هذا معنى كلامه والله أعلم (فصل) وأختم لك هذا الباب بحكايات غراب فيها ذكر الدرهم فاقرأ تفهم والحديث يجر بعضه بعضا فاسمعه أيضا (قال الاصمعى رحمه الله) حججت فمررت على بعض المناهل فاذا بجارية تسأل الناس وكأن وجهها بدر طالع فقلت لها مثل هذا الوجه يسأل فأخرجت كفا لها من تحت خمار كأنه كف صبى ولطمت به وجهها ثم أنشأت تقول

لم أبده حتى تقضت حيلتى * فبذلته وهو الاعز الاكرم
قد صنته وحجبته حتى اذا * لم يبق لى سبد ومات الهيثم
أبرزته من خدره مقهورة * والله يشهد لى بذاك و يعلم
كشف الزمان قناعه فى بلدة * قل الصديق بها وعز الدرهم

ماله سبد ولا لبد بالتحريك فيهما أى لا قليل ولا كثير

فقلت لها من أنت فقالت أنا المتمناة بنت الهيثم الفزارى قال فرجعت من الحج على رحبة مالك بن طوق أريد الغزو وبها أبو كلثوم فحدثته الحديث ثم مضيت الى طرسوس فأقمت بها عامين ثم رجعت الى أبى كلثوم فاذا بصبى يدب ومعه خرقة فيها صرة لا يقدر على جرها فقال أبو كلثوم هذا ولد المتمناة بنت الهيثم الفزارى أنفذت الى بنى فزارة فوجدتها كما وصفت فتزوجتها وولدت لى هذا الصبى وهذه هديتها بحق دلالتك عليها فأخذت الصرة فاذا فيها مائتا دينار * قولها فى الشعر (وعز

قصة زواج سعيد ابنته بدرهمين

الدرهم) معناه قل تريد الدرهم الحلال والله أعلم كما قال بعض الحكماء شيئان ليس في الدنيا أقل منهما ولا يزدادان الا قلة درهم من حلال تنفقه في وجهه وأخ ثقة تسكن اليه (وأغرب مما تقدم وأعجب) حديث سعيد بن المسيب مع صهره كثير ابن المطلب بن أبي وداعه رضي الله عنه وعن تلك الجماعه قال كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياما فلما جئته قال أين كنت قلت توفيت أهلي فاشتغلت بها فقال ألا أخبرتنا فشهدناها قال ثم أردت أن أقوم فقال هل استحدثت أهلا فقلت يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك الا درهمين أو ثلاثة فقال أنا قلت وتفعل قال نعم ثم تحمد وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين أو قال ثلاثة قال فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح فسرت وجعلت أتفكر ممن آخذ وممن أستدين فصليت المغرب وانصرفت الى منزلي وكنت وحدي صائما فقدمت عشائي أفطر وكان خبزا وزيتا فاذا بابي يقرع فقلت من هذا قال سعيد قال فأفكرت في كل انسان اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب فانه لم ير أربعين سنة الا بين بيته والمسجد فقمت وخرجت فاذا سعيد بن المسيب فظننت أنه قد بدا له فقلت يا أبا محمد ألا أرسلت الي فأتيتك قال لا أنت أحق أن تؤتى فقلت فما تأمر قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك وهذه امرأتك فاذا هي قائمة من خلفه في طوله ثم أخذ بيدها فدفعها في الباب ورد الباب فسقطت المرأة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم تقدمتها الى القصعة التي فيها الزيت والخل فوضعتها في ظل السراج لكي لا تراه ثم صعدت الى السطح فناديت الجيران فجاؤني فقالوا ما شأنك قلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها على غفلة فقالوا سعيد بن المسيب زوجك قلت نعم وها هي في الدار قال فنزلوا اليها وبلغ أمي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام ان مسستها قبل أن أصلحها في ثلاثة أيام قال فأقمت ثلاثا ثم دخلت بها فاذا هي من أجمل الناس واذا هي أحفظ الناس لكتاب الله وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه فلما كان قرب الشهر أتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تقوض أهل المجلس فلما لم يبق غيري قال ما حال ذلك الانسان قلت خيرا يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو قال ان رابك شئ فالعصا فانصرفت الى منزلي فوجه الي بعشرين ألف درهم (قال

الراوى) وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد ابن عبد الملك حين ولاه العهد فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط فى يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف وسيأتى خبره ولم ضرب ومن ضرب معه ونوع من هذا فى فرار الاولياء من الاغنياء (قصة الحسن بن أبى الحسن البصرى رضى الله عنه) قال حميد الطويل رحمه الله خطب رجل الى الحسن فكنت أنا السفير بينهما قال وكان قد رضيه فذهبت يوما أثنى عليه بين يديه فقلت يا أبا سعيد وأزيدك أن له خمسين ألف درهم قال له خمسون ألفا اجتمعت من حلال (قلت يا أبا سعيد) انه ما علمت لورع مسلم قال ان كان جمعها من حلال فقد ضن بها عن حق لا والله لا يجرى بينى وبينه صهر أبدا (واغرب من هذا) حديث أبى الدرداء رضى الله عنه وكان فقيها عالما حكيما كان يقول فيه يزيد بن معاوية ان أبا الدرداء من الحكماء الذين يشفون من الداء كانت له بنت خطبها يزيد بن معاوية فردّه فقال رجل من جلسائه أصلحك الله أتأذن لى أن أتزوجها قال اعزب ويلك قال ائذن لى أصلحك الله قال نعم قال فخطبها فأنكحها أبو الدرداء الرجل فسار ذلك فى الناس أنّ يزيد خطب الى أبى الدرداء فردّه وخطب اليه رجل من ضعفاء المسلمين فأنكحه (قال) فقال أبو الدرداء ما ظنك بالدرداء اذا قامت على رأسها الخصيان ونظرت فى بيوت يلتمع فيها بصرها أين دينها منها يومئذ * اسم أبى الدرداء عويمر بن عامر وكنى بابنته هذه واسمها الدرداء وسيأتى تفسير الدرد وبها أيضا كنيت أمها أم الدرداء امرأة أبى الدرداء واسمها خيرة بنت أبى حدرد وكانت خيرة عند اسمها وسيأتى خبرها فى باب الدين من هذا الكتاب ان شاء الله واسم أبى حدرد عبد *(فصل)* فى تفسير الرقة والدرهم وفى شرح الابهم أما الدرهم فذكر أهل اللغة أنه فارسى معرب وكسر الهاء لغة فيه وجمعه دراهم وربما قالوا درهام وجمعه دراهيم قال الشاعر

تفسير الرقة والورق

لو أنّ عندى مائتا درهام * لجاز فى آفاقها خيتامى

يقال خيتام وخاتام وخاتم بالفتح والكسر مثل طابع وطابع كله بمعنى والجمع الخواتيم كذا رأيته والقياس أن يجمع خاتم على خواتم بغير ياء ويجمع خاتام على خواتيم بالياء على قياس درهام ودراهيم كما قالوا مفتاح ومفاتيح (وأما الرقة) فذكر أبو عبيدة فى كتاب الاموال ان الورق ما كان سكة مضروبة فان كان

حليا

حليا أوحلية أونقدا لم يسم ورقا يريد بهذه التفرقة أنه لازكاة فى الحلى واحتج بقول النبى صلى الله عليه وسلم حين ذكر الزكاة قال فى الرقة كذا وحين ذكر الربا قال الفضة بالفضة ربا ومثله قال الهروى قال الاستاذ رحمه الله قد جاء فى الحديث خلاف ما قال من ذلك نهيه صلى الله عليه وسلم عن بيع الفضة بالفضة واباحة بيع الذهب بالورق فدل على أن الورق والفضة شئ واحد وقال فى صفة الحوض يصب فيه ميزابان من الجنة أحدهما من ورق وحديث عرفجة حين أصيب أنفه يوم الكلاب فاتخذ أنفا من ورق الحديث فدل على أن الفضة تسمى ورقا على أى حال كانت (وجاء فى الحديث أيضا) بالذهب العين والورق العين يريد النقد لان الغائب يسمى ضمارا ويسمى الحاضر عينا لموضع المعاينة فالعين فى الاصل مصدر عنته أعنه اذا أبصرته بعينك وسمى المفعول بالمصدر ومنه نحو الصيد لانه مصدر صدت أصيد (وقد جاء فى التنزيل) لا تقتلوا الصيد فسماه بالمصدر ولعلك أن تلحظ فى هذا المطلع معنى العين من قوله تعالى ولتصنع على عينى (وقال أبو سليمان الخطابى) التبر جوهر الذهب والفضة يقال للقطعة منه تبرة مالم تطبع فاذا ضربت دراهم أودنانير سميت عينا فسر به حديث النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الذهب بالذهب تبرها وعينها والفضة بالفضة تبرها وعينها انتهى كلامه الورق بالكسر الفضة وحكى الفراء فيه ثلاث لغات ورق وورق وورق مثل كبد وكبد وكبد وكلمة وكلمة وكلمة وجمع الرقة رقات ورقون والهاء فيها عوض من الواو المحذوفة وفى مثل (وجدان الرقين يغطى أفن الافين) الافن الحمق يقول الغنى وقاية للحمق والورق بفتح الواو والراء معلوم وورق الاشجار وغيرها والورق أيضا المال قال كثير

فما ورق الدنيا بدوم لاهلها * ولا شدة البلوى بضربة لازم

ويروى بباق لاهله والرقون بفتح الراء أيضا والرقان البرنأ بفتح الباء مقصور ويقال البرناء بضم الباء والهمز والمد وهى الحناء والرقان الزعفران ويقال منه أيضا الرقون ويقال هو الحناء قال المعرى *فاهتاج يكتب بالرقان ويحم* (ومن أسماء الحناء أيضا) العلام ومنه قول المعرى فى رسالته البديعة فى خبر ذكره غنيت عن كذا غناء الوصيف عن لبس النظيف والغلام عن الاختضاب بالعلام

بيان الايهم

وأما الايهم فواحد الايهمين ومازال الناس يستعيذون بالله من الايهمين وهما

السيل والحريق لانهما لا يهتدى فيهما كيف العمل كما لا يهتدى فى الهماء وهى الفلاة التى لا يهتدى لطرقها ولا ماء فيها والايهم البلد الذى لا علم فيه (قال ثابت رحمه الله) وقد قالوا فى تفسير الهماء المفازة لا ماء فيها وكأنه مقلوب من هيماء والله أعلم (وقال الخطابى) وذكر الاعمين اذ فسر حديث النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال تعوذوا بالله من الاعمين ومن قترة وما ولد قال يريد بالاعمين السيل والحريق وهما الايهمان أيضا وقال الشاعر

وهبت اخاك للاعمين * وللاثرمين ولم تظلم

وسيأتى الشعر بكماله فى باب الطاء ان شاء الله وقال قترة اسم ابليس و يقال كنيته أبو قترة وقال ابن الاعرابى أبو قترة حية خبيثة وقال الاصمعى هو ذكر الافاعى وطوله نحو الشبر وقال صاحب كتاب تاج اللغة انه يقال للفلاة التى لا يهتدى فيها الطريق يهماء وللبر أيهم قال والايهم من الرجال الاصم والايهم الشجاع (قال أبو عبيد) بعد ذكر السيل والحريق وانما قيل له أيهم لانه ليس مما يستطاع دفعه ولا ينطق فيكلم أو يستعتب * وذكر ابن السكيت أن الجمل الصؤول الهائج يسمى أيضا أيهم وقالوا فى الامرين انهما الجوع والعرى وفى الاجوفين الجوف والفرج و فى الحديث ان الامرين غير هذين قال عليه الصلاة والسلام ماذا فى الامرين من الشفاء الصبر والثفاء فالصبر معلوم والثفاء الخردل وسيأتى ذكر الاثرمين فى باب الطاء عند ذكر لفظة طا ان شاء الله وفسرهما ثابت بالدهر والموت وباب تثنية الاسماء مثل العمرين والقمرين واللبن أحد اللحمين والشعر أحد الوجهين وما أشبهه باب كبير وأثبت لك هنا قطعة زهدية لابن سارة رحمه الله ذكر فى كل بيت منها اسمين من هذا القبيل وهو من أحسن ما قيل

يا من يصيخ الى داعى السفاه وقد * نادى به الناعيان الشيب والكبر
ان كنت لا تسمع الذكرى ففيم ثوى * فى رأسك الواعيان السمع والبصر
ليس الاصم ولا الاعمى سوى رجل * لم يهده الهاديان العين والاثر
لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك الاعلى ولا النيران الشمس والقمر
ليرحلنّ عن الدنيا وان كرها * فراقها الثاويان البدو والحضر

تقدم ذكر اربد اسم رجل واربد قيس بن أخى لبيد بن ربيعة لامه وفيه أنزل الله تعالى و يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وذلك أنه قدم على رسول الله صلى الله

عليه

هلاك اربد وعامر ابن الطفيل

عليه وسلم هو وعامر بن الطفيل يريدان الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عامر لاربد سأشغل عنك وجهه فاذا فعلت ذلك فاعله بالسيف ففعل ذلك وجعل يشغله و ينظر الى اربد لا يصنع شيئا والله سبحانه قد منعه منه فلما خرجا من عنده قال له عامر أين ما أمرتك به قال لا أبا لك لا تعجل على والله ماهممت بالذى أمرتنى به من أمره الا دخلت بينى و بين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف فلما رجعا الى بلادهما بعث الله على عامر الطاعون فى عنقه فقتله الله ورجع اربد فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما وأنزل الله فيهما الله يعلم ما تحمل كل أنثى الى قوله شديد المحال والمحال القوة قاله مجاهد وفى اربد هذا يقول أخوه لبيد يرثيه

أخشى على اربد الحتوف ولا * أرهب نوء السماك والاسد

فى أبيات ذكرها ابن اسحاق فى السير وأسلم لبيد وعاش فى الاسلام ستين سنة ومات فى أيام معاوية رحمهما الله وسيأتى ذكره فى باب الراء من هذا الكتاب ان شاء الله

حديث عاصم

وتقدم فى الباب ذكر الدبر ومنه حديث عاصم بن ثابت بن أبى الاقلح رضى الله عنه حين قتل كانت فيه آية وعجب أرادت هذيل أن يأخذوا رأسه فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته فلم يقدروا عليه ولذلك قيل له حمى الدبر وكانت الزنابير التى أرسلها الله عليه كبارا كابر الذراع فلما حالت بينهم و بينه قالوا دعوه حتى

ابرة الذراع مسلدقها

يمسى فتذهب عنه فنأخذه فبعث الله الوادى فاحتمل عاصما فذهب به وكان قد أعطى الله عهدا أن لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول حين بلغه أن الدبر منعته يحفظ الله العبد المؤمن كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك وأن لا يمس مشركا أبدا فى حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه فى حياته (ومن الدبر) أيضا ما يروى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه لما ارتدت العرب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد غزوهم واستشار فى ذلك الصحابة رضى الله عنهم فكلهم ترخصوا فى تركهم الى أن يشتد أمر المسلمين وأشار عليه بعضهم أن يترك لهم صدقة عامهم (فقال) والله لأن أخر من السماء أحب الى من أن يكون هذا رأيى والله لو لم أجد ما أقاتلهم به الا الدبر لقاتلتهم به فامتلأ المسجد عليهم من الدبر (أو كما قال هذا) معناه رضى الله عنه وعنهم (وتقدم) أيضا فى الباب من ذكر الدبرة حديث ابن مسعود رضى الله عنه حين اقتطع رأس أبى جهل

مقتل أبي جهل

لعنه الله فأردت أن أسوقه في هذا الكتاب بكماله وأذكر من قتله وأخذ سلبه * خرّج مسلم رحمه الله عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه قال بينما أنا واقف في الصف يوم بدر إذ نظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بين غلامين من الانصار حديثة أسنانهما فتمنيت أن لو كنت بين أضلع منهما فغمزني أحدهما فقال يا عم هل تعرف أبا جهل قال قلت نعم وما حاجتك اليه يا ابن أخي قال أخبرت أنه يسبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الاعجل منا قال فتعجبت لذلك فغمزني الآخر فقال مثله فلم أنشب أن نظرت الى أبي جهل يجول في الناس وفي رواية أخرى يرفل في الناس (فقلت) ألا تريان هذا صاحبكما الذي تسألان عنه قال فابتدراه فضرباه بسيفهما حتى قتلاه ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه فقال أيكما قتله فقال كل واحد منهما أنا قتلته فقال هل مسحتما سيفيكما قالا لا فنظر في السيفين فقال كلاكما قتله وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء وفي مسلم أيضا عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع أبو جهل فانطلق ابن مسعود رضي الله عنه فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد قال فأخذ بلحيته فقال أنت أبو جهل فقال وهل فوق رجل قتلتموه قال أو قال قتله قومه زاد ابن اسحاق في السير قال عبد الله ابن مسعود فوجدته بآخر رمق فوضعت رجلي على عنقه قال وقد كان ضبث بي بمكة فآذاني ولكزني ثم قلت هل أخزاك الله يا عدوّ الله قال وما أخزاني الله أعمد من رجل قتلتموه أخبرني لمن الدابرة اليوم ويروى الدبرة قال قلت لله ولرسوله وقال ابن هشام وقال أعار على رجل قتلتموه أخبرني لمن الدبرة اليوم قال ثم احتززت رأسه ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا رأس عدوّ الله أبي جهل وذكر الحديث وفي آخره فألقيت رأسه بين يديه فحمد الله وفي هذا الحديث حتى برد أي مات وهو من الباب (ومعكوسه درب) وقد تقدم وأزيدك من خطابي ما ذكره الخطابي (قال أخبرني) أبو عمر عن ثعلب عن ابن الاعرابي قال سمعت أبا المكارم يقول كان منافق له في الحي علاقة وكان عفيف الخلوة فجاءها يوما وهي في بيتها فدخل يتحدث اليها فأسرع الخروج فقيل له مالك قال منعني البرد قال فدخلنا فاذا الجارية ميتة (ومن البرد) حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه

انه

أنه شرب النبيذ بعد ما برد عليه أي سكن قال وقد يكون النوم انما سمي بردا لهذا المعنى وذلك أنه يرخي المفاصل ويسكنها وزعم بعضهم أنه انما سمي بردا لانه يبرد حرارة العطش ويسكنها ذكر هذا في تفسير حديث النبي صلى الله عليه وسلم لما توجه نحو المدينة خرج بريدة الاسلمي في ركب من أهل بيته من بني سهم فتلقى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال له من أنت فقال بريدة قال فالتفت الى أبي بكر فقال يا أبا بكر برد أمرنا وصلح (وقال) قوله برد أمرنا فيه قولان أحدهما سهل أمرنا ومنه قولهم الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة ويقال عيش بارد أي ناعم سهل ومن هذا قولهم في الدعاء للميت اللهم برد عليه مضجعه والقول الآخر معناه ثبت أمرنا واستقام من قولهم برد لي على فلان حق أي ثبت ووجب قال وفيه وجه آخر أن يكون برد بمعنى ضعف وفتر وهو يريد به أمر قريش والخارجين في أثره من الطلب يقال جد فلان في الامر ثم برد أي فتر ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم من صلى البردين دخل الجنة فسره أيضا الخطابي قال الغداة والعشي قال وهما الابردان وأنشد * اذا الارطى توسد أبرديه * البيت وانما قيل أبردان لطيب الهواء وبرده في هذين الوقتين وقد جاء في حديث آخر حافظ على العصرين وفسره كذلك الغداة والعشي وجاء في الحديث اذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة فان شدة الحر من فيح جهنم ويقال أبردت بريدا اذا أرسلت رسولا ودار البريد مشهورة عند الامراء والبريد اثنا عشر ميلا وقد تقدم وتقول بردت الماء وبردته بالتثقيل والتخفيف لغتان قال ثابت وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحمى أنه أمرنا أن نبردها بالماء والرجل مبرد وبارد وأنشد

قد علمت أني مروي هامها * وبارد الغليل من أوامها

تقول العرب اسقني وأبرد أي اسقني باردا واسقني وابرد غليلي وأنشد

هذا بردت ببرد الماء ظاهره * فمن بحر على الاحشاء تتقد

وقد تقدم هذا البيت وما قبله وحكايته ومن قاله والحمد لله * اقنع أيها الولد بما ورد عليك في برد (وأزيدك فائدة أخرى) أيها الحر في البرد الذي هو ضد الحر وكلاهما من نفس جهنم أعاذنا الله منها خرج مسلم رضي الله عنه في باب الابراد بالصلاة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة فان شدة الحر من فيح جهنم وفي حديث آخر قالت النار رب أكل بعضي بعضا فأذن لي أتنفس

فأذن لها بنفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فما وجدتم من برد أو زمهرير فمن نفس جهنم وما وجدتم من حر وحرور فمن نفس جهنم وهذا الا يابق له الانسان بالا بل يتكلم فى شدتهما بما يكون عليه وبالا يروى أن رجلا رؤى فى النوم بعد موته فقيل له ما فعل الله بك قال أوقفنى بين يديه وقال كلاما فيه شدة ثم قال لى قد غفرت لك يا شيخ السوء على فضول كان فيك كنت تقول هذا يوم حار هذا يوم بارد أمد براغير الا له تريدون قال بعض العلماء ينبغى للانسان اذا رأى شدة البرد والحر أن يتذكر جهنم فيتعوذ بالله منها فتحصل له عبادة وربما يستجاب له لانه يروى أنه ما استعاذ أحد من جهنم الا قالت اللهم أعذه منى * تقدم فى الحديث فيح وهو وهج النار وتوقدها يقال فاحت النار فيحا وفاح الطيب فوحا وتقدم من هذا اللفظ دبار

أيام الاسبوع

اسم ليلة الاربعاء وللايام أسماء غير هذه المشهورة وهى عند العرب مذكورة وقد جمعها الشاعر

أؤمل ان أعيش وأن يومى * بأول أو بأهون أو جبار

أو التالى دبار فان أفته * فمؤنس أو عروبة أو شيار

فأول هو الاحد وأهون يوم الاثنين وامش على هذا السمت الى شيار وهو يوم السبت * ومن عروبة قول الحريرى فى احدى مقاماته يوم عروبة وقد كابدت الصعوبة (ومن لفظ دبر) جمع دبرة ما جاء فى الحديث أن أهل الجاهلية كانوا يرون العمرة فى صفر من أفجر الفجور فى الارض وكانوا يقولون اذا برا الدبر وعفا الاثر وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر (ومن الدبر) قول سفيان الثورى رحمه الله وقال له رجل مضى الناس فأصبحنا على حمير دبرة فقال ما أحسن حالها ان كانت على الطريق تخرجه ثابت وقال دبر ظهر الدابة من الدبر وأدبر الرجل اذا رث وبعير أدبر (قال) وسمعت رجلا من الاعراب ينشد لغزا

فما راكب أبصرته فوق مركب * يحث النار كضه وهو مدبر

اللاحق البطىء

وقول سفيان ما أحسن حالها ان كانت على الطريق يريد أن البطىء اذا كان على القصد يدرك باللاحق غاية الجواد المحقق وقال سلمان الفارسى رضى الله عنه القصد والدوام وأنت الجواد السابق وجاء فى الحديث ان المحقق لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى يقال حقحق فى السير وهقهق اذا سار سيرا متعبا وقالوا شر السير الحقحقة وفى رواية ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى وهو بمعناه ولى من هذا

المعنى من قطعة مطولة أنظرها بكمالها فى كراسة الزهد من التكميل

وأطع الهلك ما استطعت ولا تكن * فى السير منبتا ولكن فارفق
فالرفق زين والمعد لسيره * لا أرضه انقطعت ولا ظهر بقى
فاطلب لنفسك فوزها وانظر لها * نظر الشفيق وخف عليها واتق
من ليس يرحم نفسه ويصدها * عما سيهلكها فليس بمشفق

ذكر البدر

وقد تقدم ذكر البدر وفى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وليلة البدر هى ليلة أربعة عشر تسمى بذلك لامتلائه وتمامه ومنه قيل عين بدرة أى عظيمة (قال امرؤ القيس) *وعين لها حدرة بدرة* البيت وبدر اسم رجل احتفر بئر بدر فسميت به كما سميت خيبر باسم رجل من العماليق نزلها ووقع فى كتاب البخارى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر بقدر فيه خضرات وبقول وفى رواية ببدر مكان قدر وفسره فى الطرة فقال هو الطبق فان كان محفوظا سمى به لاستدارته وتمامه كما تقدم والله أعلم وكل شئ تم فهو بدر ولذلك قيل لعشرة آلاف بدرة لانها تمام العدد ومنتهاه قاله ابن قتيبة رحمه الله وقال غيره والبدر جلد السخلة اذا فطم ويحتمل أن يدبغ هذا الجلد فيصير كيسا فتجعل فيه هذه العدة من الدراهم فسميت الدراهم به على مذهب العرب فى تسميتهم الشئ باسم الشئ اذا كان بسببه أو مجاورا له كما سموا الغائط باسم الموضع المطمئن لقضاء ذلك فيه وكما سموا المطر سماء لنزوله منها الى غير ذلك *فائدة* زائدة تقدم كل شئ تم فهو بدر قلت وفى ضمن هذا الكلام موعظة ونذر وذلك أن كل شئ من النبات والحيوان وجميع الامور الموجودة الاعيان نعم حتى الانسان اذا انتهى وتم أخذ فى النقصان ألم تسمع قول الشاعر

كل شئ اذا تناهى تواهى * وانتقاص البدور عند التمام

وقال آخر اذا تم أمر بدا نقصه * فحاذر زوالا اذا قيل تم

وقال آخر كأن الفتى يرقى من العمر سلما * الى أن يجوز الاربعين فينحط

وفى كتاب الدلائل لثابت رحمه الله الشكوة مسك السخل اذا رضع فاذا فطم وفطامه أن يدع الرضاع فمسكه يقال له البدرة فاذا أجذع فجلده سقاء وجمع السقاء أسقية والسقاء للماء وهى القربة واذا بلى فهو الشن والشنة ومنه ثم قام الى شن معلق جمعها شنان وشنات ومنه قولهم ولا يقعقع لى بالشنان ومنه المثل وافق شن

شن وطبقة

طبقه وافقه فاعتنقه قيل فى تفسيره أقوال ذكرها الحريرى رحمه الله وذكر آخرها الرجل الذى ألزم نفسه أن لا يتزوج الا امرأة تلائمه وكان اسمه شنا فكان يجوب البلاد الى أن صحب فى طريقه الرجل الذى قال له شن أتحملنى أم أحملك فقال له يا جاهل وهل يحمل الراكب الراكب ولما استقبلتهما الجنازة قال شن أترى صاحبها حيا فقال له ما رأيت أجهل منك أتراهم حملوا الى القبر حيا ولما أتيا على الزرع قال شن أترى هذا الزرع قد أكل فجهله كذلك أيضا ثم لما انتهيا الى قرية الرجل جعل يحدث ابنته بذلك بتطرفهما به وكان اسمها طبقة فقالت له ما نطق الا بالصواب أما قوله أتحملنى أم أحملك فانه أراد قطع الطريق بالحديث وأما الجنازة فانه أراد هل ترك بعده عقبا يحيى ذكره به وأما الزرع فأراد هل استسلف أهله ثمنه أم لا فأخبر الرجل بذلك شنا فخطبها اليه فتزوجها فقيل وافق شن طبقه هذا معنى كلام الحريرى رحمه الله وشبيه بهذه القصة ما خرج ثابت رحمه الله ذكر بعض الناس ان امرأة يقال لها صدوق وكانت مفوهة قالت لا أتزوج الا من يرد على جوابى فجاءها خاطب فوقف ببابها فقالت من أنت قال بشر ولد صغيرا ونشأ كبيرا قالت أين منزلك قال على بساط واسع وبلد شاسع قريبه بعيد وبعيده قريب قالت ما اسمك قال من شاء أحدث اسما ولم يكن ذلك عليه حتما قالت كأنه لا حاجة لك قال لو لم تكن لى حاجة لم آتك لحاجة وأقف ببابك وأتصل بأسبابك قالت سر حاجتك أم جهر قال سر وستعلن قالت فأنت اذا خاطب قال هو ذاك قال فرضيته فتزوجها ساق هذا الخبر شاهدا على أن الحتم ايجاب الامر والقضاء يقال أمر واجب ومكتوب ومفروض ومحتوم ومنه قيل للقاضى حاتم فسر به حديث ابن مسعود رضى الله عنه انى لادع الاضحية وأنا من أيسركم كراهية أن يعلم الناس أنها حتم واجب واشترى ابن عباس رضى الله عنهما لحما بدرهم وقال اعلم من لقيت أنها أضحية ابن عباس (قال ثابت) وجمع الحتم حتوم قال وفى كراهية ثلاث لغات كراهة وكراهة وكراهين قال وقال أبو زيد سمعت اعرابيا من بنى تميم يقول أتيتك كراهين أن تغضب والعرب تسمى الغراب حاتما لانهم كانوا اذا رأوه حتموا بالفراق كما قال المرقش

ولقد غدوت وكنت لا * أغدو على واق وحاتم
فاذا الاشائم كالايا * من والايامن كالاشائم

وكذلك

وكذاك لاخير ولا * شر على أحد بدائم
قدخط ذلك فى الزبو * ر الاوليات القدائم

وكانوا يكتبون الحكم فى الحجارة وقيل سمى الغراب حاتما لسواده والحاتم الخالص السواد والواقى الصرد على مثال القاضى وقيل هو الواق بكسر القاف من غير ياء وانما سمى بذلك لحكاية صوته (قلت) وهذا القول من هذا الشاعر قول مؤمن بالقدر مكذب بالطير لقوله عليه السلام لا طيرة وكانوا فى الجاهلية يتطيرون بالبارح والسارح وبما طار لهم من جهة اليمين الى الشمال ومن الشمال الى اليمين فهدم ذلك الاسلام ونهى عنه عليه السلام فقال أقروا الطير على مكناتها ويروى مكناتها بضم الكاف أى على أمكنتها ويروى وكناتها أى على مواضعها فلا تزجروها ولا تلتفتوا اليها فانها لا تضر ولا تنفع وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن هذا من أمر الجاهلية وأن المسلم ربما وقع فى نفسه من هذا شئ فعلم كيف المخرج منه فقال صلى الله عليه وسلم واذا تطيرت فامض أى لا تلتفت الى الذى وقع فى نفسك فاذا فعل هذا الانسان فقد تحقق بالايمان وسلم من الشيطان وقد جاء فى القرآن العزيز ذكر التطير فى مواضع انا تطيرنا بكم قالوا طائركم معكم قال بعض أهل اللغة الطير الاسم من التطير ومنه قولهم لا طير الا طير الله كما يقال لا أمر الا أمر الله وأنشد الاصمعى قال أنشدنا الاحمر

ستعلم أنه لا طير الا * على متطير وهو الثبور
بلى شئ يوافق بعض شئ * أحايينا وباطله كثير

وقال ابن السكيت يقال طائر الله لا طائرك ولا يقال طير الله ويروى عن ابن جبير أنه قال سأل كعب الاحبار عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له هل تتطير قال نعم قال فكيف تقول اذا تطيرت قال أقول اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا رب غيرك ولا قوة الا بك فقال كعب أنت أفقه العرب وانها لكذا فى التوراة (قلت) انا لله وانا اليه راجعون قد ترك ما يعلم وأكثر ما تأتى الطوام من قبل العوام وممن لا علم عنده يمر الطائر اليوم على الدار فيقول الرجل خير بالطير وتزيد المرأة على ذلك أشياء من الكلام الخلف فهلا قالوا خير يا الله وأى خير أو شر عند الطائر لكن أين العالم وأين الموفق وكثيرا ما أقول فى مثل هذا * ياصاحبى ياصاحبى * ليس الفلاح بسائب * والنحى والحمت للسمن والعسل وجمعها حمت وأنحاء

النهى عن الطيرة

ومنه المثل أشغل من ذات النحيين وذات النحيين امرأة من بنى تيم الله بن ثعلبة اسمها خولة كانت تبيع السمن فى الجاهلية وحديثها مشهور وكان صاحبها خوات ابن جبير رضى الله عنه ومن شعره فى ذلك * فشدت على النحيين كفا شحيحة * البيت وهذه الاخبار التى كانت فى الجاهلية قد جبها الاسلام فلا معنى لذكرها لولا فائدة فى الاشارة اليها وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله عنها وتبسم فقال يارسول الله قد رزق الله خيرا وأعوذ بالله من الحور بعد الكور وسيأتى تفسير هذه اللفظة ان شاء الله ويروى أيضا أنه قال له مافعل بعيرك الشارد قال قيده الاسلام يارسول الله وكان عليه السلام قد مر بخوات هذا وهو جالس الى نسوة أعجبه حسنهن وذلك فى الجاهلية أيضا فسألهن أن يفتلن له قيدا لبعير زعم أنه شارد فأعرض عنه وعنهن صلى الله عليه وسلم فلما أسلم سأله عن ذلك وتبسم صلى الله عليه وسلم واذ وقع ذكر خوات هنا فأذكر لك من فضله ما أمكن يكنى أبا عبد الله وقيل أبا صالح وكان أحد فرسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بدريا وقال عليه السلام لن يلج النار أحد شهد بدرا والحديبية وقيل لم يشهد بدرا خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم الى بدر فلما بلغ الصفراء أصاب ساقه حجر فرجع الى المدينة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب له بسهمه وكان شاعرا كما تقدم وخرج مرة للحج مع عمر بن الخطاب وأبى عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف فقال له القوم غننا من شعر ضرار فقال عمر دعوا أبا عبد الله فليغن من نبات فؤاده يعنى من شعره قال فمازلت أغنيهم حتى كان السحر فقال عمر ارفع لسانك ياخوات فقد أسحرنا ويشبه قول خوات للنبى عليه السلام قيده الاسلام يارسول الله قوله عليه الصلاة والسلام الاسلام قيد الفتك وقريب من قصة خوات قصة أبى سهم واسمه يزيد بن أبى شيبة رضى الله عنهما قال مرت بى امرأة فى بعض أزقة المدينة فأخذت بكشحها وجبذت خاصرتها فأصبح الرسول عليه السلام يبايع الناس فأتيته فمددت يدى لأبايعه فقبض يده عنى وقال لى ألست صاحب الجبذة بالامس فقلت يارسول الله بايعنى فوالله لا أعود أبدا بعدها فبايعنى صلى الله عليه وسلم (والوطب) للبن وجمعه وطاب ومنه * ولو أدركته صفر الوطاب * والذارع للخمر وجمعه ذراوع قال ابن قتيبة واسم الزق يجمع ذلك كله والاهاب الجلد غير المدبوغ ومنه الحديث اذا دبغ الاهاب فقد طهر وفى لفظ آخر أيما اهاب دبغ فقد طهر قال بعض العلماء

خوات بن جبير

الاهاب كل جلد أو كل لحم وقال النضر بن شميل يقال فيه اهاب وان لم يؤكل لحمه واحتج بقول عائشة رضي الله عنها في أبي بكر رضي الله عنه أقر الرؤس على كواهلها وحقن الدماء في اهابها ويقال له أيضا مسك وفي حديث آخر خرجه الدارقطني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بأس بمسك الميتة اذا دبغ وفي كتاب أبي داود قال النضر بن شميل انما سمي الاهاب مالم يدبغ فاذا دبغ يقال له شن أوقربة انتهى كلامه ويجمع على أهب مثل أدم وأفق وعمد على غير قياس جمع أديم وأفيق وعمود والجمع أيضا أهب بالضم وهو القياس مثل كتاب وكتب وجاء أهب بالضم في الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال دخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمل حصير قد أثر في جنبه وذكر الحديث وفيه فجلست فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت شيئا يرد البصر الا أهبا ثلاثة فقلت ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك فقد وسع الله على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال أفي شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم قد عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله ووقع في هذا الحديث ذكر البيت والسرير أما بيوته عليه الصلاة والسلام فكانت تسعة بعضها من جريد مطين بالطين وسقفها جريد وبعضها من حجارة مرضومة بعضها على بعض مسقفة كذلك بالجريد وقال الحسن بن علي كنت أدخل بيوت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غلام مراهق فأنال السقف بيدي وكانت حجره عليه السلام أكسية من شعر مربوطة من خشب عرعر وكان سرير عائشة الذي ينام عليه النبي صلى الله عليه وسلم من خشبتي ساج منسوج بالليف وعليه حمل أبو بكر الصديق رضي الله عنه الى قبره حيث دفن في بيت عائشة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيع ذلك السرير في ميراثها في زمن بني أمية فاشتراه رجل من موالي معاوية بأربعة آلاف درهم فجعله للناس قاله ابن قتيبة ولما توفي أزواجه رضوان الله عليهن وسلامه عليه خلطت البيوت والحجر بالمسجد وذلك في زمن عبد الملك بن مروان فلما ورد كتابه بذلك ضج أهل المدينة بالبكاء كيوم وفاته عليه السلام وفي تاريخ البخاري أن بابه عليه السلام كان يقرع بالاظافر أي لا حلق له (والميتة) الجلد في الدباغ ومنه الحديث واذا هي تمعس ميتة اهابا والافيق قال صاحب العين* الاديم والجمع أفق وفي الحديث من هذا عن عمر بن الخطاب أيضا

فى رواية من الحديث الاول فنظرت ببصرى فى خزانة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ومثلها قرظ فى ناحية الغرفة واذا أفيق معلق قال فابتدرت عيناى قال ما يبكيك يا ابن الخطاب قلت يا نبى الله ومالى لا أبكى هذا الحصير قد أثر فى جنبك وذكر الحديث (وأفيق) أيضا اسم موضع جاء منه فى الحديث فى شأن الدجال ثم يسير حتى يأتى الشام فيهلكه الله عند عقبة أفيق

(فصل) وتقدم درب وأنه باب السكة الواسعة والمدخل الى بلاد الروم ومنه قول امرئ القيس * بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه * البيت وفى الدلائل قال الاصمعى أنشدنا شعبة بن الحجاج

تذكرت ليلى ودها وصفاءها * فأحببها لو أستطيع لقاءها
ضربت ابن عبد الله ضربة ثائر * لها سبب لولا الشعاع أضاءها
ملكت بها كفى فأنهرت فتقها * ترى قائما من دونها ما وراءها

(قال) ثم كشر شعبة وقال ليس هذه طعنة انما هى سبب فى جنبه درب قال الاصمعى هذا من الافراط لو كان هذا ر زية مازاد قال ومثله قول النابغة

تقد السلوقى المضاعف نسجه * ويوقد بالصفاح نار الحباحب

يصف السيف أنه يقطع الدرع ولابسه و ينتهى الى الارض و يصادف الحجر فيطير منه الشرار وتقدم ذكر (درب) وجاء منه فى الحديث الذى أرويه عن الحافظ رحمه الله بالسند المتصل الى حذيفة رضى الله عنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان فى لسانى ذربا على أهلى وقد خشيت أن يدخلنى النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين أنت من الاستغفار انى لاستغفر الله عز وجل فى كل يوم مائة مرة ومن الذرب قول الاعشى المازنى واسمه عبد الله ابن الاعور وشكى امرأته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

يا مالك الناس وديان العرب * انى لقيت ذربة من الذرب
كالذئبة الغبساء فى ظل السرب * خرجت أبغيها الطعام فى رجب

فخلفتنى بنزاع وحرب * أخلفت الوعد ولطت بالذنب * وهن شر غالب لمن غلب و يروى أنه أنشده يا مالك الملك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مه ذلك الله و يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما أنشد قوله وهن لمن غلب شر غالب فيقول من حضر أشهد أنك رسول الله لقوله تعالى وما علمناه الشعر

وما ينبغي له (وتقدم ذكر دثر) والدثار ما يكون فوق الشعار ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار والشعار من الثياب ما يلصق بجلد الانسان والدثار ما يكون فوقه يريد والله أعلم ان الانصار ألصق بي وامس من غيرهم وهذا امثل والله أعلم ومن الشعار قول النبي صلى الله عليه وسلم اذ ألقى حقوه الى النسوة اللاتي كن يغسلن ابنته وقال أشعرنها اياه يريد اجعلنه مما يلي الجسد لتنالها بركته صلى الله عليه وسلم والحقو الازار ويقال القوم أهل دثر أي كثرة مال ومن الدثار قول النبي صلى عليه وسلم اذ بخأه الوحي وارتاع لذلك دثروني دثروني وفي ذلك أنزل الله تعالى يا أيها المدثر ومثله يا أيها المزمل أصله المتدثر والمتزمل ونظر هذا الى قوله عليه الصلاة والسلام أنا النذير العريان كأنه يقول كره لي أن أتدثر وأمرت بالانذار فها أنا قد تجردت لذلك فأنا النذير العريان والله أعلم بما أراد من ذلك وقد فسر النذير العريان بغير هذا قيل هو الذي جرده العدو فأقبل عريانا ينذر به فهو أدل شئ على صحة قوله وقيل هو الذي يجرد ثوبه ويشير به مع صياحه وانذاره بالعدو والله أعلم وتقدم أيضا ثرد من الثريد قال الشاعر

عمرو والذى هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

وعمرو وهذا هو هاشم بن عبد مناف والد عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم وانما سمي هاشما لهشمه الثريد كما ذكر الشاعر ومعنى مسنتين مجدبين أصابتهم السنة وهو القحط وعجاف معناه ضعفاء مهزولون وجاء ذكر الثريد في الحديث حين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ثم قال وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام قال بعض العلماء انما يريد بذلك أنها تزيد على سائرهن بالعلم والفضل وهو الزيادة والربيع والثريد في الربيع الثالث وذلك انك تأخذ مدا من طعام فتطحنه فيصير أكثر من مد اذا كلته ثم تعجنه فيزيد ربعا ثانيا ثم تثرده فيزيد ربعا ثالثا وينتهي فبذلك أراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله كفضل الثريد والله ورسوله أعلم وكذلك عائشة رضي الله عنها كانت أعلم أزواجه عليه السلام بسيره وأخباره وجاء عنها حديث كثير وعلم كبير روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألفين ومائتي حديث وعشرة أحاديث رضي الله عنها وكان مسروق رضي الله عنه اذا حدث عنها يقول حدثتني الصادقة ابنة الصديق البريئة المبرأة بكذا وكذا وقال هشام بن عروة عن أبيه ما رأيت أحدا أعلم بفقه

فضل عائشة

ولا بطب ولا بشعر من عائشة ما كان ينزل بها شئ الا أنشدت فيه شعرا حتى يروى أنها دخلت على أبيها أبي بكر رضي الله عنه وهو في الموت فأنشدت

واذا المنية انشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

فقال لها رضي الله عنه يا بنية لا تقولي هذا ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد وقال الزهري لو جمع علم عائشة الى علم جميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وجميع النساء لكان علم عائشة أفضل وكانت رضي الله عنها يقال فيها رحلة الرأي وكانت تكنى أم عبد الله فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قالت له كل صواحبي لهن كنى غيري تكني بابن أختك عبد الله ابن الزبير و يروى بابنك لانها كانت قد استوهبته من أبويه وكان في حجرها وعدها أمًّا يروى عنها رضي الله عنها أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت أغزل قالت فنظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتوقد نورا قالت فبهت فنظر الي وقال مالك فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتوقد نورا فلو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره قال وما يقول يا عائشة أبو كبير الهذلي قالت يقول

ومبرأ من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء مغيل

واذا نظرت الى أسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

قالت فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان في يده وقام الي فقبل ما بين عيني وقال جزاك الله يا عائشة خيرا ما سررت مني كسروري منك وقال عروة لعائشة وا أختاه لا أعجب من فقهك أقول زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنة أبي بكر ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس أقول ابنة أبي بكر كان أعلم الناس ولكن أعجب من علمك بالطب كيف هو ومن أين هو وما هو قال فضربت على منكبي وقالت أي عروة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسقم في آخر عمره فكانت تقدم عليه الوفود من كل وجه فتنعت له وكنت أعالجه فمن ثم وروى هشام بن عروة عن أبيه قال ما رأيت أحدا من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة رضي الله عنها * رجع الكلام الى الثريد يا أيها الرجل المريد وقع ذكر الثريد في جامع معمر بزيادة فائدة عن قتادة وأبان يرفعه فقال فيه كفضل الثريد باللحم ذكره الاستاذ

رحمه الله وقال وجه التفضيل من هذا الحديث أنه قال فى حديث آخر سيد أدم الدنيا والآخرة اللحم مع أن الثريد اذا أطلق لفظه فهو ثريد اللحم أنشد سيبويه

اذا ما الخبز تأدمه بلحم * فذاك أمانة الله الثريد

ومن الثريد المتقدم الذكر ماذكره ثابت فى حديث شريح القاضى رحمه الله ذهب رجل الى منزله برجل فأطعمه ثريدا وتمرا وزبدا ثم راح به الى شريح فقال اشهد لى فتقدم الرجل فقال له شريح بم تشهد فقال

شهدت بأن التمر والزبد طيب * وان الثريد الانبجانى صالح

فقال شريح وأنا أشهد فلم يزل يرددها عليه حتى فطن شريح فقال اطلبوا الرجل فطلب فلم يوجد وفسر ثابت الانبجانى الذى قد روى من الودك وقيل هو العجين الحامض قال ولم يأت فى الكلام على انفعلان الا انبجان وأرونان ووقع فى الحديث من هذا اللفظ ان النبى صلى الله عليه وسلم أخذ من أبى جهم انبجانية له رواه الزهرى انبجانيه بالتذكير والانبجانى كساء صوف غليظ لا علم فيه يقال كساء انبجانى فعلى هذا لا يؤنث الا أن يكون أراد خميصة وقال ابن قتيبة انما هو كساء منبجانى بفتح الباء قال ولا يقال منبجانى لانه منسوب الى منبج وفتحت باؤه فى النسب لانه خرج مخرج منظرانى ومخبرانى وقال ثعلب الانبجانى بفتح الباء وكسرها كل ما كثف والتف قالوا شاة انبجانية أى كثيرة الصوف وقال غير ابن قتيبة جائز أن يقال انبجانى كما جاء فى الحديث لانه رواية عرب فصحاء ومن النسب مالا يجرى على قياس وانما هو مسموع هذا لو صح أنه منسوب الى منبج (قلت) وقول الشاهد لشريح شهدت بأن التمر والزبد طيب هو من التعريض الممدوح القائم عند اللقن الفطن مقام التصريح ومنه فى الكلام كثير وكذلك فى الشعر فمن ذلك ما قاله بعض العرب لقوم منهم قتل أبوهم فلم يطلبوا دمه ورضوا بأخذ الدية فقال يعيرهم بذلك وكانوا أخذوا ديته تمرا

ألا أبلغ أبا وهب رسولا * بأن التمر حلو فى الشتاء

وقيل لآخر فى مثل ذلك وكان أخذ فى دية أبيه ابلا

اذا صب ما فى الوطب فاعلم بأنه * دم الشيخ فاشرب من دم الشيخ أودع

يقول ان الذى تشربه من ألبان الابل التى أخذتها فى الدية انما هو دم أبيك وقال آخر فى ضد هذا وانه لم يرض بأخذ الدية

لا يشربون دماءهم بأكفهم * ان الدماء الغاليات تكال

يقول لسنا من القوم الذين يقبلون الدية فيشربون ألبان الابل فاذا شربوها فكانهم شربوا دماء أوليائهم والدماء الغاليات تكال أى يسفك بها أمثالها وقال آخر فى مثل ذلك

وطل يضوز التمر والتمر نافع * بورد كلون الارجوان سبائبه

يقول أخذ التمر فى الدية بدلا عن الدم الذى لونه كالارجوان يقال ضاز التمرة يضوزها ضوزا اذا لاكها فى فيه ويقال أيضا ضازه يضيزه حقه اذا بخسه وضاز جار فى الحكم ومنه قوله تعالى تلك اذا قسمة ضيزى أى جائرة وهى فعلى مثل طوبى وحبلى وانما كسروا الضاد لانه ليس فى الكلام فعلى صفة وانما هو من بناء الاسماء كالشعرى والدفلى قال الفراء وبعض العرب يقول ضأزى وضؤزى وحكى أبو حاتم أنه سمع العرب تهمز ضيزى وسيأتى الكلام على طوبى فى باب اللام ان شاء الله واختم لك هذا البويب بخبر أبى ذؤيب الشاعر تقدم فى هذا الشعر البيت الذى قال فيه الاصمعى أبرع بيت قالته العرب بيت أبى ذؤيب

والنفس راغبة اذا رغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع

وهذا البيت ذكره ابن السنى فى كتاب القناعة وقرأته على الحافظ السلفى رحمه الله وفى هذا الشعر حكم وفوائد وأوله

أمن المنون وريبها تتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع
قالت أمامة ما لجسمك شاحبا * منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
أوما لجنبك لا يلائم مضجعا * الا أقض عليك ذاك المضجع
فأجبتها أن ما لجسمى أنه * أودى بنى من البلاد فودعوا
أودى بنى فودعونى حسرة * بعد الرقاد وعبرة ما تقلع
فالعين بعدهم كان حداقها * سملت بشوك فهى عبرى تدمع
سبقوا هواى وأعنقوا لهواهم * فتخرموا ولكل جنب مصرع
واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

فى أبيات كثيرة يرثى بها بنيه وكانوا خمسة أصيبوا فى عام واحد وكان مسلما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يره كان يحدث قال بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل فاستشعرت حزنا وبت بأطول ليلة لا ينجاب ديجورها ولا يطلع نورها فظللت أقاسى طولها حتى اذا كان قرب السحر أغفيت فهتف بى هاتف وهو

يقول

يقول خطب أجل أناخ بالاسلام * بين النخيل ومعقد الآطام
قبض النبي محمد فعيوننا * تذرى الدموع عليه بالتسجام

قال أبوذؤيب فوثبت من نومى فزعا فنظرت الى السماء فلم أر الا سعد الذابح فتفاءلت به ذبحا يقع فى العرب وعلمت ان النبى صلى الله عليه وسلم قد قبض أوهو ميت من علته فركبت ناقتى وسرت حتى قدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج اذا أهلوا بالاحرام (فقلت مه) قالوا اقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت الى المسجد فوجدته خاليا فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدت بابه مرتجا وقد خلا به أهله فقلت أين الناس فقيل بسقيفة بنى ساعدة فأويت الى قريش وتكلمت الانصار فأطالوا الخطاب وأكثروا الصواب فتكلم أبو بكر فلله دره من رجل لا يطيل الكلام * ويعلم مواضع فصل الخصام * والله لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامع الا انقاد له ومال اليه ثم تكلم عمر بعده بدون كلامه ومد يده فبايعه وبايعوه ورجع أبو بكر ورجعت معه ورثى النبى صلى الله عليه وسلم فى أبيات حسان نفعه الله ثم انصرف الى باديته فأقام بها حتى خرج غازيا الى أرض الروم فمات بها مجاهدا وقال عند موته رضى الله عنه

أباعبيد رفع الكتاب * واقترب الموعد والحساب

فى أبيات له رحمه الله تعالى (قلت هذا) ما أمكننى كتبه أيها السيد العمر من باب زيد أطال الله لك العمر (فلنأخذ) فى باب عمرو * تكلم العلماء فى الحاق الواو به دون عمر وجعلوا العلة فيه الفرق وخصوه بالزيادة لخفته قالوا وفيه زيادة لاشك ولى فى هذا المعنى وقد حصرت الباء والراء فى شعر أوله

حكمة زيادة واو عمرو

لى خليل ألزمت نفسى هواه * كالتزامى للكسر فى راء جير
وأنا مثل واو عمرو لديه * زائدا أو كمثل ياء زهير
أوكأن بعد ماوان تعدلا * مقبلى عنده سواء وسيرى
عجبا لى أنا به مستهام * وهو لاه عنى ولوع بغيرى
أنا راض منه اذا قال يوما * كيف أصبحت أن يقول بخير

فى أبيات كثيرة أنظرها فى التكميل رجع الكلام الى عمرو تقدم انه بغير واو واحد عمور الاسنان وفسر وجاء منه فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم فى شأن السواك مازال جبريل يوصينى به حتى خشيت على عمورى (وفى حديث آخر) لقد

أمرت بالسواك حتى خشيت أن يدردنى (الدرد) أن تسقط أصول الاسنان وبه سمى الرجل أدرد وفى الصحابة أبو الدرداء وأم الدرداء رضى الله عنهما وسيأتى بعد هذا منه طرف فيه طرف فى باب الواو ومن هذا الكتاب ان شاء الله (والسواك) مرغب فيه وحسبك ان الرسول عليه السلام قال لولا ان أشق على أمتى لامرتهم بالسواك عند كل وضوء وروى البزار فى حديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فضل الصلاة بالسواك على الصلاة بغير سواك سبعين ضعفا وجاء ان فى السواك عشر خصال مطهرة للفم ومرضاة للرب ومسخطة للشيطان ومكسبة للحفظ و يشد اللثة ويطيب النكهة فى الفم ويقطع البلغم ويصفى المرة ويجلو البصر ويوافق السنة خرجه البزار من طريق عائشة رضى الله عنها وخرج أيضا من طريق على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا تسوك ثم قام يصلى قام الملك خلفه فيسمع لقراءته فيدنو منه أو كلمة نحوها حتى يضع فاه على فيه فما يخرج من فيه شئ الا صار فى جوف الملك فطهروا أفواهكم للقرآن وقال فى آخر الحديث وقد روى موقوفا على على رضى الله عنه وفى الشهاب السواك يزيد الرجل فصاحة وفسره وحشى فقال يريد أن من استاك لم يكن فى أسنانه قلح فهو يتكلم بما عنده ولا يضم شفتيه كما يصنع من بأسنانه القلح والله أعلم والسواك بكل عود له رائحة طيبة مما يشوص الفم وأعلاها الاراك * وقد تقدم أن ابن أبى ليلى كان يستاك بالعسيب دلنى بعض أشياخى رحمه الله على هذا العود الاخضر من شجر السرو وقال انه يطيب الفم ويشد اللثة وقال يستاك بكل عود ما خلا القصب والريحان والرمان والحلفاء (قال) ومواطنه أربعة عند الفراغ من الوضوء وعند الفراغ من الطعام وعند القيام من النوم وعند القيام الى الصلاة وهو مستحب لا فرض وليس بالطول لكن بالعرض (جاء فى الحديث) اذا استكتم فاستاكوا عرضا ولاء وجاء فى الحديث عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يرقد من ليل ولا نهار فيستيقظ الا تسوك قبل أن يتوضأ وفى القرآن العزيز من هذه اللفظة لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون (قال المهدوى) العمر والعمر واحد الا انه لا يستعمل فى القسم الا بالفتح ومعناه مدة بقائه حيا فاذا قيل لاحد من المخلوقين لعمرك فانما معناه مدة بقائه حيا وكره كثير من العلماء ان يقول الانسان لعمرى لان معناه وحياتى وكذلك قال ابن عباس معنى لعمرك وحياتك وهذا من فضائل النبى مبحث لعمرك

عليه السلام التي اختص بها فأقسم الباري جل وعز بحياته انتهى كلامه (ومن كتاب عياض) رحمه الله تعالى قال ابن عباس ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره قال أبو الجوزاء ما أقسم الله بحياة أحد غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه أكرم البرية عنده وقيل معنى لعمرك أصله ضم العين ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال وهو بمعنى وبقائك يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك (تقدم) في هذا الفصل وكره كثير من العلماء أن يقول الانسان لعمري وكذلك هو وممن كرهه مالك امامنا رحمه الله تعالى ولكن مع ذلك فان الناس لا يتركون استعمالها في كتبهم ولم أر فيها رخصة أكثر من قول ابن عباس رضي الله عنه في جواب ابن الازرق قال له وكتبت الي تسألني متى ينقضي يتم اليتيم فلعمري ان الرجل لتنبت لحيته وانه لضعيف الاخذ لنفسه ضعيف العطاء منها فاذا أخذ لنفسه من صالح ما يأخذ الناس فقد ذهب عنه اليتم فقال في هذا الخبر فلعمري (وهذا) كما تراه وتركها أحوط كما تقدم لي

وقد يلام الفتى في الشئ يأخذه * وليس يلحقه لوم اذا تركه

معنى الدرد والاشر

(وتقدم ذكر الدرد) ودونك منه هنا نتف فاقنع بها واكتف * قال ثابت في تفسير الدرد يقال للصبي قبل أن تنبت اسنانه وهو يمضغ على دردره ويقال للشيخ ما بقي الادردره وهي مغارز الاسنان وفي مثل أعييتني بأشر فكيف بدردر وذلك ان عجوزا كانت سقطت اسنانها فجعلت تغازل زوجها فقال أعييتني باشر أي وأنت شابة واسنانك مؤشرة للحداثة فكيف وقد سقطت اسنانك كلها انتهى كلامه والاشر تحديد في أطراف الاسنان ولا يكون ذلك الا في زمن الحداثة ومنه المئشار الذي يؤشر به العود قال الشاعر بدلته الشمس من منبته * بردا أبيض مصقول الاشر ومعنى بدلته الشمس ان أهل الجاهلية كان الحدث منهم اذا قلع ضرسه رمى به الى الشمس وقال يا شمس أعطيتك سنا من عظم فأعطيني سنا من فضة (قلت) وقد بقي هذا المعنى عند الناس من الجهال الى اليوم تقول أم الصبي لولدها اذا قلع سنه ارم به على السقف وقل يا فار يا فار خذ بالبا وأعطني جديدا فهلا قالت يا الله ويقال ان قائل أعييتني بأشر فكيف بدردر هو زوج دغنه التي يضرب بها المثل في الحمق فيقال أحمق من دغنه رأت زوجها يقبل ابنة له منها ويقول بأبي دردرك فذهبت ودقت اسنانها بفهر ثم جاءت وقالت له كيف ترى دردري فقال لها أعييتني بأشر فكيف بدردر أي

انما كان أحسن شئ فيك اسنانك وكنت مع ذلك غير حظية عندي فكيف اذا فسد أحسن شئ فيك ويقال انما قالها حين سقطت أسنانها من الكبر كما تقدم (وتقدم العرم) وانه اسم لكذا وكذا وقال البخاري رحمه الله العرم ماء أحمر حفر في الارض حتى ارتفعت عنه الجنتان فلم يسقهما فيبستا وليس الماء الاحمر من السد ولكنه كان عذابا أرسل اليهم انتهى كلام البخاري رحمه الله (قال المسعودي) كان هذا السد من بناء سبأ بن يشجب وكان ساق اليه سبعين واديا ومات قبل أن يستتمه فأتمته ملوك حمير بعده وقال المسعودي أيضا ويقال بناه لقمان بن عاد وجعله فرسخا في فرسخ وجعل له ثلاثين شعبا * (فصل) * وتقدم من مقلوب عمر مرع يقال أمرع القوم اذا أصابوا الكلأ (واذكر) هنا حكاية فيها لفظ أمرع من كلام الخطيب أبي محمد أغرب فيه وأبدع كنت أقرأ عليه زمن الحداثة فذكر له اني أزن الشعر فاخبرني بكلام هذا نصه

سيل العرم

أدام الله عزك ان بني * وبينك ما شددت عليه من بعد بينك راحتي وبحق ذاكم * علينا فاعلموا من ودّ أمرع * نباته واخضر والحمد لله وقال لي أخرج من هذا الكلام بيتين تامين فقلت له هذا الشعر من الوافر وآخر البيت الاول حرف العين من بعد وأول الآخر حرف الدال من بعد وآخره أمرع فقال أحسنت وصنع غير ذلك فأخرجت بعضه حتى فتح الله ونقل الى حالة أخرى حسنة والحمد لله وهذه الحكاية وغيرها في التكميل (وتقدم ذكر الغمر) وانه الماء الكثير وفي الحديث منه انما مثل الصلاة كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقى من درنه * تكلم بعض العلماء على هذا الحديث فقال الماء العذب يزيل الدرن وينقي أكثر من غيره من المياه وقوله بباب احدكم اشارة الى ان الصلاة تكون خارج المنزل في المساجد لقوله بباب أحدكم ولم يقل في منزل أحدكم وفيه ان الصلوات يمحو الله بها الخطايا كما جاء في موضع آخر وانتظار الصلاة بعد الصلاة الحديث (وتقدم) ذكر الغمر بفتح الغين والميم وقد جاء في الحديث منه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان حساس لحاس فاحذروه على أنفسكم من بات وفي يده ريح غمر فلا يلومن الا نفسه وذكر ثابت في الدلائل عن عائشة رضي الله عنها ان امرأة أتت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقرب اليه لحم فجعل يناولها فقالت له عائشة يا رسول الله

لا تغمر بدك فقال يا عائشة ان هذه كانت تأتينا زمن خديجة وان حسن العهد من الايمان ومثل هذا الحديث ان حسن العهد من الايمان حديث حسانة المزنية وكان اسمها جثامة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أنت حسانة قالت عائشة رضى الله عنها جاءت عجوز الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لها من أنت قالت أنا جثامة المزنية فقال بل أنت حسانة المزنية كيف حالكم كيف كنتم بعدنا قالت بخير بأبى أنت وأمى يا رسول الله فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الاقبال قال انها كانت تأتينا أيام خديجة رضى الله عنها وان حسن العهد من الايمان (وروى) أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أهديت اليه هدية قال اذهبوا ببعضها الى فلانة فانها كانت صديقة لخديجة أوانها كانت تحب خديجة وقول عائشة فى الحديث الاول لا تغمر يدك فهو من غمر اللحم وهو السهك وقال قال ابن الزبير كل ما كان من ذات كرش فهو غمر وكل ما كان من ذات عفج فهو زهم وكل ما كان من الارض فهو دسم ومن الحديد والصفر فهو الصمر وذكر الخطابى رحمه الله هذا الباب فأشبع القول فيه قال فى شرح حديث النبى صلى الله عليه وسلم فى الاستسقاء فلما رأى لثق الثياب على الناس ضحك حتى بدت نواجذه اللثق الوحل ثم قال تقول العرب يدى من الوحل لثقة ومن اللحم غمرة ومن السمك وضرة ومن اللبن والزبد شترة ومن العجين ورخة ومن الدم سلطة ومن الثريد ثردة ومن الحمأة ذوطة ومن الاشنان فضضة بالضاد ومن المداد وحرة ومن الماء بللة ومن البزر والنفط نمسة ونسمة ومن الزعفران ردعة ومن العطر عبقة وقال ابن قتيبة يدى من السمك سهكة ومن الحديد كذلك ويدى من اللحم غمرة وزهمة ومن الزبد واللبن وضرة وأنشد

* أبارىق لم يعلق بها وضر الزبد * وهذا الشعر لابى الهندى وأوله

ستغنى أبا الهندى من وطب سالم * أبارىق لم يعلق بها وضر الزبد
مفدمة قزا كأن رقابها * رقاب بنات الماء تفزع للرعد

وهذا من حسن التشبيه كان أبو الهندى هذا مولعا بالشراب ثم انه أقلع عن ذلك وتاب وقال

تركت الخمور لشرابها * وأقبلت أشرب ماء قراحا
وقد كنت حينا بها معجبا * كحب الغلام الفتاة الرداحا
فلم يبق فى الصدر من حبها * خلال اذا ذكرت قلت آحا

فى أبيات له رحمه الله (وتقدّم) الغامر الذى يرمى بنفسه فى الغمرة وجاء من هذه اللفظة فى الحديث عن البخارى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل أبو بكر رضى الله عنه آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما صاحبكم فقد غامر فسلم وقال انى كان بينى وبين ابن الخطاب شئ ثم ندمت فأسرعت اليه فسألته أن يغفر لى فأبى علىّ فأقبلت اليه فقال يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثا ثم ان عمر ندم فأتى منزل أبى بكر فقال أثم أبو بكر قالوا لا فأتى الى النبى صلى الله عليه وسلم فسلم فجعل وجه النبى يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه وقال يا رسول الله أنا كنت أظلم مرتين فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله بعثنى اليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وواسانى بنفسه فهل أنتم تاركون لى صاحبى مرتين فما أوذى بعدها (قلت) انظر فعل أبى بكر رضى الله عنه حين أتى النبى صلى الله عليه وسلم استعمل قول الله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول الآية فكان ذلك كذلك (وتقدّم ذكر الغمر) بضم الغين فى الحديث منه قول النبى صلى الله عليه وسلم أطلقوا الى غمرى ويروى هلموا غمرى وهو القدح الصغير كما تقدّم وقال الشاعر

تكفيه حزة فلذات ألم بها * من الشواء ويروى شربه الغمر

أخذ من التغمير وهو الشرب دون الرى وكذلك التغمر أقل الشرب وقال ابن الاعرابى أوّل الاقداح الغمر وهو الذى لا يبلغ الرى (ثم القعب) وهو قدر ما يروى الرجل ثم القدح وهو يروى الاثنين والثلاثة ثم العس فعب فيه العروة ثم الرفد أكبر منه ثم الصحن أكبر منهما قال الشاعر * ألا هبى بصحنك فاصبحينا * والعلبة كالقدح الضخم يحلب فيها قال الشاعر * ولم تسق دعد فى العلب * (ثم) أكبر منها الجفنة تعمل من جلد البعير ثم الحوبا ة دلو واسعة ضخمة قال أبو زيد كل اناء يدعى مهدى مثل الجفنة والقصعة والقدح * والفرق اناء يسع ثلاثة آصع والصاع أربعة أمداد والمد رطل وثلث بالبغدادى والوسق ستون صاعا وسيأتى ذكر ذلك مع الأوقية والدرهم والمثقال فى باب القاف والفاء ان شاء الله تعالى (لم يفرق) فى هذا الكتاب بين الجفنة والقصعة وقد فرق بينهما بعض أهل اللغة قال الكسائى أعظم القصاع الجفنة ثم القصعة تليها تشبع العشرة ثم الصحفة تشبع الخمسة ثم المكيلة تشبع الرجلين والثلاثة ثم الصحيفة تشبع الرجل وتقدّم ذكر الرفد قال

ذكر الاوانى

الاصمعى

الاصمعي الرفد بفتح الراء مصدر رفدته والرفد بالكسر القدح وقال أبو عبيدة معمر
ابن المثنى بضد ذلك قال ابن السيد رحمه الله وعدل القوم بينهما الرفد بالفتح المصدر
و بالكسر الاسم وأما القدح فيقال فيه رفد ورفد بالفتح والكسر وتقدم ذكر القدح
وقال بعض أهل اللغة لا يقال فيه قدح حتى يكون فيه ماء أو غيره وأما اذا كان فارغا
فيقال فيه اناء وتقدم انه يروى الاثنين وأنه لا يقال فيه اناء الا اذا كان فارغا
وهذا كما تراه وجاء في الحديث ذكر القدح مفسرا اخرج مسلم رحمه الله عن عائشة
رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل من القدح وهو
الفرق وكنت أغتسل أنا وهو من الاناء الواحد قال سفيان الفرق ثلاثة آصع
انتهى كلامه والبيت الذي تقدم * تكفيه حزة فلذ ان ألم بها * هو لاعشى
باهلة يرثي المنتشر من قصيدة له أولها

انى أتتنى لسان لا أسر بها * من علو لا عجب منها ولا سخر
فبت مرتقبا للنجم أرقبه * حيران ذا حذر لو ينفع الحذر
وجاشت النفس لما جاء جمعهم * وراكب جاء من تثليث معتمر
يأتى على الناس لا يلوى على أحد * حتى التقينا وكانت دوننا مضر
ينعى من لا يعيب الحي جفنته * اذا الكواكب أخطا نوأها المطر
من ليس في خيره شر يكدره * على الصديق ولا في صفوه كدر
ولا يبارى لما في القدر يرقبه * ولا تراه أمام القوم يقتفر
لا يغمز الساق من أين ولا وصب * ولا يعض على شرسوفه الصفر

(والصفر) دواب البطن وقوله من علو يروى بضم العين وفتحها وكسرها أى من
أعلى وتقدم من مقلوب هذه اللفظة الغرام قال ابن عزيز في تفسير قوله تعالى ان مبحث الغرام
عذابها كان غراما هلاكا ويقال ملحا ويقال عذابا ملازما ومنه فلان مغرم بالنساء
اذا كان يحبهن ويلازمهن ومنه الغريم الذى عليه الدين لان الدين لازم له يقال
خذ من غريم السوء ما سنح (والغريم) أيضا الذى له الدين لانه يلزم الذى له عليه
الدين قال كثير قضى كل ذى دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها
وقال الحسن رحمه الله في قوله تعالى ان عذابها كان غراما كل غريم مفارق لغريمه
الا النار أعاذنا الله تعالى منها والغرامة ما يلزم الانسان أداؤه وكذلك الغرم
والمغرم وأغرمته وغرمته بمعنى واحد وتقدم أيضا من مقلوبها رغم أنفه اذا ذل

وأرغم الله أنفه ومن دعاء العرب رغما دغما شنغا فسره أبو الحسن رحمه الله رغما أى رغم الله أنفه ودغما مثله وشنغا توكيد أنظره فى الذيل وفى الحديث من هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم لابى ذر رضى الله تعالى عنه مامن عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الادخل الجنة قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق قلت وان زنى وان سرق قال وان زنى وان سرق ثلاثا ثم قال فى الرابعة على رغم أنف أبى ذر قال فخرج أبو ذر وهو يقول وان رغم أنف أبى ذر وقد تكلم الناس على هذا الحديث وفسروه ومنهم البخارى خرج هذا الحديث وقال فى آخره هذا عند الموت أو قبله اذا تاب وندم وقال لا اله الا الله غفر الله له انتهى كلامه (قلت) والذى عليه أولو العزم وذووا الحزم أن لا يغتر به أحد فيستسهل الزنا والسرقة لانه قال عليه الصلاة والسلام ثم مات على ذلك لانه يخاف على العاصى المصر أن يبدل به عند الخاتمة نعوذ بالله من ذلك وقال الادخل الجنة ولم يقل لم يدخل النار فيحتمل أن يدخل الجنة بعد أن يخرج من النار (وقد صح) ان طائفة من الموحدين يدخلون النار الا أن الله برحمته نفعهم بتوحيدهم فأماتهم فيها اماتة كما جاء فى حديث الشفاعة وهولاء هم أهل الكبائر والزنا والسرقة وهم الذين يخرجون من النار بالشفاعة وشر من النار الخلود فى النار (روى) ان الحسن بن أبى الحسن رضى الله عنه ذكر رجلا يخرج من النار بعد ألف سنة فقال ياليتنى ذلك الرجل حمله خوف الخلود فى النار على ان قال هذه المقالة ويحتمل ان يكون قوله عليه الصلاة والسلام ثم مات على ذلك تائبا مما كان منه قبل من الزناء والسرقة والله اعلم (وسيأتى) الكلام على ذلك فى باب الالف واللام ان شاء الله تعالى (وتقدم أيضا) زعم وهذه اللفظة لم تأت فى القرآن الا فى موضع الذم مثل قوله تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن وألم تر الى الذين يزعمون وهذا لله بزعمهم وغير ذلك وفى الحديث بئس مطية الرجل زعموا والزعم بالكسر الكذب ويكون بمعنى الطمع يقال زعم زعما وزعم زعما وأزعمته قال عنترة

علقتها عرضا وأقتل قومها * زعما لعمر أبيك ليس بمزعم

أى ليس بمطمع (وقال أبو محمد عبد الحق بن عطية رحمه الله فى قوله تعالى ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم الزعم انما هو مستعمل أبدا فى غير اليقين بل أغلبه فى الكذب ومنه هذه الآية وأرفع مواضعه ان يستعمل زعم بمعنى أخبر حيث تبقى

عهدة الخبر على المخبر كما يقول سيبويه رحمه الله تعالى زعم الخليل انتهى كلامه قال العلماء فيه ثلاث لغات الزعم والزعم والزعم وله معان تقول زعم بالكسر زعامة بمعنى ضمن والزعم بالفتح جازبة والزعم بالضم تميمية والزعم بالكسر فيما ليس صحيحا كما تقدم ولما أنشد أعشى بكر بن قيس بن معدى كرب قصيدته التى أولها

* لعمرك ماطول هذا الزمن * أعجب بها فلما انتهى الى قوله

فأنبئت قيسا ولم أبله * كما زعموا خير أهل اليمن

قال ماهو الا الزعم فحرمه وأقصاه وفائدة لغوية قد فسر هنا الزعم واختلاف معانيه لاختلاف لفظه وفى كتب اللغة جاءت هذه اللفظة مجملة قالوا يقال زعم وزعم وزعم كما قالوا فتك وفتك وفتك وود وود وود قال بعض أهل اللغة وقد يكون الزعم بالطلاو يكون حقا وأنشد

تقول هلكنا ان هلكت وانما * على الله أرزاق العباد كما زعم

وقال آخر وانى أدين لكم انه * سيجزيكم ربكم مازعم

(وتقدم) الزعامة السيادة قال لبيد

تطير عدائد الاشراك شفعا * ووترا والزعامة للغلام

يريد السلاح لانهم كانوا اذا اقتسموا الميراث دفعوا السلاح الى الابن دون البنت وأذكرك هنا فى هذه اللفظة حديثا عجيبا صحيحا غريبا ذكره أهل الاخبار فيما تقدم فى الزمن عن سيف بن ذى يزن بشر بالنبى صلى الله عليه وسلم جده عبد المطلب حين وفد عليه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لما ظفر سيف ابن ذى يزن بالحبشة وذلك بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم أتته وفود العرب وشعراؤها وأشرافها تهنيه وتمدحه وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثار قومه فأتاه وفد قريش فيه عبد المطلب بن هاشم وأمية بن عبد شمس وأسد بن عبد العزى وعبد الله بن جدعان فقدموا عليه فى عدد من وجوه قريش وأهل مكة فأتوه بصنعاء وهو فى قصر له يقال له غمدان وفيه يقول أبو الصلت والد أمية بن أبى الصلت

وفود العرب على سيف بن ذى يزن

ليدرك الثار أمثال ابن ذى يزن * يلج فى البحر للاعداء أحوالا

ثم انثنى نحو كسرى بعد تاسعة * من السنين لقد أبعدت ايغالا

حتى أتى ببنى الاحرار يقدمهم * البك عمرى لقد أسرعت ارقالا

من مثل كسرى وبهرام الجنود لهم * ومثل وهرز يوم الجيش اذ صالا

لله دَرُّهُم من عصبة خرجوا * ما ان رأينا لهم في الناس أمثالا
صيدا جحاجحة بيضا خضارمة * أسدا تربب في الغابات أشبالا
أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد * غادرت جمعهم في الارض فلالا
اشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا * في رأس غمدان دارا منك محلالا
ثم اطل بالمسك اذ شالت نعامتهم * وأسبل اليوم في برديك اسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

فطلبوا الاذن عليه فأذن لهم فدخلوا عليه فوجدوه متضمخا بالعبير ينطف وبيص المسك في مفرق رأسه وعليه بردان أخضران قد اتزر بأحدهما وارتدى بالآخر وسيفه بين يديه والملوك عن يمينه وشماله وأبناء الملوك والقاول فلما دخلوا عليه دنا منه عبد المطلب فاستأذنه في الكلام فقال له سيف ان كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك فقال عبد المطلب أيها الملك ان الله قد أحلك محلا رفيعا صعبا منيعا باذخا شامخا وأنبتك منبتا طابت أرومته وعزت جرثومته وبسق فرعه في أكرم معدن وأطيب موطن وأنت أبيت اللعن رأس العرب وربيعها الذي به تخصب وملكها الذي له تنقاد وعمودها الذي عليه العماد ومعقلها الذي يلجأ اليه العباد سلفك خير سلف وأنت لنا بعدهم خير خلف ولن يهلك من أنت خلفه ولن يخمل من أنت سلفه نحن أيها الملك أهل حرم الله وسدنة بيته أشخصنا اليك الذي أبهجنا لكشف الكرب الذي فدحنا فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة قال ومن أنت أيها المتكلم قال أنا عبد المطلب بن هاشم قال ابن أختنا قال نعم فأدناه وقربه ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال * مرحبا وأهلا * وناقة ورحلا * ومستناخا سهلا * وملكا ربحلا يعطي عطاء جزلا * فذهبت مثلا وكان أول من تكلم بها قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فأهل الليل والنهار أنتم ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء اذا ظعنتم قال ثم استنهضوا الى دار الضيافة والوفود وأجرى عليهم الانزال فأقاموا به شهرا لا يصلون اليه ولا يأذن لهم بالانصراف ثم انتبه لهم انتباهة فدعا بعبد المطلب من بين أصحابه فأخلاه وأدنى مجلسه وقال له يا عبد المطلب اني مفوض اليك من علي أمرا لو كان غيرك لم أبح له به ولكني رأيتك معدنه فأطلعتك عليه فليكن عندك مطويا حتى يأذن الله فيه فان الله بالغ أمره اني أجد في العلم والكتاب المكنون الذي ادخرناه لانفسنا واحتجناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما

فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس كافة ولرهطك عامة ولنفسك خاصة قال عبد المطلب مثلك أيها الملك من بر وسر وبشر ماهو فداك أهل الوبر زمرا بعد زمر (قال ابن ذي يزن) اذا ولد مولود بتهامه بين كتفيه شامه كانت له الامامه ولكم به الزعامه الى يوم القيامة قال عبد المطلب أبيت اللعن لقد أبت بخبر ما آب به أحد فلولا اجلال الله الملك واعظامه لسألته من سره ماأزداد به سرورا (قال ابن ذي يزن) هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه قد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا أنصارا يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه يفتح بهم كرائم الارض ويضرب بهم الناس عن عرض يخمد الاديان ويكسر الاوثان ويعبد الرحمن قوله حكم وفصل وأمره حزم وعدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله فقال عبد المطلب طال عمرك ودام ملكك وعلا جدك وعز فخرك فهل الملك مساري بأن يوضح فيه بعض الايضاح قال ابن ذي يزن والبيت ذي الطنب والعلامات والنصب انك يا عبد المطلب لجده غير كذب فخر عبد المطلب ساجدا (قال ابن ذي يزن) ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا فخرك فهل أحسست شيئا مما ذكرته لك قال عبد المطلب كان لى ابن كنت له محبا وعليه حدبا مشفقا فزوجته كريمة من كرائم قومه يقال لها آمنة بنت وهب بن عبد مناف فجاءت بغلام بين كتفيه شامه فيه كل ماذكرت من علامه مات أبوه وأمه فكفلته أنا وعمه (قال له ابن ذي يزن) الذى قلت لك كما قلت فاحفظ ابنك واحذر عليه اليهود فانهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا واطو ماذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك فاني لست آمن أن تدخلهم النفاسه فى أن تكون لك الرياسه فيبغون له الغوائل وينصبون له الحبائل وهم فاعلون وأبناؤهم ولولا انى أعلم أن الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى أصير بيثرب دار مهاجره فاني أجد فى الكتاب الناطق والعلم السابق أن يثرب دار هجرته وبيت نصرته ولولا انى أقيه الآفات واحذر عليه العاهات لاعلنت على حداثة سنه أمره وأوطأت أقدام العرب عقبه ولكني صارف اليك ذلك عن غير تقصير مني لمن معك ثم أمر لكل رجل منهم بعشرة أعبد وعشر اماء وخمسة أرطال فضة وحلتين من حلل اليمن وكرش مملوءة عنبرا وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال اذا حال الحول فائتني بما يكون من أمره فما حال الحول حتى مات ابن ذي يزن فكان عبد

المطلب بن هاشم يقول يا معشر قريش لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك فانه الى نفاد ولكن يغبطني بما يبقى لى ولعقبي ذكره وفخره فاذا قالوا له وماذا ل قال سيظهر بعد حين (وتقدم من مقلوب زعم) زمع وفسر وهو جمع زمعة ويجمع أيضا زمعات وقد جاء ذلك في حديث صحيح ثابت خرجه في الدلائل ثابت أردت أن أثبت منه في هذا الكتاب موضع الشاهد الا أنى رأيت القلب على ذلك غير مساعد لشغفه به قديما وحديثا وطلبه اياه طلبا حثيثا ولان النقص يشينه والنص يزينه فاستخرت الله تعالى وسقته بكماله فهو أتم لجماله كما صنعت بحديث سيف الذي تقدم سقته بكماله كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم * حدث ثابت رحمه الله بسنده الى على بن أبي طالب قال لما أمر الله رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر حتى دفعنا الى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر رضي الله عنه فسلم وكان رجلا نسابا وكان مقدما في كل خير فقال ممن القوم قالوا من ربيعة قال ومن أى ربيعة أنتم أمن هامها أم من لهازمها قالوا بل من هامتها العظمى قال وأى هامتها العظمى أنتم قالوا ذهل الاكبر قال أبو بكر فمنكم عوف الذي يقال له لا حر بوادى عوف قالوا لا قال فمنكم جساس بن مرة حامى الذمار ومانع الجار قالوا لا قال فمنكم بسطام بن قيس صاحب اللواء ومنتهى الاحياء قالوا لا قال فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها قالوا لا قال فمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة ٢ قالوا لا قال فمنكم أخوال الملوك من كندة قالوا لا قال فمنكم أصهار الملوك من لخم قالوا لا قال أبو بكر فلستم ذهلا الاكبر أنتم ذهل الاصغر فقام اليه غلام من بنى شيبان حين بقل وجهه يقال له دغفل فقال

حديث ابتداء الاسلام

٢ انما قيل له ذلك لانه كان اذا ركب لم يعتم معه غيره اجلالا له

ان على سائلنا أن نسأله * والعبء لا نعرفه أو نحمله

يا هذا انك سألتنا فأخبرناك ولم نكتمك شيئا فمن الرجل قال أبو بكر أنا من قريش قال له دغفل بخ بخ أهل الشرف والرياسة فمن أى قريش أنت قال من ولد تيم بن مرة قال أمكنت والله الرامى من سواء الثغرة أفمنكم قصى الذي جمع القبائل من فهر فكان يدعى فى قريش مجمعا قال لا قال فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف قال لا قال فمنكم شيبة الحمد مطعم طير السماء الذي كان وجهه القمر يضيء فى الليلة الظلماء قال لا قال أفمن أهل الافاضة بالناس أنت قال لا قال أفمن أهل الرفادة أنت قال لا قال أفمن أهل الحجابة أنت قال لا واجتذب

أبو بكر زمام الناقة فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغلام

صادف درء السيل سيلا يدفعه * يهيضه حينا وحينا يصدعه

أما والله يا أخا قريش لو ثبت لأخبرتك انك من زمعات قريش ولست من الذوائب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي يا أبا بكر لقد وقعت من الاعرابي على باقعة فقال أجل يا أبا الحسن ما من طامة الا وفوقها طامة والبلاء موكل بالمنطق قال ثم دفعنا الى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار فتقدم أبو بكر وسلم وكان مقدما في كل خير فقال ممن القوم قالوا من شيبان بن ثعلبة فالتفت أبو بكر رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بأبي أنت وأمي هؤلاء غرر في قومهم وفيهم مفروق بن عمرو وهانئ بن قبيصة والمثنى بن حارثة والنعمان بن شريك وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا وكانت له غديرتان تسقطان على تريبتيه وكان أدنى القوم مجلسا من أبي بكر رضي الله عنه فقال له أبو بكر كيف العدد فيكم فقال مفروق انا لنزيد على ألف ولن يغلب ألف من قلة فقال له أبو بكر كيف المنعة فيكم قال مفروق علينا الجهد ولكل قوم جد فقال أبو بكر فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم فقال مفروق انا لاشد ما نكون غضبا حين نلتقي وانا لاشد ما نكون لقاء حين نغضب وانا لنؤثر الجياد على الاولاد والسلاح على اللقاح والنصر من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا أخرى لعلك أخو قريش فقال أبو بكر أوقد بلغكم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فها هو ذا فقال مفروق قد بلغنا أنه يذكر ذلك فالام تدعونا يا أخا قريش فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أدعوكم الى شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله والى أن تؤووني وتنصروني فان قريشا قد ظاهرت على أمر الله عز وجل وكذبت رسله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد فقال مفروق والام تدعو أيضا يا أخا قريش فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون فقال مفروق والام تدعو أيضا يا أخا قريش فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون فقال مفروق

دعوت والله يا أخا قريش الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ولقد أفك قوم
كذبوك وظاهروا عليك وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة فقال
وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا فقال هانئ قد سمعت مقالتك يا أخا
قريش واني أرى أن تركنا ديننا واتباعنا اياك لمجلس جلسته الينا ليس له أول
ولا آخر وانا نزلنا بين صيرين اليمامة والسمامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما هذان الصيران فقال أنهار كسرى ومياه العرب فأما ما كان من أنهار كسرى
فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول وأما ما كان من مياه العرب فذنب
صاحبه مغفور وعذره مقبول وانا انما نزلنا على عهد أخذه كسرى أن لا نحدث
حدثا ولا نؤوي محدثا واني أرى أن هذا الامر الذي تدعوا اليه أنت مما تكرهه
الملوك فان أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما أسأتم في الرد اذ أفصحتم بالصدق وان دين الله لن ينصره الا
من حاطه من جميع جوانبه أرأيتم ان لم تلبثوا الا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم
وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم أتسبحون الله وتقدسونه فقال النعمان
ابن بشير اللهم لك ذلك ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم انا أرسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ثم نهض النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ
بيدي فقال يا أبا بكر يا أبا حسن أية أحلام في الجاهلية ما أشرفها بها يدفع الله
بعضهم عن بعض وبها يتحاجزون فيما بينهم قال ثم دفعنا الى مجلس الاوس
والخزرج فما نهضنا حتى بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اصدقا صبرا
(الهام) أعلى الرأس وهو أعلى من اللهازم (واللهازم) جمع لهزمة وهو مجتمع اللحم
بين الماضغ والاذن من اللحيين والماضغ ما يمضغ عليه من الاضراس (والزمعات)
جمع زمعة كما تقدم وهي هناة تشبه أظفار الغنم في الرسغ في كل قائمة زمعتان يكون
ذلك لكل ذي ظلف هذا الحديث يجدد الايمان على مرور الازمان نفع الله به
الراوي والسامع والقارئ والجامع (وتقدم أيضا ذكر عزم) من قوله تعالى فاذا
عزم الامر معناه عزم عليه وهو هنا الجهاد في سبيل الله مثل قوله تعالى ان العهد
كان مسئولا أي عنه وفي القرآن من هذا ولم نجد له عزما قال ابن عزيز رأيا معزوما
عليه وقال غيره صبرا وفي القرآن فاذا عزمت فتوكل على الله أي اذا صححت رأيك
في امضاء الامر وفيه فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل قال الكلبي يعني من أمر

حكاية طريفة

بالقتال منهم (واذ كرلك هنا حكاية طريفة) غريبة شريفة يروى أن الرشيد كان له ولد اسمه عباس وكان شديد السمرة فكره لذلك مكانه وقصر عن الحاقه بسائر بنيه ثم اتفق أن تنبأ فى عهده رجل سخيف فبلغ أمره الى الرشيد فأحضره وجعل يعظه و يفنده وجميع أبناء الرشيد مصطفون بين يديه بينهم عباس لم يجاوز العشر فأبى ذلك الشقى الا التمادى فى غيه فأمر الرشيد بضربه فلما باشر السوط جسده جعل يضطرب و يرعد و يقوم و يقعد فقال عباس ان كنت كما زعمت فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل فاستطار لها الرشيد استبشارا واستنبالا وقال ابنى والله ثم رفع منزلته وأكرم مثواه وألحقه بمرتبة من سواه (وتقدم ذكر مزع) معكوس عزم وذكر المزعة وجاء فى الحديث من هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مايزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة ليس فى وجهه مزعة لحم خرجه مسلم من طريق ابن عمر وخرج أيضا من طريق عوف بن مالك الاشجعى رضى الله عنه أنه بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جماعة وذكر حديثا طويلا فى آخره أسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فلا يسأل أحدا يناوله اياه وهذا الحديث حدثنى به الحافظ رحمه الله فى كتاب الاربعين للطوسى برواية عالية رضى الله عنه وقد كان بعضهم يسأل منه أن يسأل فلا يسأل و يعطى فلا يقبل يروى أن سالم بن عبد الله دخل البيت الحرام فصادف فيه هشام بن عبد الملك فقال له هشام سل حاجتك فقال انى أكره أن أسأل فى بيت الله غير الله وقد جاء تحريم المسألة والصدقة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى وفى حديث آخر ولا حظ فيها لغنى ولا لقوى مكتسب وجاء فى الصدقة أنها أوساخ الناس * كاتب ابن عمر رضى الله عنه غلاما ونجمها عليه نجوما فلما حل أول نجم أتاه المكاتب فسأله من أين أصبت هذا قال كنت أعمل وأسأل قال ابن عمر تجئنى بأوساخ الناس تريد أن تطعمنيها أنت حر ولك ماجئت به وخرج مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم من سأل الناس أموالهم فانما يسأل جمرا فليستقل أو ليستكثر وفى كتاب أبى داود المسائل كدوح يكدح بها الرجل وجهه فمن شاء أبقى عليه وجهه ومن شاء ترك الا أن يسأل الرجل ذا سلطان فى أمر لا يجد له منه بدا وخرج النسائى عن النبى صلى الله عليه وسلم لو تعلمون مافى المسألة مامشى أحد الى أحد يسأله شيئا وعن ابن الفراسى

النهى عن سؤل الناس

أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسأل يا رسول الله قال لا وان كنت سائلا ولا بد فسل الصالحين وخرج أبو نعيم عن مسعود بن الربيع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يسأل وهو عنه غنى حتى يخلق وجهه فما يكون له عند الله وجه وخرج أبو داود عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسأل بوجه الله الا الجنة (قلت) انظر ماجاء على كراهية المسألة من الأدلة مع ما فيها من الذلة وجاء بعض الشعراء الى بعض الامراء فقال أنشدك ثلاثة أبيات هن خير من ثلاثة آلاف فاذا أنشدتكهن قل صدقت قال هات فأنشده

بلوت الناس قرنا بعد قرن * فلم أر غير ختال وقال

قال صدقت قال وذقت مرارة الاشياء طرا * فما شئ أمر من السؤال

قال صدقت قال ولم أر فى القلوب أشد وقعا * وأنكى من معاداة الرجال

قال صدقت وأعطاه صلته ينظر قول الشاعر من معاداة الرجال الى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان أول مانهانى عنه ربى بعد عبادة الاوثان شرب الخمر وملاحاة الرجال صدق صلى الله عليه وسلم ولى منه قطعة لزومية

قل كيف يرجو فلاحا * من كان خصما فلاحا

فاتركه واترك مزاحا * واجعله عنك مزاحا

وقد تقدم هذا فى باب المزاح وأنشدنى الفقيه المحدث أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الازدى الاشبيلى رحمه الله ببجاية حماها الله لنفسه قطعة حسنة أولها

لا ابك خلا ولا انقطاعه * ولا لاسرارك المذاعه

وابك زمانا مضى وولى * عنك وأيامك المضاعه

وارجع الى الله من قريب * واخش تخليه واطلاعه

لعله أن يراك فيمن * قصر عما يريد باعه

وان تشأ أن تنال عزا * بغير مال ولا جماعه

فاقنع بقوت وبعض قوت * فانما العز فى القناعه

ولا تسل فالسؤال ذل * حاشاك من تلكم الصناعه

واصبر على حادث الليالى * واترك الذل والضراعه

فانما عمرك المرجى * هذا اذا نلته كساعه

ولما رأى هذه القطعة بمالقة الفقيه الخطيب أبو محمد عبد الوهاب بن على رضى الله

عنه أنشد فى عروضها والتزم عاداًفقال

بالله لا تشتمك البعادا * وخل سعدى ودع سعادا
ولا تقف بالديار تبكى * عهد حبيب جفا وعادى
وان شدا فى الغصون شاد * فلا تقل ليته أعادا
وذر حماما واحذر حماما * وانس بعادا واذكر معادا
أين ثمود وقوم نوح * كل غدا رمة وعادا
ماترك الموت جمع ترك * ولا عداد الجسوم عادا
لم يسلم المسلمون منه * كلا ولا المبعد المعادا

وقال بشر بن الحارث رحمه الله من أراد العز والسلامة فليلتزم ثلاثا لا يسأل أحدا حاجة ولا شيئا ولا يأكل طعام أحد ولا يذكر أحدا بسوء نظمت أنا هذا المعنى فقلت

يا مبتغى العز والسلامه * الزم ثلاثا تلق الكرامه
لا تسأل المرء ما لديه * ولا ترى آكلا طعامه
ولا تكن ذاكرا بسوء * ماعشت خلقا حتى القيامه
وزد لهذى الثلاث تقوى الاله تكمل لك السلامه
ودم على ذا واصبر عليه * فالصبر خير من الندامه

ومن شعر الفقيه الامام الزاهد الورع أبى عمران موسى بن عمران القيسى الميرتلى رضى الله عنه وهو الآن فى قيد الحياة فى سنة ثلاث وستمائة

ترجى السلامة فى القناعة والخمول والاعتزال
لا فى التكاثر والظهور * وفى مصاحبة الرجال
من رام مع هذى الثلاث سلامة رام المحال

وله رضى الله عنه وبلغه أن بشر بن الحارث رضى الله عنه كان يقول من أحب أن يكون عزيزا فى الدنيا فليجتنب أربعا لا يشهد ولا يؤم ولا يحدث ولا يقبل هدية فنظمها فى شعر وزاد فيها خمسا فبلغها تسعة وقال

تسع أبى منها أولو الاحلام والهمم السنيه
الا بحال ضرورة * تدعو لها مع حسن نيه
وهى الشهادة والوساطة والحكومة فى القضيه
وكذا الامامة والوديعة والتعرض للوصيه

ثم الأجابة للطاعم في الولائم والهديه
فسد الزمان وأهله * لم تبق في حرّ بقيه
زمن يكون به البريّ من المريب على تقيه

ذكر الرخصة في السؤال

وله رضي الله عنه التزامات ألزمها نفسه سنراها في باب الثناء والهجاء عند ذكر الزهاد ان شاء الله وقد أرخص بعض العلماء لمن طرقته فاقة أو رهقته حادثة أن يسأل اذا عدم القوت والصبر وقد جاء في الاثر من جاع فلم يسأل فمات دخل النار لان ترك السؤال عند خوف التلف سبب التلف فكأنه أعان على قتل نفسه والله أعلم وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في استعاذاته وأعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع وقد سأل موسى والخضر عليهما السلام عند الضرورة فرداً وقد أخبر الله سبحانه عنهما بذلك في قوله استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما وقال الحريري في المعنى وان رددت فما في الردّ منقصة * عليك قد ردّ موسى قبل والخضر

ولابي عمران المذكور

اقبل البرّ اذا احتجت من البرّ الوصول
ما أرى أن لك الفضل عليه في القبول
وأتى بالشيء صفوا * طيبا من غير سول
وأمنت المنّ منه * في كثير أو قليل
ربّ من قد أقام الحرّ في حال الذليل
واذا استغنيت عنه * لاتعرّض للفضول
وصن النفس بسف الترب عن عرف البخيل

(فصل) تقدّم من قول الرسول عليه الصلاة والسلام وان كنت لابدّ سائلا فسل الصالحين وجاء طعام البخيل داء وطعام السخي شفاء أنشدني الحافظ السلفي رحمه الله لنفسه في هذا الخبر

لاتجب دعوة البخيل لأكل * فطعام البخيل في الجوف داء
واذا ما دعاك شخص سخي * فأجبه وكله فهو شفاء

وأنشدني أيضا لنفسه اقتنع ما دمت حيا * بغداء وعشاء
ثم لاترج غنيا * في غدوّ وعشاء
فجماع العز للانسان في قطع الرجاء

عن جميع الناس فى الشدة أووقت الرخاء

هذا كله فى السؤال وأماما جاء من غيرمسئلة من النوال فقد جاء فيه من حديث مسلم رحمه الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى عمر بن الخطاب رضى الله عنه العطاء فيقول أعطه يارسول الله أفقر اليه منى (فقال له) رسول الله صلى الله عليه وسلم خذه فتموّله أوتصدق به وماجاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك (قال) سالم فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل احدا شيئا ولا يرد شيئا أعطيه (وحدثنى) شيخى أبو محمد عبد الحق رحمه الله (قال) رويت بالاسناد المتصل الصحيح الى خالد بن محمد الجهنى (قال) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من جاءه من أخيه معروف من غير اشراف ولا مسئلة فليقبله ولا يرده فانما هو رزق ساقه الله اليه ذكره أبو عمر بن عبد البر وغيره (قلت) وأنت أيها المستشهد بهذا الحديث الغريب الآخذ من كل من أعطى من بعيد أوقريب أذكرك هنا نكتة أزيدها مع علمى أنك لا تريدها هى المكافأة على العطاء ممن أعطى ألم تسمع قول النبى صلى الله عليه وسلم من أتى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه وكان عليه السلام يقبل الهدية ويثيب عليها وقال ولقد هممت أن لا أتهب الا من ثقفى أودوسى اجعبودكم أيها القوم أكذا نحن اليوم ماأظن ذلك كذلك بل نأخذ الهدية مع الوعاء ولا نكافئ الا ان كان بالدعاء نعم ونأخذ ونقبل من كل من أدبر وأقبل ولا نتورع ممن بها تبرع ولله در الذى يقول

وطالما زفت الصلات الى * رحلى فلم أرض كل من يهب

ولابى عمران الميرتلى

لا تقبلن هدية ولو انها * جاءتك من أصفى الانام اليكا
فتذل نفسك ان فعلت وربما * انقلب الصديق غدا فمنّ عليكا

وله أيضا

هدية جاءت ولم أحتشم * فى ردها من ذى اخاء كريم
لانه قد جاء فيما رووا * بأنها تفقأ عين الحليم
وتنقل الحر عن اخلاقه * لطمع مزر وخلق ذميم

(وقال بعض الزهاد) ماأدخلت يدى فى قصعة أحد الا وجدت الذلة فى نفسى وقال غيره من العاوفين لا تسأل من الناس شيئا أبدا فان كان ولا بد من سؤالهم فاسألهم

مما ليس فى خزائن مولاك جل وعلا (قلت) انظر هذا العارف ما كان أعرفه وأرفعه فى الامر وألطفه نهاه أولا ثم أطمعه فتأنسه وضمن فيما أباح له ما عنه أيأسه فالواجب على الانسان والفرض أن يوقن أن لله خزائن السموات والارض وجميع المؤمنين والحمد لله لهذا يتنبهون واليه ينتهون ولكن المنافقين لا يفقهون والمسألة على كل حال ذل الا الى الله سبحانه الذى يملك الكل وبهذا تشهد العقول وما أحسن الذى يقول

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولو نال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال قرنته * رجح السؤال وخف كل نوال

ومن أجل كراهية السؤال أمر بحفظ المال (قال بعض الحكماء) حفظك لما فى يديك أولى بك من طلب ما فى يدى غيرك (قلت) ثم مع هذا اذا سألت المخلوق وألححت عليه أبغضك واذا سألت الهك وألححت عليه احبك ألم تسمع قوله عليه الصلاة والسلام ان الله يحب الملحين فى الدعاء وقال الشاعر

الله يغضب ان تركت سؤاله * وبنى آدم حين يسأل يغضب

ولى فى هذا المعنى مقطعات أنظرها فى التكميل منها آخر بيت

ولا تسأل الناس ما عندهم * وسل من على كل شئ قدير

وقال الشاعر

ان الوقوف على الابواب حرمان * والعجز أن يسأل الانسان انسان
حتام تأمل مخلوقا وتقصده * ان كان عندك بالخلاق ايمان
أعطاؤه لك ان أعطا كضعة * فكيف ان كان بعد المطل حرمان
ثق بالذى هو يعطى ذا ويمنع ذا * فى كل يوم له فى خلقه شان

(قال الاصمعى) مررت بكناس وهو يحمل على ظهره جرة من عذرة وهو يقول

وأكرم نفسى اننى ان أهنتها * وحقك لم تكرم على أحد بعدى

(قال فقلت له) وعن أى شئ أكرمتها وأنت تحمل العذرة على ظهرك (فقال) أكرمتها عن الوقوف على باب مثلك (قال الاصمعى) مالقيت مثلها وكان مطرف ابن عبد الله بن الشخير يقول اذا كانت لاحدكم حاجة فلا يواجهنى بها فانى اكره أن أرى فيكم ذل المسألة ولكن ليرفعها الى فى رقعة فان الشاعر قد صدق فى قوله

يا أيها المتعب بذل الجمال * وطالب الحاجات من ذى النوال

لا تحسبن

لا تحسبن الموت موت البلى * فانما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا * أشد من ذاك لذل السؤال

وكان خالد بن صفوان يقول فوت الحاجة خير من طلبها الى غير أهلها وأشد من المصيبة سوء الخلف منها (وقال الحسن بن على لمعاوية) رضى الله عنهم أعطنا من قبل أن نسألك فانك ان أعطيتنا بعد المسألة كان ثمن وجوهنا ولم نحمدك (قلت) ذكرنى قول الفقيه رحمه الله

وانما عمرك المرجى * هذا اذا نلته كساعه

قول بعضهم الدنيا ساعة فاجعلها طاعه وأنشدنى بعض أشياخى

اذا كنت أعلم علما يقينا * بأن جميع حياتى كساعه
فلم لا أكون ضنينا بها * وأجعلها فى صلاح وطاعه

(وقد مثل نوح عليه السلام) الدنيا ببيت له بابان دخل من أحدهما وخرج من الآخر ذكر معنى ذلك مكى فى الهداية قال يروى أن نوحا صلى الله عليه وسلم أرسل الى قومه وهو ابن مائة وخمسين سنة فلبث فيهم يدعوهم الى الله والى عبادته ألف سنة الا خمسين عاما ثم دعا على قومه فغرقوا ثم عاش بعد الغرق مائتى سنة وخمسين فكان عمره ألف سنة وأربعمائة سنة وخمسين فلما احتضر قال له ملك الموت يا أطول الانبياء عمرا وأكثرهم عملا كيف وجدت الدنيا قال كبيت له بابان دخلت من باب وخرجت من باب (ودونك فائدة فى القوت) خير من الياقوت تقدم فى شعر أبى محمد عبد الحق رحمه الله ذكر القوت قال فيه ثابت رحمه الله يقال قوت ليلة وقيت ليلة وقيتة وقد قات أهله يقوتهم قوتا وفسر الشعبى قوله تعالى والذين لا يجدون الا جهدهم قال الجهد القيتة (فرع) قوله قيتة لما انكسرت القاف صارت الواو ياء تقول قته فاقتات كما تقول رزقته فارتزق وهو فى قتات من العيش أى فى كفاية واستقاته سأله القوت ومن أيمانهم لا وقائت نفسى ويقال فلان يتقوت بكذا واقتت لنارك قيتة أى أطعمها الحطب قال ذو الرمة

فقلت له ارفعها اليك وأحيها * بروحك واقتته لها قيتة قدرا

ويقال أقات على الشئ اقتدر عليه قال الشاعر

وذى ضغن كففت النفس عنه * وكنت على مساءته مقيتا

قال الفراء المقيت المقتدر الذى يعطى كل رجل قوته قال الله عز وجل (وكان

مدة عمر نوح

مبحث القوت

الله على كل شيء مقيتا أي مقتدرا ويقال المقيت الحافظ للشيء والشاهد له وأنشد ثعلب للسموأل
ليت شعري وانشرنها اذاما * قربوها منشورة ودعيت
ألى الفضل أم عليّ اذا حوسبت انى على الحساب مقيت
يعني بالمنشورة صحفه أي أعرف ما عملت من السوء لان الانسان على نفسه بصيرة (وقال أبو سعيد) يروى ربي على الحساب مقيت وهو أحسن لان الخاضع لربه لا يصف نفسه بهذه الصفة (رجع الكلام) وغيرك الغمر الى فائدة أخرى في عمرو من معنى ماقاله الكندي من تحليل الحروف فيما تقدم وذلك انك تحل لفظة عمرو المكتوب بالواو كما تقدم فيتغير الى معان كثيرة كلها مفيدة فتبدأ من أوله فتكتب (ع) بلا ضبط فلا تؤدي لك على هذا الشكل معنى غير أنها عين وليست واوا ولا ألفا واحتمل أن تكون عينا أحد حروف الهجاء وهو سبعون في حساب أبي جاد فان كسرتها فتقول (ع) فتؤدي لك معنى الامر من وعى يعي الا أنهم كرهوا النطق بها مفردة فألحقوا بها حرفا زائدا وتموها بها وهي هاء السكت أي تحذف في الوصل ويستغنى عنه به فقالوا عه في الوقف وقالوا في الوصل (ع) كلام زيد فقد أفادك هذا الحرف على انفراده معنى الامر وكذلك فعلوا بسائر الحروف المعتلة الاوائل والاواخر مثل (له) من ولي يلي (وشه) من وشى (وقه) من وقى الى آخر الحروف نعم وفعلوا ذلك فيما كان أوله صحيحا مثل (رأى) قالوا فيه (ره) في الامر ورزيدا ولم يفعلوا ذلك في نأى وهو صحيح الاول مثل رأى قالوا في الامر من نأى (انأ) والفرق بينهما انهم قالوا في مستقبل نأى ينأى فلما أرادوا أن يبنوا منه فعل أمر حذفوا الياء من أوله كما فعلوا في أول كل فعل مستقبل أرادوا أن يبنوه للامر فبقيت النون فجلبوا لها ألف الوصل للتوصل الى النطق بالساكن فقالوا (انأ) وقالوا في مستقبل رأى يرى وان كان أصله (يرأى) لكن كذا نطقوا به لعلة ذكروها فلما حذفوا الياء بقيت الراء متحركة فلم يحتاجوا للالف فقالوا (ر زيدا) مثل (ع) كلام زيد حذفوا حرف العلة من أوله ومن آخره ولم يبق الا الصحيح ولو كان آخره صحيحا لابقوه مثل (وعد ووفد) فقالوا في مستقبله يعد ويفد وفي الامر عد وفد ولا تحتج عليّ بوجل يوجل فتنشب وتوحل أقول لك من أول وهلة النادر لا حكم له ذاك فعل خرج عن بابه في قلة من أصحابه فتكلف معه من التصريف مايكثر عن التصنيف قالوا وجل يوجل ويجل وكذا قالوا وجع فلان رأسه يوجع وياجع وييجع ويجع

مبحث الامر من الحروف المعتلة الاوائل والاواخر

بكسر الياء وهي لغة لبني أسد وهم لا يقولون يعلم استثقالا للكسرة على الياء فلما اجتمعت اليا آن في يجيء قوتنا فاحتملنا ما لم تحتمله المفردة (قال متمم بن نويره)

فعيدك ألا تسمعيني ملامة * ولا تنكأى قرح الفؤاد فييجعا

أين هذا المذهب من ذهب بذهب بقي هذا على حاله لصحته وكماله وتغير ذلك لاعتلاله نسأل الله الصحة في الاقوال والافعال انه الكبير المتعال وسيجيء في هذا الفعل المعتل خبر فيه عندي عبر (رجع الكلام الى الحرف المفرد) المسلوب الطرفين المجرد انظر كيف دل حرف واحد على معنى كما دلت الحروف المقطعة في أوائل السور على معان كما تقدم على مذهب من رأى ذلك فتقول من حرف العين من عمرو (ع) كلام زيد فان أضفت اليه مما جاء منه عم صباحا أيها الرجل العالي لا الطلل البالي وتفتح العين فتقول عم أخو الاب (وقد جاء في القرآن) وبنات عمك وأعمامكم وعماتكم وجاء منه في الحديث كثير ان عم الرجل صنو أبيه أي أصلهما واحد كما قيل في تفسير قوله تعالى صنوان وغير صنوان انهما النخلتان أو النخلات يكون أصلهما واحدا وقيل الصنو المثل وكان للنبي صلى الله عليه وسلم تسعة أعمام العباس وحمزة أسلما رضي الله عنهما وأبو طالب واسمه عبد مناف والزبير والحارث والحجل والمقوم وضرار وأبولهب واسمه عبد العزى وعماته صلى الله عليه وسلم ست صفية وأم حكيم البيضاء وعاتكة وأروى وبرة وأميمة وكلهم اخوة عبد الله بن عبد المطلب وعبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصغرهم (رجع الكلام ويأتي منه عم الخبر الناس) وعم على فلان هذا الخبر وعم بمعروفك الخلق وانها النخل عم في الحديث وفلان عم اسم فاعل من عمي يعمى والجمع عمون وفي التنزيل بل هم منها عمون وفي الاستفهام عم تسأل يا هذا ويأتي من معكوسه مع كان الله معنا وقالوا امع كلمة تدل على المصاحبة والمعمى من الرجال الذي يكون مع من غلب وهو الامعة أيضا ومنه قوله لست بامعة في الرجال وسيأتي معنى قوله اني معكما أسمع وأرى فان نقطت العين مفردا دل أيضا على حرف من حروف أبي جاد وهو في الحساب تسعمائة فان أضفت اليه مما جاء منه غم عافانا الله منه وغم هذا الخبر ولا تفشه وغم الهلال (وفي الحديث) فان غم عليكم فاقدروا له وغم قرية من قرى قطربل (قال الشاعر)

في روضة من رياض الغم مشرقة * تنوح فيها منا كيل الفواخيت

مبحث عم

أعمامه وعماته عليه الصلاة والسلام

المعمى والامعة

فان زدت راء جاء منه عمرو وعمر و بالعين عمرو وعمر الى غير ذلك مما تقدم فان زدته واوا جاء منه عمرو اسم الرجل فان زدت نونا جاء منه عمرون اسم رجل واسم الجمع السالم قبل دخول الالف واللام فان زدت هاء التأنيث على مذهب العامة ذهب جمع الرجال وبرزت عمرونة ذات الجمال على ان لفظة عمرونة ليست عربية بل هي عامية حضرية ولم أسندها للقياس لكن على مذهب كلام الناس فانظر الى هذا التغيير الغريب فى هذا الاسم الغريب كيف انقلب بالزيادة والنقصان الى شتى معان هل تجد هذا الشان فى غير هذا اللسان فاحمد الهك أيها الانسان على ماعلمك من البيان وألهمك من التبيان ومعنى قولى والنقصان أنك تهدم ذلك الاسم كابنيته وتحله من حيث أكملته حتى يصير الى الحرف الذى منه بدأته (وأغرب من هذا) ان الكلمة تتغير بأقل من الحرف وهى الحركة تقول فى تثنية قنو وصنو قنوان وصنوان بغير تنوين فاذا نونت فقلت قنوان وصنوان انقلب الى لفظ الجمع بحركة واحدة فى الكلمة مثل أن تقول هذان قنوان اثنان خذهما فى قنوان ثلاثة لك عندى وقد يذهب التنوين من الجمع بدخول الالف واللام فى أوّله فيشبه المثنى فلا يفهم الا بالمعنى مثال ذلك هذان القنوان أعطيتهما اياك فى القنوان الثلاثة التى أعطيتنى قبل هذا وما أشبه هذا مما يتبين فيه التثنية من الجمع والله ولى النفع (وكذلك قالوا جوالق) فى الواحد وقالوا فى الجمع جوالق فتحوا الجيم فى الجمع وضموها فى الواحد ولم يجعلوا بينهما فرقا غير ذلك ولم يقولوا جوالقات وقالوا ورعنابل وهو المتين الصلب وفى الجمع عنابل فهذا أغرب مما تقدم (تقدم فى الالفاظ المؤتلفة) من العين والميم نحو عم ودونك فى ذلك فائدة يا ابن عم كان من دعاء الحسن بن أبى الحسن البصرى رضى الله عنه يوم تغيب عن الحجاج ودخلوا عليه فلم يروه قال يا عدتى عند كربتى ويا صاحبى عند شدتى ويا وليى فى نعمتى ويارب آبائى الاولين ابراهيم واسحاق ويعقوب ويارب طه وكهيعص ويس والقرآن الحكيم عم علىهم مكانى ففعل الله ذلك به (وأزيدك أيضا يا ابن الوالده فى عمرو فائده) وذلك انك لما زدت فى آخره هاء التأنيث على المذهب الرثيث (فقلت) عمرونة ان زدت فى أوّله كاف التشبيه فقلت كعمرونة ثم عكسته جاءك منه تنور معلق كلام قائم المعنى صحيح المبنى وليس يستغرب هذا فقد يوجد العكس فى كثير من الكلام لم يلق له قائله بالا انظر المنسوج فى الحصر التى

مما اختلف فيه الجمع والمثنى بالحركة

ما يقرأ طردا وعكسا

ويبنى فى التصحيف والالغاز

فى الجدر توكل نكفا وسل تعطا ان عكسته وأسقطت توكل جاءك منه أطعت لسوافك كلام سديد له معنى مفيد ولو بدلت لفظة توكل وقلت أس بمعنى أعط لجاءت الكلمات كلها مقروءة فقلت أطعت لسوافك تساو هذا لم يلق له الذى عمله ولا الذى قرأه بالا وكذا غيره ورأيت فى حصير مكتوب (سعادة لصاحبه) فان قدمت وقلت لصاحبه سعادة وعكسته جاء منه (تداعسه بحاصل) كلام أيضا مفيد المداعسة المطاعنة والمداعس الرماح قاله صاحب العين (وفى الحديث) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ليلة بدر كيف تقاتلون فقالوا اذا دنا القوم كانت المراضخة فاذا دنوا حتى نالونا ونلناهم كانت المداعسة بالرماح حتى تقصدت خرجه الخطابى رحمه الله وقال المداعسة المطاعنة يقال داعست بالرمح ورجل مداعس وأنشد اذا هاب أقوام تجشمت هول ما * يهاب حياه الالد المداعس والمراضخة الرمى بالسهام يقال تراضخ القوم اذا تراموا وقوله حتى تقصدت أى تكسرت قصدا قصدا أى كسرا كسرا * ودونك فائدة فى التنور لا عدمت النور قال ثعلب كل اسم على فعول فهو مفتوح الاول مثل تنور وكلوب وشبوط وسفود وسمور الا السبوح والقدوس فالضم فيهما اكثر وقد يفتحان قال أبو عبيدة ولم يسمع فى الكلام فاعول الا غير مهموز مثل طاوس وداود ولا فعل بضم الفاء والعين الاذول وهو دويبة تشبه ابن عرس ولا فعيل مفتوح الفاء وثم فعليل بالكسر مثل زنبيل أو زبيل فان فتحت فقل زبيل مخففا مثل زبير قال ولم يسمع فى الكلام فعل وفعل الا أربعة مثل ومثل وبدل وبدل وشبه وشبه ونكل ونكل والبدل البديل ويقال بدل وبديل وأبدال وبدل الشئ غيره والبدل وجع فى اليدين والرجلين يقال بدل يبدل بدلا والبديل واحد الابدال وهم قوم صالحون اذا مات واحد أبدل الله مكانه آخر فلا تخلو الارض منهم قال ولم يأت فى الكلام فعلان مفتوح الفاء من غير ذوات التضعيف الاحرف واحد ناقة خزعال وهى اذا كان بها ظلع وزاد ثعلب قهقار وخالفه الناس وقالوا قهقر وزاد أبو مالك قسطال وهو الغبار وأما فى المضاعف فكثير كالقلقال والزلزال ولى بهذا المعكوس ولوع وله بقلبى وقوع وقد عنيت به فيما خلا من الازمان نعم وحتى الآن وقلت فى ذلك

قد ماشغفت بذا المعكوس ان له * لذاذة عند ما يصطاده الفكر

وحق ذا لجميع الشعر أرملة * أنثى وذا النوع منه الاعزب الذكر

والحريري رحمه الله امام هذا الشان وفارس الميدان لم ينسج أحد على منواله ولا رأيت أحدا أتى بمثاله ساق منه فى مقاماته خمسة أبيات بمثلها أحد لم يات وأنا اعترني وقت قراءتها مع بعض الطلبة ممن له جلبة ولا غلبة كلام طويل عريض أدى الى أن صنعت منها عشرة أبيات على القافية والعروض وان لم تكن ابنة أمها فهي بنت عمها وقد كفيتك لومي يومي وبينت لك لبسي بما قلته مخاطبا النفس وهو

لا يغرنك ان أتيت بمقلوب من الشعر طل وهو كثير

فالذي سقت منه فهو طميث * والذي ساقه الحريري حرير

وكنت لما قلت ذلك الشعر أريته شيخنا الفقيه الخطيب أبا محمد عبد الوهاب بن علي وسألته هل قال من هذا النوع شيئا أو رآه لغيره فكتب الى بعد كلام ونظرت الى صنف من المقلوب أخذ بجامع القلوب ولم أر مثل هذا النوع نوعا يأبى أن ينقاد لا كرها ولا طوعا كم أعيا شعراء حذاقا راموه فما وجدوا له مذاقا واذا وقع منهم الفذ الفريد على البعض مما يريد صدر عن قريحة معذبه وألفاظ لا فصيحة ولا مستعذبه وادرمت ذلك مدة الشباب ولزمت أسكفة الباب وأكثرت القرع وشمرت للولوج الدرع ثم لا أذن تسمع الاذن فتلذذ لك القول ولا رجل تفارق الحجل فتأخذ فى الدخول فعندها ثنيت عناني ومضيت لشاني وأنت أيها الصفوة النحول قد تهيأ لك الدخول وتمكنت من تلك الدار وسكنتها بمساعدة الاقدار فامدد بها رحليك فلا حرج عليك فى كلام كثير اختصرته (قلت) وأنت أيها الناظر فى أحرى لا تلتفت الى المدح ولا الى القدح وانظر الى بيت واحد من تلك القطعة أثبته لك فى هذه الرقعة فان استقللت خيره فقل غيره والانعم الديك وقل بنفسي أفديك وهو

أسال من من الا * لا ان من مل أسا

هذا أحد الابيات العشره حروفه بين يديك منتشره فاعكسه وقسه فان استحسنته فاجبذه وان استخشنته فانبذه ألا واحد الآلاء وهي النعم ولي فى هذا النوع من المقلوب نحو العشرين بيتا قد جمعتها فى غير هذا الموضع انظرها فى التكميل مع ما يشبهها من هذا القبيل وسيأتي من ذلك طرف عندي من اللباب فى باب ناب وتاب وهذا الباب يستظرفه أهل الآداب وربما يكتبون الكلمة فيلغزون بمقلوبها على من لا يفهم غير مكتوبها فاذا عكسها المكتوب اليه بها كان

لسرها

لسرها منتبها كما يحكى ان امرأة أديبة ظريفة لبيبة رحلها زوجها الى أرض غربة لم يكن لها بها مفرج كربة فاحتاجت الى ما يحتاج اليه النساء من الاستعداد واستحيت أن تطلع على ذلك أحدا من الانداد فكتبت بيتى شعر الى أبيها أظن أو أمها تلغز فيهما بهمها وكانت تلك البنت بحصن يعرف بالنبت فقالت

النبت شر مكان * لا أعدمن فيه بوسا

فقدت هرون فيه * فابعث الى بموسى

ومعكوس هرون على هذا الشكل نوره فانظر الى هذه الحرة الرشيدة كيف أخفت الموسى الحديده حين جعلت هرون لها ترسا وكيف أخفت النورة فيه كى تنسى فلا يهتدى لها حتى تقرأ عكسا وقد أعجبت أخرى بأغرب من هذا كانت تهوى غلاما اسمه رشا فصحفته زينبا (وقالت)

أضحى الفؤاد بزينبا * صبا كئيبا معربا

فجعلت زينب سترة * وكتمت أمرا معجبا

وأقول الاولى عندى أعجب وتقديمها أوجب ومثل هذا التصحيف ما قاله عباد ابن ماء السماء لما تفاءل وقد أهدى اليه سفرجل

أهدى اليه سفرجل فتطيرا * منه وظل مفكرا مستشعرا

خوف الفراق لان شطر هجائه * سفر وحق له بأن يتطيرا

أخذ هذا المعنى الحصرى فقال

متحفى بالسفرجل * لا أحب السفرجلا

مبتداه سفرجل * سفر جل واعتلى

ونمى هذا الى أبى محمد البسترينى فقال فى ضده

ما فى السفرجل شئ يستراب به * فلا تبت منه مطويا على وجل

واقبل هديته من راحتى مرة * راحت عليك به أو راحتى رجل

انى نظرت الى تصحيف أحرفه * فانفك منهن لى بث يفرج لى

ولا تقل سفرجل البلاء به * أو حل منه وقوع الحادث الجلل

ومن هذا النوع من التصحيف أيضا ما يحكى عن أمير حسيب شريف كان يمشى مع وزير له أديب ظريف فمرا فى طريقهما بنسوة نسا بين فقال أحدهما لصاحبه الجباسين وقال له الآخر الجبارين ففهم كل واحد منهما ما أراد صاحبه أما الجباسين

فتصحيفه الخناشين وأما الجبارين فتصحيفه الخبازين ومن التصحيف الظريف مايذكر أن رجلا رأى فى منامه كأن قرمدة من السقف سقطت عليه فأتى لمعبر فى زمانه فسأله عن منامه فقال له المعبر نويت سفرا عن قريب قال نعم قال له لا تسافر فى هذا الوقت فان تصحيف قرمدة قرمدة فأقام الرجل وتبين له بعد ذلك ان الخبر كان فى مقامه (ومثله من التصحيف) ان مدينة آبدة أخذها ثائر فى زمان الفتنة فبعث الامير يستخبر أمرها فوجدها قد أخذت فجاء الى الامير وهو فى الناس فكره أن يفشى ذلك الامر فورّى بأن قال احدب آبده ففهم الامير ما قال والآبدة من أسماء الدواهى وهذا النوع من الادب يجذب ولا يجذب * ودرنك فائدة فى الجذب والجذب أحلى من الخصب بعد الجدب جبذ وجذب وهما سواء والجدب بالدال المهملة غير المعجمة ضد الخصب وجدب فلان فلانا سبه وشتمه وهذه أيضا فائدة على ما تقدم زائدة كمل الكلام فى معانى هذه اللفظة عندى بأسرها ولا أرتبط لحصرها لانى أجهل ماغيرى به زعيم وفوق كل ذى علم عليم وسأتيكم أيها الحفاظ فى هذا الكتاب بألفاظ

نشطت اليها فصرفتها * على النص ثمت عكسا وقلبا
فهما تسرّبها فى الكتاب فادع لمن فيه أتعب قلبا

وأختم لكم هذا الفصل أيها البنون بفائدة كبيرة فى قوله تعالى عمّ يتساءلون على معنى من التفصيل ذكره صاحب التحصيل يكون كفارة لما تقدم لان الشرّ بالخير يهدم قرأ ابن مسعود عما يتساءلون بألف وكذلك قرأ عكرمة وغيره ومن حذف وهو الاكثر فللفرق بين الاستفهام والخبر وقوله عن النبأ العظيم ليس متعلق عن يتساءلون الظاهر فى التلاوة لانه كان يلزم دخول حرف الاستفهام فيقول أعن النبأ يتساءلون كقولك كم مالك أثلاثون أم أربعون فوجب لما امتنع أن يتعلق بيتساءلون الذى فى التلاوة أن يتعلق بيتساءلون آخر مضمر تقديره عن أىّ شئ يتساءلون فقيل يتساءلون عن النبأ العظيم وحسن ذلك بتقديم يتساءلون فأضمر يتساءلون آخر والله أعلم بكتابه والنبأ العظيم هنا هو البعث بعد الموت وكانوا ينكرونه * فرغت من التعريف بما فى هذين الاسمين من التصريف على حدّ من التوسيط بين الافراط والتفريط * وقد صنعت لك أبياتا أيها الاديب الظريف أفضل فيها العلم على التليد والطريف فان تعلمتها فأنت العريف وان تفهمتها فأنت الشريف

ما جعلها

فاجعلها فى صدرك لعلك تدرك

لتصريف العلوم ألذما * أصرفه من الذهب المصفى
لان العلم ينفع دون مال * وليس كذلك نفع المال يلفى
ويكفى المال عيبا أنه صامت والعلم ينطق ليس يخفى
ويكفى المال أن لافوح فيه * وأن العلم تلقى فيه عرفا
يشهى حامليه لنشره حيث حلوا واتروا أدبا وظرفا
ترى الاقوام ان علموا ولا مال عندهم هم كالشمس عرفا
وان جمعوا الدراهم دون علم * فهم نعم وقل عدم بلا خفى
ولكن يافتى للعلم شرط * به تزداد فى الخيرات ضعفا
تكون بما تعلم عاملا لا * تضيع من جميع العلم حرفا
فهذا شرطه وعليه تقوى * بتقوى الله فاتقه لتكفى
وهذى وصيتى فاعمل بها لا * تضعها بعد ذا عجزا وضعفا
فانك ان أضعت قرعت سنا * أسى وندامة وازددت لهفا
وما التوفيق والتسديد الا * من المولى فمد اليه كفا

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه العلم خير من المال لان العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه (وقال) مصعب بن الزبير تعلم العلم فان لم يكن لك مال كان لك مالا وان كان لك مال كان لك جمالا والكلام فى هذا المعنى كثير وما التوفيق الا من عند الله الذى هو على كل شئ قدير (قلت) والذى يعينك أيها الطالب على العلم الدرس مع الفهم ولا يزال فى يدك كتاب تتعلمه فافهمه فانه نعم الجليس ونعم الصاحب والانيس ألم تسمع قول الشاعر ذى العتاب * وخير جليس فى الزمان كتاب * أنشدنى الشيخ الفقيه الاديب أبو محمد عبد الوهاب رحمه الله لبعضهم وكتبه لى بخط يده رضى الله عنه

ياماجدا أثنى على مالك * ممتدحا فى شعره مالكا
شيمتك الافضال يامفضل * وأنت مطبوع على ذلكا
فان يكن يهلك لى مالك * فلا ترانى بعده هالكا
ما النور الا كتب حازها * بنسك من نسخك أو مالكا
فأنت فيها كل حين ترى * بعض الذى مر على بالكا

فان يكن أقفلها واضع * فعند أخرى فتح أقفالكا
ما كل حين تجد الشيخ ذا * ميسرة وقتا لاشغالكا
لاسيما ان كنت ذا قلة * فأنت مهجور لاقلالكا
وربما أبرمته فاشتكى * والكتب لاتدرى باملالكا
فالكتب لاتعدم اساءة * فاستبقها فى حمل أثقالكا
أخلل بها عما ترى دارسا * ففخرها فى فرط اخلالكا

وقد تقدم فى أول الكتاب * اعكف على الكتب وادرس * تؤتى فخار النبوة
فالله قال ليحيى * خذ الكتاب بقوة

وقد حضضت فى شعرى كما تقدم وفى فهرستى أبيات منها

عليك بدرس الكتب تسم الى العلى * وتدعى شريفا كالذوائب من فهر

وحكى أحمد بن أبى عمران قال كنت يوما عند أبى أيوب أحمد بن شجاع وقد تخلف فى منزله فبعث غلاما من غلمانه الى أبى عبد الله بن الاعرابى صاحب الغريب يسأله المجىء اليه فعاد الغلام وقال قد سألته ذلك فقال عندى قوم من العرب فاذا قضيت أربى معهم أتيت قال الغلام وما رأيت عنده أحدا الا أنى رأيته وبين يديه كتب ينظر فى هذا مرة وفى هذا مرة ثم ماشعرنا حتى جاء فقال له أبو أيوب يا أبا عبد الله سبحان الله العظيم تخلفت عنا وأحرمتنا الانس بك وأنه قال لى الغلام ما رأى عندك أحدا وقد قلت له انا مع قوم من الاعراب فاذا قضيت أربى معهم أتيت فأنشد

لنا جلساء لا نمل حديثهم * ألباء مأمونون غيبا ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم من مضى * وعقلا وتأديبا ورأيا مسددا
فلا فتنة تخشى ولا سوء عشرة * ولا نتقى منهم لسانا ولا يدا
فان قلت أحياء فلست بكاذب * وان قلت أموات فلست مفندا

وقلت خرجت من شئ الى غيره * والعلم خل الخاشع الخاضع
فاعمل بما كنت له عالما * واسترحم الرحمن للواضع

وأنت قد خرج لك من لفظ زيد وعمرو بحر كلام غمر مع التعويل على ترك التطويل والعلم القليل والذهن الكليل فاقنع بهذا التعليل ففيه شفاء العليل والطفاء الغليل وقد كنت لما أردت جمع تلك الابيات المتقدمة جمعت من هذه الالفاظ الاشكال نحو خمسين بيتا على تلك القافية المتقدمة نحو

وعم وغم وعمّ وغمّ * وغمّ وعمّ وعل وعل

ونحو وخل وخلّ وجلّ وحلّ * وحل وخل وحل وجلّ

وغير ذلك مما أردت أن أحصر فيه هذا الفن فرأيته بحر الا يرتبط وغمر الا ينضبط فرجعت الى الالف والباء مع سائر الحروف التي جمعتها في الابيات (فقلت) ان عمل بسائر الحروف كما عمل بالالف مع الباء فيستخرج ذلك وغيره وقد كان ذلك في الشعر أيضا أبيات كل كلمة على ثلاثة أحرف نحو (زيد وزند وزبد وزيد) مثل ما تقدم ومثل (وخبر وخبر وخير وختر) الى غير ذلك وقد اعترانى مع بعض الطلبة نوع من هذا اذ حدثتهم أن الوزير أبا عبد الله بن شرف رحمه الله صنع ست كلمات لكل كلمة معنى غير الاخرى وهي (يعة يعه) الكلمات المتقدمات فاستغرب ذلك وقال لا يقدر في هذا الزمان أحد على مثل هذا فأخذت تبنة من الارض فصحفتها على ستة وسبعين مرة ولم أغير شكلها غير انها منثورة دون وزن ثم اني وصلت منها في شطر واحد ست عشرة لفظة تقرؤها متصلة يكون لها معنى آخذ من الحسن بطرف مثل الذي لابن شرف ومثال ذلك (نبه تنبه بنية بنية تبنة تنبه بنيه بثنة بنية) والنبية هنا البعد وكذلك فكذلك الى آخر الكلمات ثم اني نظمت منها بيتين اثنين موزونين وقد تقدم ذكرهذا في أول الكتاب وكذا فعلت معهم في هجاء يرملون الاحرف الستة صحفتها وقلبتها خمسين مرة لكن على غير شكل هذه اللفظة على أنواع من العكس والقلب مثال ذلك أن معكوس يرملون (نول مرى) ومقلوبه (لون مرى ولونى مرّ ونيل مرو وولى نمر ونمير ول) وكذلك فكذلك الى آخر العدد وقد جمعت هذه الكلمات وأضفت اليها الشعر الملغز به المتقدم الذكر في ألفاظ التبنة المذكورة وما كان من هذا الجنس وما أجاب عليه بعض من رآه فجاء من جميعها كراسة كبيرة وضمنتها كتاب التكميل المذكور فانظرها هنالك فهو فيها مسطور (وقد تقدم ذكرها أيضا) وانما ذكرت هذا لتعلم ان هذا اللسان العربي عجب من عجائب الله ليس لاحد من الامم ما للعرب من ذلك وسأمثل لك من هذا النوع هنا شيئا تتقبل به نخذها مائدة زبدة تزيد أذكرها لك أي (فل فل أي قل فان قلت لي كذا أقل لك نعم دامت لك النعم ها أنا اذا أجيب * بالامر العجيب ولا أزيدك أي فل على قل قل فأقول نداني يالك فل وأمرك لي قل اذا جمعتهما جاء منهما فل قل كلام له معنى فأول ما أبدأ بالفاء اذا كتبت لك ما شكله ف

بلا ضبط ولا نقط وقيل لك تكلم على هذا الشكل علمت بصورته أنه ليس بألف ولا دال ولا غير ذلك فلم يحتمل الا أن يكون فاء أو قافا وأقرب ماتقول فيه فاء لأن القاف لا تكون على هذا الشكل منفردا فتقول فيها فا وتقول فيها ماقلته في العين والغين المتقدمتين من أنها تدل على العدد المعلوم في أبي جاد فان كسرتها (فقلت) ف رجعت أمرا من وفى يفي وجاء منها في الحديث على هيئة صورتها في التهجي ماخرج مسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الدجال مكتوب بين عينيه (ك ف ر) أى كافر وفي رواية أخرى مكتوب بين عينيه كافر ثم تهجاها ك ف ر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب (وجاء في فضائل عمر بن العزيز) رضي الله عنه عن الليث بن سعد أن رجلا رأى في المنام مناديا ينادى من السماء جاءكم اللين والدين والعمل الصالح في المصلين فقال الناس من فنزل المنادى من السماء حتى كتب في الارض (ع م ر) يريد عمر وكان ذلك في مولده سنة احدى وستين وثبت قتل الحسين بن على رضي الله عنهما وولى الخلافة سنة تسع وتسعين وتوفي سنة احدى ومائة في رجب وكانت ولايته سنتين وخمسة أشهر وأربع ليال وفضائله رضي الله عنه مشهورة مذكورة * فان كتبتها معربة فأخرج من صورتها معنى آخر وهو فاء تقول منه فاء يفيء فيئا ومنه في القرآن العزيز فان فاؤا حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت وسيأتي هذا مع ذكر الفيء في بابه من هذا الكتاب مع الفاء الحرف العامل في الاسماء والافعال ان شاء الله (وقد تقدم مادلت عليه من المعنى في قول الشاعر * ألا فا ألا تا * وكذلك تقول رأيت فاز يد تريد فمه وسيأتي وفي رجال الحديث من اسمه (فأفاء) أخرج الدارقطني من حديث بشر بن فأفاء حديث الصلاة في السفينة فذكره ويقال رجل فأفاء على وزن فعلال اذا تردد في الفاء وفيه فأفأة والكلام في القاف في قولك ق مثل الكلام في الفاء وسيأتي الكلام أيضا في قوله تعالى ق والقرآن المجيد واختلاف القراء في ذلك الا أنه بقي من شكل فاء قاء فعل أيضا من القيء وقد جاء في الحديث مواضع على ماستراه وقد فسر أبو عبيد حديث النبي صلى الله عليه وسلم في الصبي الذى كان به جنون فمسح صدره ودعا له فثع ثعة فخرج من جوفه جرو أسود يسعى قال معناه قاء قيئة ويقال أثاع الرجل اثاعة اذا قاء فهو مثيع والقيء مثاع وأنشد * تمج عروقنا علقا مثاعا * يصف الجراحات قاله صاحب العين ويقال هاع يهوع هوعا اذا قاء بلا كلفة وهوعته

قبأنه وكذلك ان كتبت معر باقاف جاءمنه أيضا معنى آخر وقد تقدم قول الشاعر
* قلت لها قفى فقالت قاف * وسيجىء قاف مع معكوسه فاق فى بابه ان شاء الله
و يأتى من مقلوب قاف أفق من رقـدتك وأفق جمع أفيق وهو الاديم وقد تقـدم
وسيأتى الكلام عليه بحول الله وقوته وقال صاحب العين الافيق الاديم والجمع أفق
والافقة مرقة من مرق الاهاب وقال السيرافى لم يجمع فعيل على فعل الا فى أفيق
وأفق وأديم وأدم وقضيم وقضم وهى الصحيفة وقال غيره ويجمع آفقة وأديم
وآدمة مثل رغيف وأرغفة (رجع) ويأتى منه أفق واحد الآفاق قال ع يقال
أفاق الرجل يأفق اذا ركب رأسه فى الآفاق ومنه رجل أفقى بفتح الهمزة والفاء
وكان أبو نصر وغيره يقول بضمها وهو القياس وقد جاء أفق بمعنى فضل قال الاعشى
ولا الملك النعمان يوم لقيته * بأمته يعطى القطوط ويأفق
والقطوط جمع قط وهى الصحيفة من قوله تعالى عجل لنا قطنا أى حسابنا فمعنى
البيت أنه يكتب الجوائز فى الصحف و يفضل والامة النعمة ومن القط حديث زيد
أنه كان لا يرى ببيع القطوط بأسا خرجه ثابت وقال القطوط الارزاق وأصل القط
الكتاب وانما سمى الرزق قطا لانه كان يكتب به الى الناحية التى يكون بها
حق السلطان من الطعام وكره مالك رحمه الله وطائفة من العلماء هذا وهى الصكوك
التى ذكر فى الموطأ أن مروان بن الحكم رحمه الله كان يبعث الحرس ينتزعونها من
أيدى الناس لان ذلك من بيع الطعام قبل أن يستوفى وسيأتى القط بفتح القاف فى
باب الدال ان شاء الله تعالى (رجع) ويأتى من مقلوبه أقف بمعنى اتبع من قوله
تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وأقف انا من وقف * وقفا واحد الاقفاء ويجمع أيضا
على أقفية ويقال قافية (ومنه) الحديث يعقد الشيطان على قافية أحدكم وهو
مؤخر الرأس وسميت القافية بذلك لانها آخر البيت والقفن لغة لبعض العرب
وكذلك القفى والقفو يقولون ذلك عند الوقف و يقولون ذلك أيضا اذا وصلوه بالضمير
مثل قفيك وقفى كما قالوا عليك وعلى ومنه حديث ابن الزبير رضى الله عنه وضعوا
اللج فى قفى وسيأتى ومثله قول الشاعر .
سبقوا هوى وأعنقوا لهواهم * فتخرموا ولكل جنب مصرع
وأنكر الزبيدى ذكر القفن والوشحن فى الرجز الذى أنشده بعض العرب وهو
أحب منك موضع الوشحن * وموضع الازار والقفن

(وقال) انما جاء لغير الفصحاء وهو كالعبث ممن قاله وقد أجازه غيره وقال يقال القفن في موضع القفا فتزاد فيه النون مشددة وأنشد الرجز المتقدم وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه انى أستعمل الرجل الفاجر لاستعين بقوته ثم أكون على قفانه والقفاوة البر واللطف والقفى الضيف المكرم وفلان قفى بفلان ويقال لفلان عندى قفية ومزية ولكن يقال أقفية ولا يقال أمزية قاله ثابت وقال عمر بن الخطاب في العباس رضى الله عنهما قفية آبائه يريد تلوهم وسيأتى يقال هذا قفى الاشياخ وقفهم وسيأتى الكلام في القافة في باب القاف مع قف وغيره والقفينة بالنون هى الشاة التى تذبح من قفاها وقد قفنها قفنا وهو منهى عنه فان ذبحها في الحلق فقطع الرأس فقد جاء في حديث ابراهيم النخعى رضى الله عنه فيمن ذبح فأبان الرأس يقال تلك القفينة لا بأس بها وقد يقال في هذا ان النون زائدة لانها القفية ويقال الياء الاخيرة بدل من النون لانها لو كانت أصلا لبقى الفعل بلا لام في قولك قفنها ولا يعرف أبو زيد الا القفية بالياء ويقال القفن أن تضرب بعصا أو سيف فتموت وهذا منهى عنه أيضا بل حرام لانه بالعصا وقذ وبالسيف عقر ويأتى من شكل قفا قفانبك وقفأ عينه بالهمز وقفا بغير همز مقصور وهو النمس الاخضر اذا انتفخ وعليه قشرة غليظة قبل أن يدرك ولم يحمر قاله ثابت وفسره في قول الراجز

وصار لى مثل القفا ضمر اثرى * مخضر نطقات عسراعواسرى
فصرت ما بينهما كالساحر

يقول انتفخت على من الغضب ومخر نطقات متعصبات عواسرى يحملنى على العسر * وربما بقى من هذا النوع مالا أعلمه الآن ويعلمه غيرى وأذكرك أبياتا ذكر فيها القفا مما أنشدنى الحافظ رحمه الله قال أنشدنى القاضى أبو محمد الحسن ابن نصر بن مرهف النهاوندى بها قال أنشدنى الاديب المأمون عمر ولنفسه

لى على الناس فضل نظم ونثر * من أباه هجوته وأباه
واذا ما أتى صفعت قفاه * وقفا من أعانه وقفاه

ولى من هذا النوع قطعة مطولة منها

حبذا غادة تخوطة بان * لو رآها الحكيم كرر آها
أدبا جمعت وخلقا وخلقا * أبواها بذلكم حبواها
رحماها عن أن تطار حماها * وحماها عن أن تضام حماها

كم بها هام ويحه من همام * فنهاها عن القبيح نهاها
رام منها الحرام قبلة ثغر * فأبت أن يبوس فاها سفاها
قبل الارض حين لم يلق فاها * ثم لما ولت قفاها قفاها

الى آخر الابيات انظرها فى التكميل ويكون قفا بمعنى اتبع ويكون أيضا بمعنى قذف تقول قفوت الرجل أقفوه قفوا قذفته وسيجيء مستوفى فى باب القاف ان شاء الله تعالى *(فصل)* وقد فرق أهل اللغة بين الحروف التى آخرها حرف صحيح مثل الدال والذال وبين الحروف التى آخرها همزة مثل الطاء والظاء والفاء فقالوا كل حرف بعد ألفه حرف صحيح فانه يرجع الى الواو فى التصغير فتقول فى الدال دويلة وفى الذال ذويلة وتقول فى الظاء ظيية وظييت ظاء اذا صورتها وقياس الواو فى النحو أن تقول فى تصغيرها أوية وتنسب الى ما كان آخره همزة مثل الياء والهاء فتقول لقصيدة الياوية والهاوية والى ما كان آخره حرفا كالصاد والكاف والقاف فتقول الصادية والكافية والقافية *(فصل)* فان عكست هاتين اللفظتين أعنى فا وقا جاء منهما أف وأق وستراهما فى مكانهما وما يؤديان من المعانى واختلاف القراء فى أف ان شاء الله (ثم نرجع) الى اللام المتقدمة فى فل فان كتبتها ل ولم تشكلها دلت على العدد المتقدم وان كسرتها جاء منها فعل أمر من ولى يلى كما تقدم فى الفاء والقاف وان كتبتها على هذا الشكل لام معربة جاء منها فعل تقول لام فلان فلانا على كذا وكذا بمعنى عتب وعذل من قولك لام يلوم لوما وكان فى العرب من اسمه لام وهو جد أوس بن حارثة بن لام الطائى وهو مشهور شريف فى العرب (وجاء لام فى الحديث) حين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الارض تكون يوم القيامة خبزة واحدة كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فنظر النبى صلى الله عليه وسلم الناس فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال ألا أخبركم بادامهم قال ادامهم لام ونون قالوا اما هذا قال ثور ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفا ذكر فى الحديث باللام ونون فلا أدرى أهو اسم واحد بكماله لانى رويته فى مسلم بضم الميم أم هو حرف تهجى من حروف المعجم والله أعلم فان همزت الالف مع اللام جاء منه معنى تقول لأم بين الشيئين جمع بينهما وفى الدعاء من هذا ألأم الله شعثكم ولأم شعثكم وتقول هذا شئ لأم أى مجتمع ملتئم ومآل مرجع ومصير ومال أمر من مالأت اذا تركت همزه فى الامر ويأتى منه مال منادى مرخم وقد قرئ فى القرآن

ونادوا يامال قراءة علىّ وابن مسعود رضى الله عنهما ولى شعر مطوّل قوافيه كلها مال مال انظره فى التكميل ان شاء الله وشعر آخر قوافيه كلها مال ذلك مال ذلكما الى خمسة عشر مرة و يأتى من مقلوبه امل وأمل على الكتاب وأمل الىّ رأسك وآمل اسم بلد واليه ينسب أبوسعيد الآملى من أهل الحديث وآمل اسم فاعل وكذلك اذا أدخلت على مل ألف الاستفهام قلت أمل زيد كذا أم لا وأمل كذا من الامل وغير ذلك مما اذا طلبته وجدته ويأتى من مقلوبه أيضا ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه وكذلك الم وألمّ فى الامر وألم فعل مضى فان أضفت الى الفاء اللام جاء منه فل مخفف من فلان وليس بترخيم و يأتى الكلام عليه فى بابه ان شاء الله تعالى وفل السيف وفل القوم المنهزمين وغير ذلك مما يأتى بعد ذلك مع معكوسه لف ولف فى باب الفاء ان شاء الله فان جعلت الفاء قافا جاء منه قل أمر من القول وتكلم العلماء فى معنى اثبات هذه اللفظة حيثما وقعت فى القرآن مثل قوله تعالى قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وغيره فخرج البخارى عن أبى قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قيل لى قل قال فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما قرأته على الحافظ بالاسناد المتصل الى أبىّ رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى حديث فقيل لى قل فقلت لكم فقولوا قال أبىّ فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن نقول وقال بعض العلماء جاء بذلك جبريل عليه السلام مكتوبا كذلك فلم يكن يسقط منه شيئا وفى القرآن منه شئ كثير قل يا أيها الناس وقل انما أنا بشر وقل أعوذ وغير ذلك والله أعلم بما أراد من ذلك (ويأتى منه أيضا) قل من القائلة وقل من القل وغير ذلك مما يأتى مع معكوسه لق واق فى بابه ان شاء الله تعالى فان ذكرت الفاء واللام مع القاف جاء منه فلق فعل بمعنى شق ومنه قوله تعالى فالق الاصباح قال أهل التفسير معناه شاق الضياء عن الظلام وكذا قالوا فى قوله تعالى ان الله فالق الحبّ والنوى قال ابن عباس معنى فالق خالق وقال مجاهد هو الشق الذى فى الحبة والنواة وقال الحسن وقتادة هو فلق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة وكثيرا ما كان على بن أبى طالب يقسم والذى فلق الحبة و برأ النسمة وسيأتى ان شاء الله تعالى و يكون منه فلق أيضا كقوله تعالى قل أعوذ برب الفلق قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما الفلق الصبح وذلك لان عموده ينفلق بالضياء عن الظلام وقال ابن عباس الفلق الخلق وقد تقدم

فى فالق الحب والنوى وعنه أيضا الفلق سجن فى جهنم وقال كعب بيت فى جهنم وقال ابن جبير هو جب فى جهنم وسيأتى تفسيره فى باب الد الى ان شاء الله نعوذ بالله من جميع عذابه وأليم عقابه والفلق الفجر والله فلقه أى برأه ومنه قولهم والذى فلق البحر لموسى وهذا أبين من فلق الصبح وفرقه وسمعته من فلق فيه وضربته على فلق رأسه والفلق بالكسر واحدتها فلقة والفلق والفليق والفيلق الداهية والفيلق أيضا الكتيبة الشديدة والفليق والفليقة الشئ العجيب قال الشاعر

يا عجبا لهذه الفليقه * هل تذهبن القوباء الريقه

والقوباء تمد وذكر بعضهم أنها لا تمد قاله ثابت رحمه الله وهى مأخوذة من القوب وهو التقوير وقالوا شاعر مفلق والمفلاق الرذل الدنىء والفلق والفالق مطمئن بين ربوتين قاله صاحب العين ويأتى من معكوسه قلف وهو مصدر الاقلف وفى البخارى قال الحسن وابراهيم لا بأس بذبيحة الاقلف والقلفة الجلدة ذكر ذلك صاحب العين يريد به الذى لم يبالغ فى قطع ذلك منه عند الختان والله أعلم (قال) والقلف اقتلاع الظفر من أصله (ومن مقلوبه) قفل الجند قفولا وقفلا رجعوا واقفلتهم انا وهم القفل وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قفل من خيبر أسرى ويجىء مصدر هذا قفولا كما تقدم وجاء فى حديث آخر فلما أردنا الاقفال من عنده سألت عنه بعض أشياخى فقال قد يجىء المصدر على غير المصدر كما قال تعالى أنبتكم من الارض نباتا وتقول قفل السقاء قفولا يبس وشيخ قافل وأقفلت القفل وأعطيته ألفا قفلة أى مرة ومن هذا قول عبد الملك بن حبيب القرطبى رحمه الله

صلاح أمرى والذى أبتغى * هين على الرحمن فى قدرته
ألف من الحمر وأقلل بها * لعالم أزرى على بغيته
زرياب قد يأخذها قفلة * وصنعتى أشرف من صنعته

وكان زرياب مغنيا مشهورا (ومن مقلوبه أيضا اللقف) تناول الشئ اذا لقفته ورجل لقف وسيأتى والتلقف الابتلاع (وفى الكتاب العزيز) تلقف ما صنعوا واللقيف الحوض الذى لم يطين ويقال الملآن واللفق خياطة الثوبين تلفق أحدهما بالآخر ويقال لهما ماداما ملفوقين اللفاق وكلاهما لفقان ماداما منضمين (ومن مقلوبه أيضا) بفاء بين لفف فى اللسان والكلام وبقافين قلق وقلق وسيأتى فان زدت على هذه الحروف اللام الاخرى جاء منه فلفل شجر وقلقل وسيأتى مع القاعلة التى

هي الحركة وجاء من معكوسه لقلق وهو اللسان وبقا من قلقل لهذا الحب المعلوم
وبقاء وقاف مقه ولا قل قل (رجع الكلام من حيث بدا) بعد ما نشأ منه ما نشأ
منه وفاق برزمن سماء اتفاق وخلاف خرج من غلاف وكلام عجاب كان عنك
في حجاب وانما ذكرت هذا كله لتعلم سعة هذا اللسان الشريف المستغرب الذي
لا يوجد الا عند العرب كما حدثني الحافظ السلفي عن بعض أشياخه رحم الله جميعهم
قالوا فضلت هذه الامة على سائر الامم بالاسناد والانساب والاعراب ولو كانت
هذه اللفظة على غير هذا الشكل لكان الكلام ربما أثر فيها أكثر لان فيها الا ما
مكررة كما أخرجت من بنيته ما ذكرت لك من العدد وغيري يجد أكثر مما وجدت
وأين تقع معرفتي في معرفة من فوقي وفوق كل ذي علم عليم *(فصل)* من نوع
ما تقدم من التذييل وتكثير القليل من ذلك اني ذكرت فيما تقدم النقط والشكل
فاعلم أن النقط في القرآن محدث وانما صنع ذلك لتعرف به أعيان الحروف
اصطلاحا دليل ذلك أن أهل هذه البلاد ينقطون الفاء واحدة من أسفل والقاف
واحدة من فوق وأهل المشرق ينقطون الفاء واحدة من فوق والقاف اثنتين من
فوق وقد رتب أهل العلم هذه الحروف أحسن ترتيب ضموا الاشكال بعضها الى
بعض مثل الباء والتاء والثاء والجيم والحاء والخاء الى غير ذلك مما هو معلوم وقدموا
الالف عليها لفضلها على ما سيأتي ان شاء الله وكذلك الباء ونقطوها واحدة للفرق
كما تقدم فلما أضافوا اليها التاء اذ كانت من شكلها نقطوها اثنين ثم الثاء ثلاثا
على نسق العدد ثم أضافوا اليها الجيم على حسب اتصالها بالباء في أبجد وكذلك
وصلوا الدال بالجيم ولا تحسب الاشكال مثل الحاء والخاء لانها من شكل الجيم
كما لا تحسب التاء والثاء لانها من شكل الباء ويحتمل أن يكون قدموا هذه اللفظة
أعني أبجد لان تصحيفه أب جد كأنه يسلك أبه جده فجد أنت وقدموا الاب على
الجد لان أباك أقرب اليك من جدك والله تعالى أعلم بالحكمة في ذلك ولما أضافوا
للجيم الحاء تركوها بلا نقط ونقطوا الخاء للفرق وكذلك سائر الازواج كلها مثل
الدال والذال والراء والزاي والطاء والظاء والصاد والضاد والعين والغين والسين
والشين وراعوا في أكثرها ترتيبها في أبجد مثل الكاف واللام والميم والنون في كلمن
وما شذ من ذلك فانما قدموه بحسب المخارج وهذه علة ترتيب أهل المشرق وحروفهم
على غير ترتيب بلاد المغرب ذكر أكثر هذه المعاني أبو عمرو المقري رحمه الله في كتاب

بحث النقط والشكل وترتيب الحروف

المحكم

المحكم أو لعل ذلك ليس يعلمه الا الله ومن علمه اياه من أنبيائه وأوليائه كما خلق صور
هذه الحروف على هذا الشكل والله تعالى أعلم وكذلك الشكل الذي هو النقط
والضبط أو الضبط بالحركات حسبما تقدم تخالف ما عندهم ما عندنا وكره طائفة
من العلماء نقط المصحف وقالوا جردوا القرآن ولا تخلطوه بشئ وفي لفظ آخر ولا
تخلطوا به ما ليس منه وكان الحسن وابن سيرين يكرهان نقط المصحف ولم يكن
منقوطا فيما تقدم وأرخص فيه طائفة أخرى وقالوا هو تنويرله (وقال ابن وهب)
حدثني الليث هو ابن سعد قال لا أرى بأسا بنقط المصحف بالعربية وقال ابن وهب
وسمعت مالكا يقول أما هذه الصغار يعني التي يتعلم فيها الصبيان فلا بأس بذلك
فيها وأما الامهات فلا أرى ذلك فيها وسئل ربيعة بن عبد الرحمن عن شكل القرآن
في المصحف قال لا بأس بذلك (وقال أبو عمرو المقرى في كتاب المقنع) أحدنا آليفه
اختلف الرواة لدينا في من نقط المصاحف من التابعين فروينا أن المبتدى بذلك
كان أبا الاسود الدؤلي رحمه الله تعالى وذلك أنه كان أراد أن يعمل كتابا في النحو يقوم
الناس به ما فسد من كلامهم اذ كان قرشيا فقال أرى أن أبتدئ باعراب القرآن
أولا فأحضر من يمسك المصحف وأحضر صبغا يخالف لون المداد وقال للذي يمسك
المصحف اذا فتحت شفتي فاجعل نقطة فوق الحرف واذا كسرتهما فاجعل النقطة
تحت الحرف واذا ضممتهما فاجعل النقطة الى جانب الحرف فان أتبعت شيئا من
هذه الحركات غنة فاجعل نقطتين ففعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف وذكر في
المحكم سبب ذلك أن معاوية رحمه الله تعالى كتب الى زياد يطلب عبيد الله ابنه فلما
قدم عليه وجده يلحن فرده الى زياد وكتب اليه كتابا يلومه فيه ويقول أمثل عبيد الله
يضيع فبعث زياد الى أبي الاسود فقال يا أبا الاسود ان هذه الحمراء قد كثرت
وأفسدت من ألسن العرب فلو وضعت شيئا يصلح به الناس كلامهم ويعرفون به
كلام الله تعالى فأبى ذلك أبو الاسود وكره اجابة زياد الى ما سأل فوجه زياد رجلا
فقال له اقعد في طريق أبي الاسود فاذا مر بك فاقرأ شيئا من القرآن وتعمد اللحن
فيه ففعل ذلك فلما مر به أبو الاسود رفع الرجل صوته فقال ان الله برىء من المشركين
ورسوله فاستعظم ذلك أبو الاسود وقال عز وجه الله أن يتبرأ من رسوله ثم رجع
من فوره الى زياد وقال يا هذا قد أجبتك الى ما سألت ورأيت أن أبدأ باعراب
القرآن فابعث الى ثلاثين رجلا فأحضرهم زياد فاختار منهم عشرة ثم لم يزل يختار

منهم حتى اختار منهم رجلا من عبد القيس فقال خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد وذكر الحديث المتقدم قال وروينا أن المبتدئ بذلك كان نصر بن عاصم الليثي وأنه الذى خمسها وعشرها وروينا أن ابن سيرين كان عنده مصحف نقطه يحيى بن يعمر وأن يحيى أول من نقطها وهؤلاء الثلاثة من جلة تابعي البصرة وأكثر العلماء على أن أبا الاسود كان المبتدئ بذلك جعل الحركات والتنوين لا غير وان الخليل بن أحمد هو الذى بدأ الهمز والمد والتشديد والروم والاشمام وأنه عمل الشكل الذى على الحروف وأخذه من صورة الحرف فالضمة واو صغيرة الصورة فى أعلى الحرف لئلا تلتبس بالواو المكتوبة والكسرة ياء تحت الحرف والفتحة ألف مسطوحة فوق الحرف وجعل الحرف المشدد شبه شين أخذه من أول شديد فاذا كان خفيفا جعل شبه خاء أخذه من خفيف *(فصل)* تقدم ذكر الحرف المعتل (قلت) وفيه معتبر لمن اعتبر وتبصرة لمن استبصر فضل الله بعض الكلمات على بعض كما فعل بجميع خلقه حتى بين الانبياء عليهم السلام فقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وقال فى الناس ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات وكذا هم فى الآخرة فمن الناس مبتلى ومعافى وكذلك الافعال أنظر ضرب ووفى اذا صرفت ضرب لم تنقص منه شيئا بل تزيده حرفا آخر فى أوله فتقول يضرب فاذا أمرت منه حذفت الياء وعوضت منها ألفا وقلت اضرب واذا صرفت وفى نقصت الواو وقلت يفى فاذا أمرت منه قلت فه ذهبت عنه الزوائد وحروف العلة وبقى فى نهاية من القلة وكذلك ان جزمته حذفته فقلت زيد لم يف وهذا مثال به اكتف فمع الامتحان لا يبقى الا الصحيح الصافى ولا يقبل الا الخالص الوافى كذلك العبد فى الدنيا يظن أنه يأتى بشئ وذلك الشئ كالفئ يلقى ربه عز وجل كما أخبر ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون وكما قال تعالى ويأتينا فردا الى غير ذلك من الآى (ويروى) أن أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد أيها الناس قدموا لانفسكم تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ألم يأتك رسولى فبلغك وآتيتك مالا وأفضلت عليك فما قدمت

لنفسك

لنفسك فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ثم ينظر قدامه فلا يرى شيئا غير جهنم ومن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فان بها تجزى الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (قلت) وعلى رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته عدد من سلم عليه ومن لم يسلم عليه أضعافا مضاعفة بغير نهاية ولا آخر وفي الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم وطرحت عليه ثم طرح في النار هذا حال من قد ذهب ماله وأخذت أعماله ثم انظر الى هذا المغتر كيف يحشر ان كان بماله مفتخرا وعلى عباد الله مستكبرا خرج الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشر المتكبرون يوم القيامة مثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون الى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الانيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال فمثل هذا الرجل المختل الحال مثل هذا الفعل المعتل بين الافعال (قلت) وما أحسن قول بعض الشعراء يمدح أحد الامراء رحمهما الله تعالى

اذا كان ما تنويه فعلا مضارعا * مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم

يصفه بأنه يخاف العواقب فيهب قبل حدوث النوائب مثل الفعل المضارع يعني أنه ينوي أن يعطي أو يهب هبة من ورق أو ذهب فيمضي ما نواه وهذا فعل الحر الحازم قبل دخول الحرف الجازم فيقال لم يعط ولم يهب فزال عنه اسم الجود وذهب ولا ينكر على هذا النوع من الاعتبار فقد فعله من فوقي من العلماء الكبار حدثني بعض أشياخي عن بعض أشياخه قال كنا ندخل على فلان العالم ونحن طلبته فيقول من أين أقبلتم فنقول من موضع كذا فقال لنا مرة واجتزتم بالسوق فقلنا نعم فقال وما رأيتم بها فقلنا كذا وكذا ورأينا فيها حوتا قد قلي ما رأينا أحسن منه فقال وما قال لكم فقلنا له سبحان الله وهل يتكلم الحوت مشيا مقلوا فقال انا لله وانا اليه راجعون تزعمون انكم طلبة حذاق والاشياء تكلمكم ولا تفهمون عنها فقلنا فأخبرنا أنت يرحمك الله فانا لا نعقل هذا فقال نعم قال لكم ذلك الحوت يا أيها الناس

قوله نار الانيار معناه نار النيران فجمع النار على انيار وأصلها أنوار لانها من الواو كما جاء في ريح وعيد أرياح وأعياد وهما من الواو اه نهاية

انظروا الى واعتبروا ففى معتبر بينا أنا فى الماء أسبح وأمرح اذ رأيت طعمة ملقاة فابتلعتها ولم أفتش مافيها فكان فى جوفها سنارة الصائد فأخرجت جنبى كما ترون هذا ماقال لكم وان لم يكلمكم حوارا كلمكم اعتبارا كم من لقمة تأكلون أنتم كل يوم ولا تفتشون مافى جوفها هذا معنى كلامه رحمهم الله أجمعين (ومثل هذه الحكاية) خرج أبوطالب المكى رحمه الله فى كتاب قوت القلوب عن بعض أهل الاعتبار أنه كان يمشى فى الوحل فكان يتقى ويشمر ثيابه عن ساقيه ويمشى فى جوانب الطريق الى أن زلقت رجله فى الوحل فأدخل رجليه فى وسط الوحل وجعل يمشى فى المحجة قال وبكى فقيل له ما يبكيك فقال هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب ويجانبها حتى يقع فى ذنب منها أو ذنبين فعندها يخوض فى الذنوب خوضا وكان بعضهم يعتبر بما يعتريه ويقول انى لاعرف ذنبى فى خلق حمارى وفى تسليط فأرتى على وصدق بقول الله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير (فان قلت هذا الذى ذكرته) كل أحد يدريه فأقول وأنا أيضا لم أخترعه وانما أخذته من كتب العلماء وهم ذكروه وتركت أشياء ذكروها لم اذكرها

(فصل) قد أخرجت لك أيها الولد مما فتح الله تعالى على من لفظة فلق علما أدبيا دنيويا وها أنا أخرج لك من لفظة التبنة المتقدمة الذكر بعون الله تعالى علما آخر زهديا أخرويا فأقول على بركة الله عز وجل يستدل بتلك التبنة على أنها مخلوقة وما خلق الله شيأ عبثا بل ما خلقه الا ليدل به على نفسه

ففى كل شئ له آية * تدل على أنه واحد

أول ذلك ماذكره بعض العلماء أنها تدل على أنها مقتطعة من نبات أكمل من الجماد كالحجر الذى لا ينمى ولا يغتذى وان هذا النبات خلقت فيه قوة تجتذب بها الغذاء الى نفسه من جهة أصله وعروقه التى فى الارض وهى العروق التى تتصل بالعروق الظاهرة فى الورقة وهى تتشعب الى غلاظ ودقاق تكاد تخفى عن البصر لدقتها وانها لا تجىء الا بأشياء تختص بها من تراب وماء وهواء اذ لو تركت الحبة فى البيت مثلا لم تزد ولم تنم لانه لا يحيط بها الا الهواء فقط وهو لا يصلح لغذائها وحده حتى ينضاف اليه التراب أو ما يتولد من الارض ولا بد من الاصل الاكبر وهو الماء لقوله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون ولو كان الماء أيضا وحده لم تتغذ به حتى يخالطها التراب فيصير طينا ثم يداخله الهواء اذ لو تركت الحبة فى

أرض ندية صلبة متراكبة لم تنبت حتى يصل اليها الهواء فيخلل الارض فتنشق كما قال تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا وانبات لا يتحرك بنفسه فلابد من ريح تحركه وتضربه بقهر وعنف على وجه الارض حتى ينفذ فيها واليه الاشارة بقوله تعالى وأرسلنا الرياح لواقح وانما القاحها فى ايقاع الازدواج بين الهواء والماء والارض ثم كل ذلك لا يغنى اذ الماء والارض باردان فانظر كيف سخر الله الشمس وهى مع بعدها عن الارض مسخنة للارض فى وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة اليه والحر عند الحاجة اليه ثم ان النبات اذا ارتفع عن الارض وأثمر كان فى الفواكه انعقاد وصلابة فتحتاج الى رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق الله القمر وجعل فيه خاصية الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصبغها بتقدير الفاطر الحكيم ولذلك لو كانت الاشجار فى ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة حتى ان الشجرة الصغيرة تفسد اذا أظلتها شجرة كبيرة وتعرف ترطيب القمر بأن تكشف رأسك فى الليل فتغلب على رأسك الرطوبة التى يعبر عنها بالزكام فكما يرطب رأسك يرطب الفواكه أيضا وليس هذا وحده بل كل كوكب فى السماء مسخر لنوع فائدة كالشمس والقمر علمه من علمه وجهله من جهله تصديق ذلك قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ولما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات الى آخر الآية قال ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته وسيأتى الحديث بذلك مستوفى فى باب الراء ان شاء الله تعالى ومعناه أن يقرأ ويترك التأمل ويقتصر فى فهم السماء على اللون وضوء الكواكب دون أن يعرف أنها مسخرة بأمر الله تعالى لمصالح عباده وبلاده ولا تظن أن معرفة ذلك تقدح فى الشرع لنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الاشتغال بعلم ذلك انما المنهى عنه أن تعتقد أنها فاعلة لآثارها مستقلة بها وانها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها فهذا كفر أو تعتقد تصديق ما يقول المنجم مما يدعيه من علم الغيب وهذا باطل اذ لا يعلم ما فى غد الا الله وتأكد النهى أيضا فيها لانها كانت تعبد وعابدوها يزعمون أنها تحكم وتقضى تعالى الله عن قولهم ولقد صدق الذى يقول

لو دبرت أنفسها لم تغب * والطلع الناقص كالكامل

فاذا قال الانسان قد أجرى الله العادة أنه متى حلت الشمس فى البرج الفلانى كان الحر لامحالة وكذلك فى البرد لم يكن الانسان بذلك مخطئا مالم ينسب ذلك الفعل لغير الله الفاعل سبحانه وتعالى كما يقول فى الصيف يحصد الزرع وفى الخريف تخترف الثمار لافرق فاذا المقصود أن غذاء النبات الذى كانت منه تلك النبتة أو الحشيشة لايتم الا بالتراب والماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك التى هى مركوزة فيها ولا تتم الافلاك الا بحركاتها ولا تتحرك الا بملائكة يحركونها وكذلك يتمادى ويتسلسل الامر فيه الى مالا يعلمه الا الله وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ومايعلم جنود ربك الا هو (فان قلت) ذكرت أن النبات لايكون الا فى الارض وبالماء وأنا أرى نباتا مثلا على الجرالصلد وعلى القرامد فى السقف والبصل فى البيت وأرى حيوانا يتولد فى الماء وحده دون تراب كالخابية والقلة وفى داخل الفاكهة والحيوان أغرب من النبات (فيقال لك لولا التراب) والغبار الذى على القرامد والطحلب الذى اجتمع فى الخابية وان قل مارأيت ذلك والا فانظر آنية مزججة حيث لايمكن أن يعلق بها شئ من الغبار هل ينبت فيها نبات ولما كانت القرامد والحجارة فيها من الخشونة وقلة الملوسة بحيث يسكن فيها الماء والغبار وان قل تكون فيها ذلك النبات بأمر الله ونبت واستقر عليها بقدرته ونبت وكذلك الطحلب النابت على الماء الراكد الكلام فيه واحد (فان قلت) فالبصل فى البيت قيل لك ليس ذلك ابتداء نبات انما هو فضلة ماء بقيت فى البصلة مما قد تكون قبل فى التراب وانظر الى الحكمة فى نباته ليس ينبت الا فى الفصل الذى فيه ينبت لوكان فى التراب بقدرة الله تعالى ولقد نظرت الى العنصل الذى تقول له العامة بصل الخنزير معلقا فى الفرن مقلوبا رأسه الى أسفل وقد أخرج عسلوجا وورقا ونورا ورفع رأسه الى جهة السقف وهو مع ذلك يصيبه دخان الفرن بكرة وعشيا ولكنه أخرج عسلوجه وورقه ونوره كما ذكرت حتى قلت فى ذلك أبياتا كأنها لغز

ألا قل لى فديتك مانبات * له ورق وعسلوج ونور
تراه يانعا من غير ماء * ولا ترب ولا يرعاه ثور

(وفيه أيضا)

ألا قل لى فديتك مانبات * له ورق على الاشبار تربى
تراه يانعا من غير ماء * ولا شمس ولا أرض وترب

وأعنى بذلك كونه معلقا فى الفرن كما تقدم (ودونك فائدة فى التراب) من غير الباب
قال الجوهرى التراب فيه لغات يقال تراب وتوراب وتورب وتيرب وتيراب
وترب وتربة وترباء وتريب وتريب وجمع التراب أتربة وتربان والترباء الارض
نفسها وترب الرجل أصابه التراب وترب افتقر كأنه لصق بالتراب وأتربت الشئ
جعلت عليه التراب (وفى الحديث أتربوا الكتاب) فانه انجح للحاجة وفى آخر فان
التراب مبارك وهو أنجح للحاجة وأترب الرجل استغنى كأنه صار له من المال بقدر
التراب والمتربة المسكنة والفاقة ومسكين ذو متربة أى لاصق بالتراب والتربات
الانامل واحدها تربة وهذه ترب هذه أى لدتها وهن أتراب والتريبة واحدة
الترائب وهن عظام الصدر وقيل موضع القلادة من الصدر وفى القرآن العزيز
من هذا يخرج من بين الصلب والترائب يعنى صلب الرجل وترائب المرأة
وفى القرآن العزيز أيضا من الترب التى هى اللدة قوله تعالى عربا أترابا يعنى
أترابا على سن واحدة بنات ثلاث وثلاثين سنة قال ابن سلام ومعنى عربا جمع عروب
وهى المتحببة الى زوجها وأصل الكلمة من المعاربة وهى المداعبة (وقال سعيد)
ابن جبير هن المتقتلات يقال تقتلت المرأة فى مشيتها مثل تهالكت اذا تساقطت
فى التغنج قال الشاعر * تقتلت لى حتى اذا ما قتلتنى * تنسكت ما هذا بفعل النواسك
(فان قلت فالحيوان فى جوف الثمرة) والفاكهة قبل لك الاصل واحد فأقام ما فيها
من الرطوبة مقام الماء وما فيها من الخثورة مقام التراب وتكون فيها ما تكون
بقدرة المكون وتصور وتلون بحكمة المصور والملون وهذه السنن التى سنها
فى عباده والحكم التى أظهرها لهم من ارتباط الاشياء بعضها ببعض وظهورها
بالوسائط والاسباب مثل كون الولد من الوالدين وخروج النار من بين الزندين
ونبات النبات بين الشيئين انما فائدتها لانخراق العادات للانبياء عليهم الصلاة
والسلام والاولياء رضى الله عنهم جعلها لهؤلاء فضيلة وكرامه وللانبياء عليهم
الصلاة والسلام معجزة وعلامه اذ لو قال النبى معجزتى أن أفعل لكم ما أردتم
من كذا وكذا ويشير الى المعتاد الذى يعرفه العباد لم تكن معجزة ولا استجاب له
أحد فاذا أتى بالشئ الذى يعجز عنه البشر من انخراق العادات ثبتت المعجزات
(مثال ذلك ان الله سبحانه وتعالى قد أجرى العادة) ان النار تحرق باذن الله
وان الماء يغرق من ألقى فيه كذلك بقدرة الله وقد رأينا عكس ذلك فى الانبياء

والاولياء مثل الغلام الذى كان يلقيه الجبار فى الماء فيخرج منه سالما انظره فى كتاب مسلم ومثل ابراهيم عليه السلام الذى لم تحرقه النار ولو كانت النار من شأنها الاحراق ولابد لاحرقته كما أحرقت القيد الذى كان فى رجليه الكريمتين صلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم تسليما فاذا النار مأمورة بحرق الحبل وترك الرجل وتضرم على قوم اضراما وتكون لآخرين بردا وسلاما كما قال الله عز وجل (قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم) ولولا ما قال وسلاما لقتله البرد وكانت نارا عظيمة جمعوا لها الحطب زمانا حتى ان الشيخ الكبير الذى لم يخرج من بيته قبل ذلك زمانا كان يجىء بالحطب فيلقيه يتقرب به الى آلهتهم فيما يزعم فلما أراد وا أن يلقوه فيها لم يستطيعوا الدنو منها لشدة حرها وعظمها فألقى فى المنجنيق وكان ذلك أول منجنيق عمل يقال دلهم عليه ابليس لعنه الله وجاءت عامة الملائكة الى ربها (فقالت يارب خليلك يلقى فى النار) فأذن لنا أن نطفىء عنه فقال هو خليلى ليس لى فى الارض خليل غيره وأنا الهه ليس له اله غيرى فان استغاثكم فأغيثوه والا فدعوه وجاء ملك القطر فقال مثل ذلك فقيل له مثل ذلك (قال فلما ألقى فى النار) قال حسبى الله ونعم الوكيل فقال الله تعالى يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم قال فبردت على أهل المشرق والمغرب فما أنضج بها يومئذ كراع ويروى أن جبريل عليه السلام لقيه فى الهواء قبل أن يصل الى النار فقال له يا ابراهيم ألك حاجة فقال أما اليك فلا حسبى الله ونعم الوكيل فكان ما تقدم والله أعلم فلا تستغرب هذا فى قدرة الله تعالى وفى حرمة نبى فقد كان قريب من هذا فى غير نبى ألقى أبو مسلم الخولانى واسمه عبد الله بن ثور فى النار فلم تحرقه وجىء به الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه (فقال الحمد لله) الذى لم يمتنى حتى أرانى فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به مثل ما فعل بابراهيم الخليل عليه السلام فلم تحرقه النار أو كما قال رضى الله عنه وكان الذى رماه فى النار الاسود العنسى وسيأتى ذكره مع مسيلمة فى باب اللام ان شاء الله تعالى فخرج من هذا أنه لا فاعل الا الله ولا فعل الا بأمر الله كما قال تعالى فى الريح تدمر كل شىء بأمر ربها وكما جاء فى شأن البعير الذى ند (قال الراوى) فرماه رجل بسهم فحبسه الله انظر حسن أدبهم مع ربهم وكما يروى أن رجلا كانت له غنم كثيرة وكان يرعاها فقال له رجل لمن هذه الغنم فقال لله وهى فى يدى وهذا باب يطول وأمر يهول فاستدل بالادنى على الاكثر وبما بطن على ما ظهر (وأما

في

في حق الله وفي قدرته) فانه يخلق بغير واسطة كعيسى عليه السلام من أنثى بلا ذكر وآدم عليه السلام خلقه بلا أنثى ولا ذكر (فان قلت) فمن التراب خلق قيل لك فالتراب من أين كان وهذا أيضا ان تتبعته أفضى بك الى لا اله الا الله ولا فاعل للأشياء الا الله وان ماسواه وسوى صفاته وأسمائه خلقه وصنعه والله خلقكم وما تعملون ويخلق مالا تعلمون

خرجت من شئ الى شئ * ونشر ماقد كان في الطي
حتى انتهى الامر الى العالم الفرد المريد القادر الحي

(ثم أرجع الى التينة المباركه) ولا أعاملها بالمتاركه (فأقول) وأنها أيضا تدل على الصانع لان كل صنعة تدل على صانعها وأنه سبحانه ليس من جنسها ولا مثلها وأنه حي اذ الميت لا يخلق وأنه صانع اذ المصنوع قد وجد وأنه عالم اذ لا يصدر فعل محكم متقن الا من عالم والاتقان نوعان الاول جمال المصنوع وكماله والآخر مجيئه عند الحاجة اليه ألا ترى المولود مثلا يكبر في بطن أمه واللبن ينعقد في ثديها فساعة يولد وجد غذاء ياسرا وزريعة الحرير في البيت والتوتة في الجنان مثلا لا تتحرك الدودة من موطنها الا اذا بدأت التوتة تخرج ورقها ان في هذا لآية بل آيات (فائدة على ماتقدم زائدة) يقال توت وتوث بالثاء المثلثة ذكر ذلك بعض أهل اللغة قال ويقال أترجه وأترنجه كما قالوا خروب وخرنوب وهو الينبوت خرج ثابت رحمه الله ان عبد الملك بن مروان ذكر معاوية رضي الله عنه فقال كان أميرا عشرين سنة وستة خليفة ثم قال هذا قبره عليه ينبوتة وفسر الينبوتة بما تقدم ذكره وذكر صاحب كتاب التاج الينبوت في جملة العضاه قال هو كل شجر يعظم وله شوك كالعرق والطلح والسلم والسدر والسيال والسمر والقتاد والينبوت والغرب والكنهبل والعوسج وقس على هذا جميع هذا الفن تجده ألا ترى أن الطير لا تتحرك لسفاد طول العام الا وقت أن تصلح الثمار لاخراج الورق وفي وقت أن يخلق الله أرزاق فراخها من الجراد وغيره فتصنع أعشاشها في الاشجار وفيها الورق فتستخفي فيها ولو صنعت عشها في الشجرة وهي دون ورق لاخذ بيضها قبل أن تفرخ وكذا غيره وغيره وزد غيره فكل فيه تذكره وغيره فقس عليه فقد دلت تلك التينة على ماتقدم وأنه تعالى مدبر لجميع الكائنات اذ لا يوجد الفعل على صورة وشكل بدلا من غيره ولا في زمان دون زمان الا بارادة تقدم بعضا وتؤخر بعضا وأنه تعالى عز وجل سميع بصير

متكلم وسر على هذا المسرى حتى تستكمل جميع صفات الخالق مما يجب اثباتها له وهي في حقه حقيقة ثابتة ثم باثباتها تضطر الى نفي اضدادها مما لا يليق بجلاله اذ ما كان عندنا من تلك الصفات المحمودة من العلم والقدرة والارادة وغير ذلك انما هو مجاز وعارية عندنا مستودعة يوجدها فينا ويبقيها متى شاء ويصرفها عنا ويبدلها أو يأخذها مع جميع ما خولنا متى أراد لا يسأل عما يفعل وليس كمثله شئ وهو السميع البصير خلق ذلك فينا لنستدل به عليه ونرد الحول والقوة اليه دل على ذلك العقل والنقل وهذا علم برأسه ضبطه العلماء وقيدوه حتى لا يجد صاحب هوى ولا مبتدع ولا معطل مدخلا في الدين والحمد لله رب العالمين (ثم نرجع الى التبنة فنجدها) ان طلبت علمها على حقيقته قام معك الوجود كله من العرش الى الفرش والصناع أجمعون من أهل السماء والارض كما قال بعض العلماء لا يستدير الرغيف حتى يعمل فيه أكثر من ألف صانع فاذا أكلته فان عصيت بالقوة التي حصلت لك منه فقد كفرت شكر أولئك الصناع كلهم فضلا عن مولاك الذي سخر لك ما في السموات وما في الارض جميعا منه أولهم ميكائيل الذي يكيل الماء من الخزائن فيفرغه في السحاب فتحمله الريح ثم كذا وكذا من الشمس والقمر والهواء والملائكة الذين يرسلون مع القطر مع كل قطرة ملك حتى من الارض والتراب والبهائم والارحى والآلات وتلك الآلات صنعت بآلات أكثرها كما يذكر أن الابرة لا تكمل حتى ترجع الى يد الصانع خمسة وعشرين مرة كل مرة بآلة بخلاف الآلة الاولى ثم كذلك فكذلك ويتسلسل الامر حتى لا يبقى في الوجود ولا في العالم شئ ولا صانع ولا ما يحتاج اليه ذلك الصانع من المطعومات والمشروبات والمنكح والملبس والكتاب والتجار والحاكم والوالي والجند ورزقهم والدور والسور كل ذلك مرتبط بعضه ببعض وبعضه يطلب بعضا حتى لا يبقى في الوجود صغير ولا كبير الا وجدت اليه طريقا في أقل من تبنة لان الغني الحميد خلق الخلق كلهم مفتقرين فقال يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد انظر كيف جعل في قلوب العباد الالفة والانس حتى اجتمعوا في موضع وبنوا حولهم ما يحميهم من عدوهم وضموا دورهم بعضها الى بعض ولم يفترقوا كافتراق الوحوش لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم وأغنى بذلك أهل كل دين وكل حزب بما لديهم فرحون ثم مع تجمعهم وتألفهم في جبلتهم الغيظ

والحسد

والحسد والمنافسة وذلك يؤدي الى التقاتل والظلم فانظر كيف سلط الله عليهم السلاطين وأمدهم بالقوة وألقى رعبهم في قلوب الرعايا حتى أذعنوا الهم طوعا وكرها وكيف هدى السلاطين الى طريق اصلاح البلاد والعباد حتى رتبوا أجزاء البلد كأنها أجزاء شخص واحد يتعاون بعضهم ببعض كتعاون أعضاء الجسد بعضها ببعض فرتبوا الرؤساء والقضاة وزعماء الاسواق وجعلوا السجون والاعوان وأنواع النكال للعصاة حتى اضطروا الخلق الى قانون العدل والاستقامة والتعاون والمساعدة حتى صار الحراث ينتفع بالحداد ويحتاج اليه هو وغيره كما يحتاج الحداد مثلا الى النار التي ليس عنها غنى في الدنيا في أكثر الاشياء و يحتاج الحداد الى آلات كثيرة يحتاج فيها الى النجار والنجار الى الحداد وهؤلاء كلهم يأكلون و يشربون و يلبسون و يسكنون و ينكحون وليس كل واحد يعمل وحده ما يحتاج اليه واذكر في ذلك كل شيء من أمور الدنيا تجده والسلطان أيضا من جهة أخرى يحتاج اليهم في كل ماذكر و يزيد عليهم بجمع المال لاقامة أرزاق الجنود وتحصين رعيته كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه والذي نفسي بيده لولا المال الذي أحمل عليهم في سبيل الله ما حميت عليهم من بلادهم شبرا ثم السلاطين يحتاجون الى العلماء الذين يصلحون عليهم دينهم والعلماء يحتاجون الى الانبياء عليهم السلام والانبياء محتاجون الى الملائكة والملائكة يفعلون ما يؤمرون و ينتهي الامر الى صاحب الامر الغني الحميد كما بدأ منه اليه يعود (ثم ارجع الى التبنة) تجدها في ذاتها بعد ما دلت عليه من ايجاد الصانع ذات لون وطعم ورائحة ومؤلفة من أجزاء وعلى شكل وهيئة من طول أو قصر أو رقة أو غلظ أو خفة أو ثقل الى سائر صفاتها التي تختص بها وتمتاز من غيرها و يستدل بها على كونها مفتقرة الى فاعلها مع دقائق الساعات الى امضاء حكمه فيها منتظرة الى الاقدار الواقعة عليها من زيادة أو نقصان أو ابقاء بما يخلق فيها و الاتلاشت ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا ثم يخرج من خلال هذه الخلال الموت الذي دل عليه ضده وهي الحياة فيمن كانت فيه لان الاشياء تعرف أيضا باضدادها فتعرف الحركة بالسكون والقليل بالكثير والخالق بالمخلوق والموت بالحياة فلا تقع عينك على شيء حي الا ورأيت فيه الموت اما ظاهرا واما منتظرا واما مقدرا فسبحان الحي الذي لا يموت الذي لا يتغير ولا يتبدل ولا

يتقدر ولا يتمثل اذ ليس كمثله شئ فيعرف بالتمثيل ولا له جنس فيقاس على التجنيس جاوز المقدار والاحكام وفات العقول والاوهام فليس كمثله شئ فى كل شئ ولا يعرف الا بمشيئته ان شاء وسعه أدنى شئ وان شاء لم يسعه كل شئ وان أراد عرفه كل شئ وان لم يرد لم يعرفه شئ وان أحب وجد عند كل شئ وان لم يحب لم يوجد عند شئ سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وكل شئ سواه يتبدل و يتغير مع أدنى من اللحظة وأقل من النفس لو لم يكن الا مرور أجزاء الساعات عليه وجريان الشمس التى عنها تحدث الاوقات واعتبر ذلك بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام هل زالت الشمس قال لا نعم فسأله عن قوله لا نعم وقال كيف هذا فقال بين قولى لا ونعم قطعت من الفلك خمسين ألف فرسخ وسيأتى هذا مستوفى فى باب الراء ان شاء الله تعالى فخرج من هذا ان كل شئ يتغير و يتبدل الا القديم سبحانه وتعالى وهو الفرق بينه تعالى وبين من لا يصح منه الا التغير ألا ترى أنه لا يأتى على شئ فى الوجود وقت وان دق الا تغير ذلك الشئ لو لم يكن الا بمرور الشمس عليه كما تقدم ودوران الفلك الذى لا يعلم سرعة حركته الا الذى دبره نعم ثم لا يعود ذلك الذى تغير الى الحالة الاولى أبدا لتغير جميع المخلوقات فى كل الاوقات واعتبر ذلك بنفسك اذا تكلمت بكلمة أو تحركت بحركة لا بد أن فلانا فى المشرق وفلانا فى المغرب قد أحدث فى ذلك الوقت حدثا أو تحرك بحركة أو تكلم بكلمة أو استقبلك أو استدبرك أو مات فيه ميت أو ولد فيه مولود وقس على ذلك جميع المخلوقات والحيوانات والنباتات من الزيادة والنقصان فى ذلك الزمان أترى ذلك يعود أبدا الى ما كان اذا تحركت أنت أو تكلمت أيها الانسان هيهات ذلك لا يكون ولا يتصور ولا يتمثل ولا يتقدر بل خلق الله الزمان جديدا او يخلق فيه خلقا جديدا هكذا سرمدا الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين فسبحان الحكيم العلام الخلاق على الدوام ويخلق ما لا تعلمون وقد تهدى لهذا المعنى الذى يقول منع البقاء تصرف الشمس * وطلوعها من حيث لا تمسى

وطلوعها بيضاء صافية * وغروبها صفراء كالورس

يقال ان قائل هذا هو تبع الاول وكان مؤمنا وفى هذا الشعر بعد الورس

تجرى على كبد السماء كما * يجرى حمام الموت فى النفس

اليوم أعلم ما يجىء به * ومضى بفصل قضائه أمس

وقد ذكر بعض العلماء جميع ماذكرته وتعلق الاشياء بعضها ببعض وافتقار كل شئ الى شئ واضطرار كل أمر الى غيره واحتياج الوجود كله الى أن يكون كما هو الآن عليه مما لا يستغني عنه حتى مثل لك الدنيا أمامك على هيئتها وصفتها ذلك تقدير العزيز العليم المفتقر كل ذلك اليه وحده الذى يمسك السموات بغير علاقة والارضين دون دعامة بل بلطف القدرة وخفي الحكمة وهو اللطيف الخبير وهذا الذى ذكره هذا العالم أين يقع في علم من فوقه من العلماء والحكماء ثم ارق الى علم التابعين واصعد الى علم الصحابة واسم الى علم رسول رب العالمين الذى أوتي جوامع الكلم وبدائع الحكم واختصر له الكلام اختصارا ثم اعل الى علم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل والملائكة المقربين صلى الله عليهم وسلم أجمعين فاذا انتهيت الى هنا فاتل ماقاله الهنا وما أوتيتم من العلم الا قليلا ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء فالحمد لله الذى أعطانا من علمه قسما نعلم به أن له علما وعلمنا كصفتنا ناقص ذو آفات وعيوب وعلمه لا اله الا هو كهو ولا يسع كنهه القلوب كيف وهو علام الغيوب قديم أزلي حكيم علي لا تحيط به الافهام ولا تصوره الاوهام بل كل في كنه وصفه قد هام سبوح قدوس رب الملائكة والروح ويكفي من ذلك ما ضربه لك مثلا محسوسا وهو ماقاله الخضر لموسى على نبينا وعليهما السلام والتحية والاكرام وقد أراه الآيات المستبينة حتى وقع العصفور على حرف السفينة فأخذ بمنقاره من البحر بله وناهيك بها قلة ياموسى مانقص علمي وعلمك وعلم الخلائق من علم الله الا مثل مانقص هذا العصفور بمنقاره من البحر وفي رواية ماعلمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله الا مقدار ماغمس هذا العصفور منقاره ولعلك أن تلحظ من مقتضى هذا الحديث قوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا مع قوله سبحانه ولو أن مافي الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله أفادك بهذا أن البحار والاقلام متناهية وأن كلامه سبحانه غير متناه وأنه أحد صفاته القديمة وكل شئ سواه من مخلوقاته متناه واحذر أن تعتقد أن كلام الله تعالى ليس الا ما أنزل على نبينا من القرآن وعلى موسى من التوراة وعلى عيسى من الانجيل وعلى داود من الزبور أو ما أنزل على بعض الانبياء من الصحف اذ لو كان ذلك لكان متناهيا ولكتب هذا كله بقلم واحد أو بقلمين أو بأكثر مما هو متناهي العدد وكذلك المداد متناه

لكن كلامه تعالى غير متناه لا ينفد ولا ينعدم كما قال سبحانه لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا قال ابن عباس معنى الكلمات ههنا ما انفرد به الباري جل وعز من علم ما كان وما يكون وكذلك فسر مجاهد الكلمات بالعلم وقال الخطابي رحمه الله مثل ذلك أيضا كلماته علمه وقال في قول النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بكلمات الله التامات ان كلماته القرآن وصفه بالتمام تنزيهاله أن يلحقه نقص أو عيب كما يوجد ذلك في كلام الآدميين قال والكلمة تتصرف على وجوه جماعها ما أمر الله به ودعا الناس اليه قال الله تعالى قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء الآية ثم فسرها فقال ألا نعبد الا الله الآية وقوله تعالى بكلمة منه اسمه المسيح فانه يريد والله أعلم أنه أوجده بالكلمة وكونه بها وهي قوله كن من غير توليد من فحل أو تنسيل من ذكر وهو معنى قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وقوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فبيان ذلك قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقوله تعالى وصدقت بكلمات ربها فانها أربع كلمات تكلم بها عيسى عليه السلام في المهد صبيا قال اني عبد الله الآية وقوله تعالى واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات الآية قال المفسرون هي عشر خصال في الطهارة أمر الله بهن خمس في الرأس فرق الرأس وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في الجسد تقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والاستجمار والختان فأتمهن أي وفاهن ثم قال تعالى وابراهيم الذي وفى (وقول) النبي صلى الله عليه وسلم في النساء واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى يريد والله أعلم ما شرطه لهن في كلمته وهو قوله تعالى فامساك بمعروف أو تسريح باحسان وقال بعض الاصوليين كلام الله تعالى صفة واحدة لا تنعدم ولا تفنى بها يأمر وينهى ويعد ويتوعد ومنها يفهم جميع المقاصد وكلامه هو قوله وانما سمي كلامه كلمات في قوله تعالى ما نفدت كلمات الله على جهة التعظيم كما عظم نفسه في قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وهو واحد لا اله الا هو وكذلك يقول جميع أهل الحق انه تعالى يقدر على المقدورات التي لا تتناهى بقدرة واحدة ويعلمها بعلم واحد ويدبرها بارادة واحدة وقال بعضهم في قوله تعالى قل الله القول من الله تعالى على أربعة أنحاء يكون بمعنى التكليم كما قال الله تعالى وكلم الله موسى تكليما ويكون بمعنى التكوين كما قال تعالى انما أمرنا الشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون وقول بمعنى الامر

مثل

مثل قوله تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقول بمعنى الخطاب مثل قوله تعالى قال اخسؤا فيها ولا تكلمون والفرق بين التكليم والقول ان التكليم لا يكون الا ثناء وفضيلة كما قال تعالى وكلم الله موسى تكليما والقول قد يكون ذما وابعادا كما قال تعالى لابليس قال اخرج منها مذؤما مدحورا والمسلمون مجمعون على أنه لا يقال كلم الله ابليس ولا هو كليم الله ولا أنه تعالى كلم أهل النار ويقال في هذا قال لابليس كذا وقال لاهل النار كذا *(فصل)* ولا يجوز عليه سبحانه أن يتكلم تارة ويسكت أخرى كما لا يجوز عليه تعالى أن يعلم تارة ويخرج عن العلم تارة أخرى لان ذلك تغيير لا يجوز الا على المحدثين والرب تعالى عن ذلك هذه صفة الخالق وأما المخلوق فبخلاف ذلك يتكلم مرة ويسكت أخرى ويسمع تارة ولا يسمع أخرى لاسيما اذا لم يسمعه الله تعالى وشاهد ذلك أن الرجل يكلمك في بعض الاحيان ولا تسمعه وكذلك يمر عليك فلا تراه ألم تسمع قوله تعالى ان الله يسمع من يشاء وقال عز وجل ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم فاذا الله تعالى يتكلم على الدوام فاذا كشف الغطاء عن أذن المخلوق سمع كما فعل بموسى عليه السلام حين سمع كلام ربه تعالى ونشأت هنا مسألة يقال كيف عرف موسى صلى الله على نبينا وعليه كلام الله سبحانه وتحقق أنه هو ولم يكن سمع قبل ذلك خطابه فقيل في ذلك أقوال منها أنه سمع كلاما ليس بحروف ولا أصوات وليس فيها تقطيع ولا نفس فعلم حينئذ أن ذلك ليس هو كلام البشر وانما هو كلام رب العزة وقيل فيه أيضا انه سمع كلاما لا من جهة وكلام البشر يسمع من جهة من الجهات الست فعلم أنه ليس من كلام البشر وقيل انه صار جسده كله مسامع حتى سمع بها ذلك الكلام فعلم أنه كلام الله تعالى وقيل فيه ان المعجز دل على أن ما سمعه هو كلام الله تعالى جده وذلك أنه قال له ألق عصاك فألقاها فصارت ثعبانا فكان ذلك علامة له على صدق الحال وان الذي يقول له أنا ربك هو الله جل جلاله وقيل انه كان قد أضمر في نفسه شيئا لا يقف عليه الا علام الغيوب فأخبره الله عز وجل في خطابه بذلك الضمير فعلم أن الذي يخاطبه هو الله تعالى جده وجل ثناؤه وعلى كل حال فلا بد أن تعتقد أن موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى بأذني رأسه كما رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه بعيني رأسه كما أثبته المحققون من أهل العلم فقالوا قسم الله عز وجل الرؤية والكلام بين محمد وموسى عليهما السلام انظره في شرف المصطفى لعياض رحمه الله فاذا ثبت هذا

مبحث كيف عرف موسى كلام الله تعالى

الكلام فارجع الى بقية الكلام واقرأ قوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم مافى البر والبحر وماتسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين وقد فسر النبى صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب بما فسرها الله فى قوله ان الله عنده علم الساعة فقال عليه الصلاة والسلام مفاتح الغيب خمسة لا يعلمها الا الله لا يعلم ماتغيض الارحام وماتزداد الا الله ولا يعلم متى يأتى المطر الا الله ولا تدرى نفس ماذا تكسب غدا ولا تدرى نفس بأى أرض تموت ولا يعلم متى تقوم الساعة الا الله وانظر ماتحت قوله سبحانه ولا رطب ولا يابس هل ترك شيئا من الاشياء أى نوع كان وقد قرئ ولا من رطب ولا يابس خارج السبع ويزيد الامر توكيدا لانه يدخل ماقبله فيه اذ لا يخلو من أن يكون رطبا أو يابسا وكذلك من فى قوله تعالى من ورقة قالوا هى للتوكيد والله يعلم الورقة سقطت أولم تسقط وقوله الا فى كتاب مبين يعنى اللوح المحفوظ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما خلق الله تعالى اللوح المحفوظ من درة دفتاه من ياقوتة بيضاء قلمه نور وكتابه نور ينظر فيه كل يوم ثلثمائة نظرة وستين نظرة يحيى فى كل نظرة ويميت ويعز ويذل ويفعل مايشاء ذكر ذلك المهدوى (وفى رواية) وعرضه مابين السماء والارض واثباته فى اللوح المحفوظ لا لحاجة منه الى ذلك ولا يضل ربى ولا ينسى وما كان ربك نسيا لكن لتعتبر به ملائكته الموكلون بمقابلة الحوادث بما فى اللوح المحفوظ قال الحسن رضى الله عنه فعل ذلك ليعلم ابن آدم أن عمله أولى بالاحصاء وكذا روى أن الحفظة الموكلين باحصاء أعمال العباد يعطى أحدهم بطاقتين احداهما مكتوبة مختومة والاخرى بيضاء فيكتب عمل العبد طول يومه فاذا فرغ قابلها بالمختومة فيجد مافى هذه فى هذه بلا زيادة ولا نقص ان هذا معنى الكلام والله أعلم فاذا تقرر هذا فانظر أى بحار وأى أقلام وكثر عددها ماشئت تحيط بكلمات الله وكيف يتصور أن يحيط ماهو متناه معلوم محصور محدود بكلام الله الذى لا نهاية له وعلمه القديم الذى لا يهتدى الى معرفة كيفيته وأضرب لك مثلا بالبحار أجمعها والاقلام كلها أليست أجزاء مؤلفة ردها بوهمك بحرا واحدا أليس فى اعتقادك ان الله تعالى يعلم كم من نقطة فيه ولو لم يكن ذلك كذلك لكان عجزا كما أن عندك الراعى الذى لا يعرف عدد ماشيته والامير الذى لا يعرف عدد جنده عاجز وقد قال الله تعالى وماننزله الا بقدر معلوم يعنى

المطر وفي غيره قال يعلم مستقرها ومستودعها وكل شئ عنده بمقدار ولا تتحرك ذرة الا باذنه فاذا استقر هذا وثبت رد ذلك البحر مع جميع ما خلق الله أجزاء ثم خذ جزء او احدا من نقطة من البحر أو رملة واحدة من رمال الدنيا أليست تلاصق أختها من فوقها ومن تحتها ومن جميع جهاتها أليس الماء يتحرك أحيانا وكذلك الرمل ثم يسكن أحيانا أليس الله تعالى يعلم مقدار أوقات مماسة ذلك الجزء صاحبه ومقدار مفارقته اياه ثم اذا فارقه أليس عماس غيره كذلك من جميع جهاته ان كان فوقه مثله والا فقد ماسه الهواء وقابله من السماء جزء آخر ثم قد يجتمع مع صاحبه الاول كهيئته اذ كان معه قبل التفرق أولا يجتمع و يجتمع مع غيره وان اجتمع متى عماسه مثل المماسة الاولى مع هيجان البحر واضطرابه وتكويم الرمال بالرياح أمثال الجبال يمينا وشمالا وجنوبا وشمالا ثم هكذا في جميع المخلوقات المتحرك منها المعلوم حركته والساكن المعلوم سكونه وكل شئ عنده بمقدار وهذا كله محصى في كتاب مبين وكل صغير وكبير مستطر أليس الحفظة والملائكة الموكلون بجميع المخلوقات الذي أيضا لا يعلم جنود ربك الا هو لو احتاجوا الى مداد يكتبون كل ما ذكرته لك ومالم أذكره مما لا يتصور فيه أن يذكر أى مداد كان يقوم بهم في تصريف نقطة بل جزء من الاجزاء التي لا يعلم مقدارها الا الذي خلقها ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير (ثم نرجع الى المداد الذي تكتب به الحفظة) ما تقدم فتفعل في نقطة ما فعلت في هذا ثم في مداد المداد الى مالا ينحصر ولا ينضبط وما يعلم حقائق الاشياء على ما هي عليه الا من خلقها ثم انظر نظرا آخر فيما في من كتب الله جميعا منذ أنزلت على جميع الانبياء وكررت مع ما أجرى الله تعالى على ألسنة خلقه من الملائكة والانس والجن من الذكر على أنواعه من تقديس وتسبيح وغير ذلك من أول ما خلق الله الخلق الى أن تقوم الساعة نعم وفي الجنة التي لا آخر لها وتكرر ذلك الكلام المحمود على الالسن مع الكلام المذموم الواقع من الجهال والكفرة الذي أحصاه الله ونسوه ومع نطق البهائم والحشرات مع النطق المقدر في الكل من الحيوانات مع قوله سبحانه وتعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم على مذهب من جعل ذلك من العلماء حقيقة بلسان المقال مع تقديس الرب نفسه قبل أن يخلق خلقه في الازل الذي لا يفهم ولا يدرك بوهم وهذا كله الايمان به واجب والتفكر فيه محمود وهو أولى ما أعمل فيه الخاطر وأجيل

فيها لفكر الحاضر وهو يدرك بالعقل الذى جعله الله تعالى آية من آياته فيمن شاء من عباده ومن أوتيه ورزق العمل بمقتضاه وأطاع مولاه فما حرم شيئا سواه والخيرات له تبع كما يروى ان جبريل عليه السلام أتى آدم عليه السلام (فقال) له أتيتك بثلاث فاختر واحدة قال وماهم قال العقل والحياء والدين قال اخترت العقل فخرج جبريل عليه السلام الى الحياء والدين فقال ارجعا فقد اختار العقل عليكما فقال أمرنا ان نكون مع العقل حيث كان ولله در الذى يقول

وما بقيت من اللذات الا * مجالسة الرجال ذوى العقول
وقد كانوا اذا ذكروا قليلا * فقد صاروا أقل من القليل

وأعقل العقلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق له ذلك لانه يروى عن سعيد ابن جبير رضى الله عنه قال بلغنى أن العقل قسم على ألف جزء فأعطى محمد صلى الله عليه وسلم تسعمائة وتسعة وتسعين جزأ وأعطيت أمته جزأ واحدا وكذلك الانبياء عليهم السلام قبله الا ما فضل الله به محمدا صلى الله عليه وسلم وانما اختار الله الانبياء لعقولهم وما أعطاهم من العلم والصبر وما زهدوا فى الدنيا مع القيام والصبر عليه الا بفضل عقولهم فمن زهد فى الدنيا وصبر على الحق فقد استكمل العقل وانما فاز العابدون بالاجتهاد وقال سعد بن أبى عروة عن قتادة عن الحسن قال كيف يسمى عاقلا وهو يمسى ويصبح فى الدنيا ومباهاة أهلها فى المطاعم والمشارب والملابس والمراكب أولئك هم الخاسرون وأولئك هم الغافلون وأولئك هم الجاهلون ويروى ان الله تبارك وتعالى لما خلق العقل قال له أقبل فأقبل وقال له أدبر فأدبر ثم قال له اسكن فسكن فقال وعزتى وجلالى لاركبنك فى أحب الخلق الى وقال فى الحمق ضد ذلك الى أن قال فى أبغض الخلق الى اختصرته ومما أرويه فى العقل لبعض أشياخى رحمهم الله

العقل نور الله يهدى به * من شاء ان يكتب من حزبه
ومن يمت شوقا الى ربه * يكشف له مولاه عن حجبه

وزدت أنا على هذا

فيرتقى منه الى رتبة * تفضى الى ماشاء من قربه
ما أقرب الامر على مفلح * ساعده التوفيق من ربه

فى أبيات كثيرة أنظرها فى التكميل وقد تكلم الناس فى ماهية العقل وفى

أسمائه وفى محله فمن أسمائه العقل واللب والحجا والحجر والنهى فقالوا سمى عقلا لانه يعقل صاحبه عن ركوب شهواته ومنه أخذ عقل الناقة قال عامر بن عبد القيس اذا عقلك عقلك فأنت عاقل وفى القرآن لعلكم تعقلون وسمى لبا لانه صفوة الرب وخالصه ولبابه ولب كل شئ خالصه ومحضه وجمع اللب ألباب وفى القرآن العزيز يا أولى الالباب (وسمى حجا) لاصابة الحجة به والاستظهار على جميع المعانى يقال حاجيته فحجيته وسيأتى طرف منه ان شاء الله عزوجل (وسمى حجرا) لانه يحجر عن ركوب المناهى ومنه حجر الحاكم على فلان ويقال للرجل اذا كان ضابطا لنفسه رابطا الجاشه مالكا لاربه انه لذو حجر وفى القرآن الحكيم هل فى ذلك قسم لذى حجر (وسمى النهى) وهو جمع نهية لانه اليه ينتهى الذكاء والمعرفة والنظر وهو نهاية ما يميز العبد من الخير المؤدى الى صلاح الدنيا والآخرة ولذلك قيل نهى الوادى ونهيه وهو مبلغ ما ينتهى اليه السيل (وفى القرآن العظيم) من هذا ان فى ذلك لآيات لاولى النهى (وأما ماهيته فقيل) هو ادراك العلوم الضرورية وقيل ادراك العلوم على ماهى عليه وقالوا اصابة الفهم وادراك البيان وقالوا هى معرفة تكون فى الانسان تزيد باكتساب العلوم وتظهر عند افادة العلوم ولكل هذه الاقوال حجج وتفسير أمرها كبير وأما محله فقيل الدماغ لاشرافه على البدن ولانه مقر الحواس وقيل محله الدماغ وصفاؤه فى القلب وقيل محله القلب لانه سلطان البدن وهذا هو الاظهر والله أعلم لان الله تعالى قال فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فجعل السمع فى الآذان والعقل فى القلب وكما قال تعالى أعين يبصرون بها وقد جاء مثل هذا فى الحديث الذى يرويه النبى صلى الله عليه وسلم عن ربه تبارك وتعالى ان العبد ليتحبب الىّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت رجله التى يمشى بها ويده التى يبطش بها ولسانه الذى يتكلم به وقلبه الذى يعقل به ان سألنى أعطيته وان دعانى أجبته فأضاف سبحانه كل جارحة الى ما جعل فيها وهذا الحديث أيضا يحتاج الى شرح ومعناه والله أعلم أن يتكلم فيما يرضى الله ويمشى فى طاعة مولاه ويبطش فيما لا يكره الله ويعقل عن الله مراده وقيل فى العقل انه نور موضوع فى القلب كنور البصر فى العين ينقص ويزيد ويذهب ويعود واليه أشار شيخى رحمه الله فى شعره المتقدم وكما يفقد البصر من العين ولا يتغير شكلها كذلك يفقد العقل من القلب ولا تتغير هيئته وأسوأ العمى عمى القلب وفى القرآن العزيز

محل العق

فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور وفى الحديث ليس الاعمى من عمى بصره انما الاعمى من عميت بصيرته نعوذ بالله من هذين العميين ونسأله السلامة فى الدارين * قيل لعمرو بن العاص ما العقل قال الاصابة بالظن ومعرفة مايكون بما قد كان وقال له يوما معاوية رحمه الله ما بلغ من عقلك قال ما دخلت فى شئ قط الا خرجت منه قال له معاوية لكنى ما دخلت فى شئ قط أريد الخروج منه قلت

خرجت من شئ الى غيره * ولم أقف ها أنا ذا أخرج
لكن لما لا بد منه وما * أنت له من غيره أحوج

(فصل تقدم ما خرج) أهل الصحيح من حديث موسى والخضر عليهما السلام وماقص الله تعالى عنهما فى كتابه العزيز وفيه من قول الخضر لموسى عليهما السلام ياموسى ما نقص علمى وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر وفى رواية ما علمى وعلمك وعلم الخلائق فى علم الله الا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره (قلت) قال بعض أهل العلم أما قوله مقدار ما غمس فبين وكذلك ماذكره ابن سلام فى تفسير الآية أنهما لم يتفرقا حتى بعث الله طائرا فطار الى المشرق ثم طار الى المغرب ثم طار نحو السماء ثم هبط الى البحر فتناول من ماء البحر بمنقاره وهما ينظران فقال الخضر أتعلم ما يقول هذا الطائر يقول ورب المشرق ورب المغرب ورب السماء السابعة ورب الارض السابعة ما علمك يا خضر وعلم موسى فى علم الله الا قدر الماء الذى تناولته من البحر فى منقارى وأما ما وقع فى الحديث الاول من ذكر النقص من العلم وما وقع فى حديثه الآخر فيما يرويه عليه السلام عن ربه تعالى ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل انسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى الا كما ينقص المخيط اذا أدخل فى البحر وفى حديث آخر فى معناه ما نقص ذلك من ملكى الا كما لو أن أحدكم مر بالبحر فغمس فيه ابرة ثم رفعها اليه ذلك بأنى جواد ماجد أفعل ما أريد عطائى كلام وعذابى كلام انما أمرى لشئ اذا أردته أن أقول له كن فيكون فذكر النقص فى هذه الاحاديث على معنى ضرب المثل فى النهاية من القلة على ما تعرفه العرب وتستعمله تقول ما غمضت البارحة ولا أستطيع القيام ولا أطيق الحركة ولا الكلام وفى كتاب الله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ومعلوم أن الساعة

تنقسم الى أجزاء ودقائق وكما قال تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة والذرة تنقسم الى أجزاء وأشياء وقال فى موضع آخر ان الله لا يظلم الناس شيئا فهذا كله على النهاية فى الدقة والقلة (وكما قال) ولا يظلمون فتيلا نخرج النقص فى الحديثين والله أعلم على هذا المعنى اذ علم الله تعالى قديم لا يقبل التبعيض والتقسيم وأيضا فان العلم المبثوث فى جميع الخلائق من أهل السموات وأهل الارضين هو من عند الله ومن الحيطة التى شاء سبحانه أن يخلقها لما كما قال تعالى ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء سبحانه وكما قال تعالى علم الانسان مالم يعلم وأمرنا بالسؤال فيه والزيادة منه بقوله تعالى وقل رب زدنى علما فاذا لم ينقص من علم الله تعالى شئ وما عندنا منه خلق يخلقه لنا نعلم به علمنا ومعلومنا على قدر تفاضلنا فى ذلك ونعلم ان الله علما غير أن علم الله تعالى مخالف لعلم المخلوق لا يشبهه ولا يقاربه ولا يحمل عليه ولا هو منه فى شئ الا فى مشاركة الاسم لان علم المخلوقين يكون بالتعلم والتبصر والتدبر والتذكر وأخذ البعض عن البعض ولذلك وقع الاختلاف وتفرقت المذاهب وتشعبت الطرق ألم تسمع قوله تعالى فى القرآن الذى أنزله بعلمه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فسبحان من سبق علمه جميع المعلومات قبل كونها وتقدم جميع الموجودات قبل عينها اذ الاشياء كلها مستفادة من علم الله تسبقه اياها وعلم الانسان مستفاد من الاشياء لانها سابقة له باذن الله (وأما علم الانبياء عليهم السلام) وان كانوا بشرا امثلنا فهو تخصيص من ربهم اياهم بما شاء من علمه بوحى ينزله اليهم أو الهام يقرره فى نفوسهم وبعضهم فى ذلك أعلى من بعض قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية نعم ومتباينون فى العلوم ألم تسمع ماقال الخضر لموسى عليهما السلام حين أراد الافتراق ياموسى انك على علم من علم الله لا أعلمه وأنا على علم من علم الله لا تعلمه قال بعض العلماء كان الخضر عليه السلام يعلم الباطن وموسى عليه السلام يعلم الظاهر والله أعلم (وكذلك) علم الملائكة صلوات الله عليهم بعضهم أعلى من بعض وأعلم وأرفع جاها واعظم وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى وبعد هذا كله فالله أعلم بما أراد وبما أراد أنبياؤه عليهم السلام من ذلك وانظر الى هذا كله قوله تعالى كن فيكون وكم بين الكاف والنون من الازمنة ولو لم يكن الا التبعية وليس فى كلام الله تعالى حرف ولا صوت وان كان قد ورد فى الحديث ذكر الصوت فله

تأويل يحمل عليه ولا يشبه بخلقه تعالى وليس فيه تقديم ولا تأخير اذ هو صفة واحدة لا تشبه صفاتنا وشتان بين القديم والحديث ألم تسمع ليس كمثله شئ وكذلك صفاته تعالى فليس كمثله شئ في شئ وليس في الوجود شئ الا الله وصفاته وما أحدث تعالى من مخلوقاته فمعنى كن كناية عن سرعة الشئ واجابة المأمور في أقرب ما يكون وليس في الكلام شئ يعبر به عنه في السرعة أوجز من كن فهو عبارة عن السرعة (فان قال قائل) قد خلق الله السموات والارض في ستة أيام وهي ستة آلاف سنة وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون وقد كان قال لذلك كن فالجواب عن ذلك ان قول البارى سبحانه كن يتوجه الى المخلوق مطلقا ومقيدا فاذا كان مطلقا كان كما أراد لحينه وان كان مقيدا بصفة أو زمان كان كما أراد بحسب ذلك الزمان أو الصفة فان قال كن في ألف سنة كان في ألف سنة وان قال كن فيما دون اللحظة كان كذلك وفيما قرأته بالاسكندرية في أحد المجالس على شيخي أبي محمد العثماني رحمه الله من الحديث المسلسل ويده على كتفي قال حدثني شيخي فلان وسماه ويده على كتفي ثم كذلك فكذلك كل شيخ يقول عن شيخه ويده على كتفي حتى انتهى بالسند الى على بن أبي طالب رضي الله عنه قال حدثني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويده على كتفي قال حدثني الصادق الناطق رسول رب العالمين وأمينه على وحيه جبريل عليه السلام ويده على كتفي قال سمعت اسرافيل عليه السلام يقول سمعت القلم يقول سمعت اللوح يقول سمعت الله عز وجل يقول من فوق العرش للشئ كن فلا تبلغ الكاف النون الا ويكون الذي يكون فهذا يحمل على ما تقدم من سرعة المكون ولا بد للمخلوقين من عبارة يفهمون بها مراد الله تعالى في السرعة فليس ثم أسرع ولا أوجز في اللفظ من كن كما تقدم فقيل لنا ذلك لنفهم والله ورسوله أعلم وقال النبي عليه الصلاة والسلام ان قلوب بني آدم كلها بين اصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء حذار حذار من توهم جارحة أو تخيل تشبيه وانما ذلك كناية عن السرعة أيضا في التقليب في كل جزء من الزمان على وقته ألم تسمع ونقلب أفئدتهم وأبصارهم قيل يقلبها من ايمان الى كفر ومن كفر الى ايمان وكانت يمينه عليه السلام لا ومقلب القلوب ويقول يا مقلب القلوب قلب قلبي على طاعتك وقال لقلب ابن آدم أشد تقلبا من القدر اذا استجمعت غليانا أو كما قال عليه السلام ومعنى بين اصبعين بين أثرين وأمرين

كذا فسره أهل العلم وخص الاثنين لان المعلوم عندنا في المخلوق اذا قلب شيئا بين اصبعيه انما يقلبه الى جهة اليمين أو الى جهة الشمال وكذلك تقليب الله تعالى القلوب الى الطاعة أو المعصية أو الكفر أو الايمان فتكون أصحاب القلوب من أصحاب اليمين أو من أصحاب الشمال كما قال تعالى فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة وليس هناك مماسة ولا حاسة تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا (فائدة لغوية) و يستشهد على قوله بين اصبعين أي على أثرين بقول الشاعر أنشده ابن دريد من يجعل الله عليه اصبعا * في الخير أو في الشر يلقاه معا وبقولهم لراعي بني فلان على ماشيتهم اصبع أي أثر حسن وأنشدوا على هذا قول الشاعر يصف راعيا

ضعيف العصا بادي العروق ترى له * عليها اذا ما أجدب الناس اصبعا

(فائدة زائدة) يقال اصبع واصبع بكسر الالف وضمها والباء مفتوحة فيهما ولك أن تتبع الضمة فتقول اصبع ولك ان تتبع الكسرة فتقول اصبع ولغة خامسة أصبع بفتح الالف وكسر الباء وكذلك يقال ابلم وأبلم وأبلم وكله جمع أبلمة وهي الخوصة وقس على هذا حديث القبضتين وذكر اليمين والشمال في ذلك انما هو راجع الى المخلوقين ألم تسمع في الحديث وكلتا يديه يمين أدبا منه عليه السلام ونفيا لما عسى أن يقع في الاوهام نسأل الله الثبات الى الممات والعصمة من الزيغ والنزغ * وألحق بهذا الفصل ما جاء في الحديث والقرآن من ذكر الصفات نحو قوله تعالى لما خلقت بيدي وتجري بأعيننا وانني معكما أسمع وأرى وكل شئ هالك الا وجهه ويحذركم الله نفسه وعلى العرش استوى وما أشبه ذلك وما في الحديث من ذكر النزول والقدم والرجل وما أشبه ذلك وسيأتي تفسيره ان شاء الله والباب كله واحد والحمد لله ويسهل مفهوم المعنى اذا نفيت عن نفسك تشبيه المعبود وتجسيم اليهود وتعطيل الفيلسوف ودعوى الطبعي السخيف ويظهر لعين قلبك بالعين اليقين الحق المبين ذو القوة المتين من غير تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل ولا تخييل موجود لا كالموجودات بصفات كمال ليست كالصفات حي عالم متكلم مريد قدير ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وما أبدع وأجمع قول من قال فيما روي عن أسلافه مهما قام في نفسك شئ فالله بخلافه ويستشعر مع ذلك العجز عن معرفة الحقيقة كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه الحمد لله الذي لم يجعل معرفته

توجيه مشكلات الصفات

الا بالعجز عن معرفته وتقول أيضا العلم بالعجز عن المعرفة هو المعرفة ويقال في مثل هذا العجز عن درك الادراك ادراك ويكفي من هذا قوله عليه السلام لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقد اختلف قول العارفين في هذا المعنى فقال الجنيد رحمه الله لا يعرف الله الا الله وقال غيره لا أعرف شيئا الا الله وقال أغلقت عيني ثم فتحتها فلم أر شيئا غير الله وكلام هؤلاء يحتاج الى شرح وبسط أما قول الجنيد فأراد الحقيقة ومن أين للعبد المخلوق بهذه الطريقة وهو لا يعرف حقيقة نفسه مع استصحاب الحال وقد قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله متى يعرف الانسان ربه قال اذا عرف نفسه وهذا أيضا يحتمل معنيين أحدهما ان هذا ممتنع بقول هو لا يعرف نفسه حق المعرفة فكيف يعرف ربه والمعنى الآخر أن يعرف نفسه بانه مخلوق فيستدل به على الخالق كما قال تعالى وفي أنفسكم افلا تبصرون ويعرف نفسه بالنقص فيعرف ربه بالكمال وسر على هذا المسرى في جميع صفات الخالق الكاملة وصفات المخلوق الناقصة فاذا قد عرف ربه من هذه الجهة وهذا الذي أراد الذي قال لم أر الا الله يعني انه رأى المخلوقات فاستدل على الخالق والله عز وجل اعلم بحقائق الامور وبما أراد رسوله صلى الله عليه وسلم من ذلك* ورأيت في بعض الحكم من ترك التوهيم في صفة الله تعالى وقي الشك والنفاق ولذلك قيل تفكروا في مخلوقاته لا في ذاته وقال أبو طالب المكي رحمه الله صفات الشهيد لا تشهد بنور العقل وانما تشهد بنور اليقين ونور اليقين من نور القادر ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وقال سهل رحمه الله أثبتوا الرؤية فان خالج قلوبكم التشبيه ورأيتم ذلك فانفوا التشبيه في الله تعالى وأثبتوا الرؤية ونزهوه عن الاشباه والاشباح وقال غيره ظاهر التوحيد لا يجري على ترتيب العقول ولا يمثل بقياس العقول لان نفي الصفات أو اثباتها بالممثلات موجود في رأي العقول كما ان الكفر والاضلال موجود في طبائع النفوس لعدم مشاهدة الابصار ولفقد وجود الالهية في تخييل الافكار ولجريان المعتاد من ظهور الاسباب كما روي ان بعض الصديقين دعا الى الله بحقيقة التوحيد فلم يستجب له الا الواحد بعد الواحد فعجب من ذلك فأوحى الله اليه تريد أن تستجيب لك العقول قال نعم قال اجبني عنهم قال كيف أجيبك وأنا أدعو اليك قال تكلم في الاسباب وفي أسباب الاسباب قال فدعا

الى الله من هذه الطريق فاستجاب له الجم الغفير فانما صحة التوحيد باثبات الصفات
وأوصاف الذات التى جاءت بها السنن وشرعها الرسول مع نفى الشبهة والماهية ونفى
الجنس والكيفية ثم سكون القلب وطمأنينة العقل الى الايمان بهذا والتسليم له
لاجل نور الايمان الموهوب لان هذا انما يشهد بنور اليقين وعلمه لا بعلم العقل
ونوره والعقل مرآة الدنيا بنوره يشهد مافيها والايمان مرآة الآخرة به ينظر اليها
فيؤمن بما فيها والله تعالى انما يرى بنور اليقين وفى هذا النور مشاهدة
الصفات وهى حقيقة الايمان وأعز ما نزل من السموات هو السكينة المنزلة
فى قلوب المؤمنين لتزايد الايمان لانا أخذنا الايمان بمشيئة الله تعالى ورحمته من
قبل التصديق واليقين والنقل لا من قبل التقليد وحسن الظن والعقل سأل
اعرابى محمد بن الحسن رضى الله عنه فقال له هل رأيت الله حين عبدته قال
لم أكن لأعبد ربا لم أره قال فكيف رأيته قال لم تره الابصار بمشاهدة العيان
لكن رأته القلوب بحقيقة الايمان لا يدرك بالحواس ولا يشبه بالناس معروف
بالآيات منعوت بالعلامات لا يجور فى القضيات ذلك الله الذى لا اله الا هو
(فقال الاعرابى) الله أعلم حيث يجعل رسالاته وقالوا أربعة أشياء تسلم تسليما
ولا تعارض اعتراضا أخبار الصفات وأصول العبادات وفضائل الصحابة وفضائل
الاعمال ولولا ان الله تعالى تولى قلوب المؤمنين فحبب الايمان اليها وزينه فيها
وكره الكفر وشانه عندها لتاهوا فى الظلمات وغرقوا فى بحار الهلكات لظهور
الاعتياد ومعاينة الاسباب ولمغيب القدرة عن العيان ولما ابتلوا به من الحجب
والاعيان ولكن الله سلم وحبب الايمان فى القلوب وزين وكره الكفر
والعصيان وشين (وقال تعالى) الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى
النور فلولا انهم كانوا فى ظلمة الطبع ما امتن عليهم باخراجهم منها الى ما أدخل عليهم
من نور اليقين (وجاء فى الخبر ان الله تعالى) خلق الخلق فى ظلمة ثم ألقى عليهم من
نوره فمن أصابه اهتدى ومن أخطأ ضل وفى أحد المعانى من قوله تعالى يمحو الله
ما يشاء ويثبت قال يمحو الاسباب من قلوب الموحدين ويثبت نفسه ويمحو
الوحدانية من قلوب الناظرين ويثبت الاسباب (وسئل بعض العارفين) عن
علم الباطن فقال هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه فى قلوب أحبابه لم يطلع عليه
ملكا ولا بشرا وهو من نور الهداية المخصوص به الانبياء ومن اصطفى من الاولياء

ومن أحسن ما رأيت في المعرفة قول الحسين بن منصور رحمه الله ألزم الله لكل الحدوث لان القدم له فالذي بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه والذي بالأداة اجتماعه فقوتها تمسكه والذي يؤلفه وقت يفرقه وقت والذي يقيمه غيره فالضرورة تمسه والذي الوهم يظفر به فالتصوير يرتقي اليه ومن آواه محل أدركه أين ومن كان له جنس طالبه كيف والله سبحانه لا يظله فوق ولا يقله تحت ولا يقابله حد ولا يزاحمه عند ولا يأخذه خلف ولا يحده أمام لم يظهره قبل ولم يفته بعد ولم يجمعه كل ولم يوجده كان ولم يفقده ليس وصفه لا صفة له وفعله لا علة له وكونه لا أمد له منزه عن أحوال خلقه ليس له من خلقه مزاج ولا في فعله علاج باينهم بقدمه كما باينوه بحدوثهم ان قلت متى فقد سبق الوقت كونه وان قلت هو فالهاء والواو خلقه وان قلت أين فقد تقدم المكان وجوده فالحدود آياته ووجوده اثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه من خلقه ما تصور في الاوهام فهو بخلافه كيف يحل به ما منه بدا أو يعود اليه ما هو أنشاه لا تماقله العيون ولا تقابله الظنون قربه كرامته وبعده اهانته علوه في غير ترق ومجيئه من غير تنقل هو الاول والآخر والظاهر والباطن القريب البعيد الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقد تهدى الشاعر لهذه المعاني فقال

ان قلت جسم فما ينفك عن عرض * أو جوهر فالى الاقطار مردود
أو قلت متصل بالشيء فهو به * أو قلت منفصل فالكل تحديد
لا تجعلن الى التشبيه من سبب * ان الطريق الى التشبيه مسدود



تم القسم الاول من كتاب الف با لابي الحجاج يوسف البلوي المذكور في صحيفة ١٠٩ من الجزء الاول من كشف الظنون ويليه القسم الثاني منه واوله

(فصل ومما يمنع منه السؤال)

وهو أحد الكتب الجاري طبعها على ذمة جمعية المعارف بالمطبعة الوهبية وقد بلغ عدد أهلها الخمسين بعد الاربعمائة